

روایات (الهلال

آرثر کونان دویل

مذکرات شرلوک هولمز



روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

نصدر عن مؤسسة
دار الهلال

العدد ٤٧٥ يوليو ١٩٨٨

دو القعدة ١٤٠٨ هـ

No. 475 Ju. 1988

● الاشتراكات ●

قيمة الاشتراك السنوي (١٢ عددا) في جمهورية
مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادي وفي بلاد
اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر
- دولارا او مايعادلها بالبريد الجوى وفي سائر انحاء العالم
عشرون دولار بالبريد الجوى -

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال
في ج . م . ع نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفي
الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة
اعلاه عند الطلب .

اسعار البيع في البلاد العربية للاعداد العادية من
سلسلة روايات الهلال فئة ٧٥ قرشا للقارىء في مصر

سوريا ١٨٠٠ ق س - لبنان ٣٥٠ ليرة - الاردن ٥٠٠
فلس - الكويت ٤٠٠ فلس - العراق ١٦٠٠ فلس -
السعودية ٧ ريالات - السودان ٢٥٠ ق - سودانيا -
البحرين ١٢٠٠ فلس - الدوحة ٨ ريالات - دبي ٨ دراهم
- ابو ظبي ٨ دراهم - مونتيفيديو ٧٥٠ بيسه - تونس ١٦٥٠
فليم - المغرب ١٥٠٠ فرنك - غزة والضفة ٧٥ سنتا -
داكار ١٠٠٠ فرنك - اليمن الشمالية ١٣ ريالا - عدن ١٤٤
سنتا - الصومال ١٣٠ بنى - لاجوس ١٢٠ بنى - ايطاليا
٣٠٠٠ ليرة - لندن ١٥٠ سنتا - اتينا ٢٠٠ دراخمه -
كندا ٥٠٠ سنت - البرازيل ٦٠٠ سنت - استراليا ٦٠٠
سنت .

للحصول على نسخ من روايات الهلال
اتصل بالتركس 92703 HILAL. U. N.

الادارة دار الهلال ١٦ شارع محمد عر العرب - القاهرة
تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

رئيس مجلس الإدارة

مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير

مصطفى نبيل

سكرتير التحرير

محمود فاسم



روايات الله

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

الغلاف بريشة الفنانة :
بسميحة حسنين

مذكرات

شركونان وويل

تأليف

آرثر كونان دويل

ترجمة

أمين سلامة

دار الهلال

هذه الرواية مترجمة عن كتاب

THE MEMORIES OF
SHERLOCK HOLMES
BY
ARTHUR CONAN DOYLE

مقدمة

من الجميل ان تقدم دار الهلال « مغامرات شرلوك هولمز » في هذا الوقت من السنة ، ذلك لان العالم كله يحتفل في هذه الفترة بمرور مائة عام على ظهور شخصية شرلوك هولمز البالغة المتعة ، ذلك المخبر البوليسى الفائق الروعة بكل ماتضمنه شخصيته من سحر وجمال وغموض .

والترجمة التى بين يديك ، ايها القارئ العزيز ، تقاضى عنها مؤلفها يوم ان ألفها ، وهو سير آرثر كونان دويل ، مبلغا وقدره ٢٥٠ جنيهها « استرلينيا » ، في حين ان نفس العمل يقدر في يومنا هذا بما لا يقل عن عشرين ألف جنيه استرلينى .

والمتع في مغامرات شرلوك هولمز انها كتبت لتروق جميع الناس من جميع الاعمار ، صفارا كانوا أو كبارا ، شبابا أو شيوخا .. كما انها كتبت لتقرأ في جميع العصور لما تحتويه من خيال جامع يصور بروعة كل ماهو شاذ وغريب في دنيا قصص اللصوص والمجرمين ورجال البوليس معا .

وجدير بالذكر انهم في انجلترا اقاموا في عام ١٩٥١ معرضا خاصا لشرلوك هولمز كمظهر بسيط من مظاهر الاحتفال الضخم بشخصيته الفذة .. ولقد تطور هذا الاحتفال حتى اصبح نواة لجمعية راح اعضاؤها يتزايدون حتى اصبح عددهم اكثر من ٩٠٠ عضو منتشرين في مختلف انحاء الدنيا . والغريب ان هناك الان اكثر من ٢٥٠ ناديا عالميا تؤمن بشرلوك هولمز وتحتفل به كشخصية اسطورية ممتعة قلما يجود الزمان بمثلها .



والمدهش ان آرثر كونان دويل ، ذلك الطبيب الشاب الفقير ، لم يفكر في كتابة شخصية شرلوك هولمز الا بعد ان تأثر بما كتبه ادجار الان بو من قصص رائعة لم يتجاوز عددها الثلاث وقتذاك وكانت كلها تدور حول الجريمة ولا شيء غير الجريمة . ولكنه بعد ان ابتكر

شخصية هولمز أصيب بالدهشة البالغة ذلك لان أجهزة المخابرات في كل من فرنسا ومصر والصين وفي أماكن أخرى عديدة راحوا يؤسسون أجهزتهم البوليسية على ماورد بمغامرات شرلوك هولمز من تفاصيل وأعجاز . فقد بدا للكثيرين ان شخصية شرلوك هولمز شخصية حقيقية . ومن هنا يمكن اعتبار أن آرثر كونان قد سبق عصره في حل الجريمة بالوسائل العلمية ولعل ذلك بدا مناسباً بشكل خارق اiban العصور الفكتورية .



وما أن ظهرت مغامرات شرلوك هولمز في عام ١٨٩١ حتى أحدثت هذه القصص القصيرة دوياً شديداً وحساسية بالغة بين الناس ولكن ما ان مضى عامان على تأليفها حتى ملها الناس وسئموها . وفي عام ١٩٠١ بدأ شرلوك هولمز يظهر من جديد بشكل صارخ صاروخي جعل الناشر الأمريكي يدفع لكونان دويل ٨٠٠٠ جنيه استرليني أجراً لها . وكان هذا أعلى أجر تقاضاه كاتب في التاريخ . وظل كونان يواصل كتابة مغامرات جديدة حتى عام ١٩٢٧ وهو العام الذي انعم عليه فيه بلقب فارس .

وعبر السنوات راحت مغامراته تقتبس في تقديم أعمال للراديو والمسرح والتليفزيون كما أن القصص الهولمزية ترجمت الى أكثر من لغة ولهجة بما يفوق أي عمل أدبي انجليزي آخر ويدخل في ذلك أعمال شكسبير المسرحية الذي يعتبر أعظم شعراء الانجليز قاطبة . ولقد لقي هولمز رواجاً في اليابان لدرجة أنهم اعتبروه جزءاً من تراثهم . أما في روسيا فقد قدمت مغامرات هولمز في شكل مسلسلات تليفزيونية حازت إعجاب المشاهدين أيما إعجاب .

يقول ستانلي ماكنزي انه مازال يستنبط الجديد من القصص التي تدور حول شرلوك هولمز ولعل أفضل القصص القصيرة الاثيرة الى نفسه هي قصة « النصل القضي » . ويمضي فيقول : انه كلما قرأ مغامرات شرلوك هولمز أحس بالمتعة الفائقة بعد أن يركن الى السكينة ويسترجع الاحداث بينه وبين نفسه .



وقصص شرلوك هولمز التي مضى على تأليفها الان مائة عام ، مازالت اثيرة الى قلب كل قارئ في العالم . اما الوحيد الذي يمقت

شخصية البطل فهو المؤلف نفسه كونان دويل ، ايمانا منه بان كتبه الأخرى تعتبر ، في نظره ، أعمالا تاريخية ذات قيمة أدبية أكبر بكثير ، مثل كتابه عن « الشركة البيضاء » . بيد أن الريشائل راحت تنهال عليه كالمطر من جميع أنحاء الدنيا وكانت دموع القراء لا تستطيع أن تتصور أو تتخيل أن هولمز ، تلك الشخصية القوية الفائقة الذكاء يمكن أن تختفى أبدا .. وتهافت الناشرون على المؤلف من جديد وقبل كونان دويل أن يعيد هولمز الى الحياة مرة أخرى كرمز لشخص يمكن اعتباره مخزيا في ذلك الوقت اما في أمريكا فقد بيعت قصة شرلوك هولمز بنفس السرعة التي تباع بها الشطائر الساخنة .



لم يختلف شرلوك هولمز كثيرا عن باقي أبطال القصص البوليسية .. فقد كان طوله حوالي ست أقدام ، وكان أعزب ، عازفا عن الحياة الاجتماعية ، كما كان لا يلعب الشطرنج إلا لما .. بيد أنه لم يكن مقيتا في لباسه أو فظا وقحا في ألفاظه وكلامه . كما أنه لم يكن يعرف شيئا عن الأدب والفلسفة وعلم الفلك كنظيره كولومبو مثلا .. كما أنه كان يجهل كل شيء عن السياسة غير أنه كان يعرف القليل عن علم الحيوان والشيء الكثير عن الجيولوجيا والكيمياء وعلم التشريح . وكان علاوة على ذلك ملاكما « ممتازا » يستطيع أن يدافع عن نفسه وعنده المام عميق بالقانون الانجليزي كما أنه لم يكن على غرار المخبرين الآخرين المعروفين في وقته والوارد ذكرهم في القصص البوليسية الموجودة في ذلك الوقت .



باختصار كان هولمز هو الخير اما ماعداه فهو الشر . كان يجسم نقاء القانون الناصع الجلاء . بيد أنك لو قرأت قصصه بعناية لادركت من فورك أن سبب نجاحه يشوبه الكثير من التعقيد . فان فكرة هولمز للعدالة بعيدة كل البعد عن الفكرة الموجودة داخل دور العدالة إذ أنها تكاد تكون فكرة شخصية بحتة . كان من رأى هولمز أن لقاء القبض على انسان ما قد يضر شخصا لا يستحق هذا الاجراء القاسي . ومع ذلك فكلما استطاع هولمز فانه كان يمسك بالقانون بين يديه ويطبق العدالة تماما كما يفعل كل من حوله .



والآن نعود الى سير آرثر كونان دويل ، ذلك المؤلف الانجليزى
الدائع الصيت الذى طار صيته كأشهر كتاب القصة البوليسية ..
ذلك لأنه هو الذى ابتدع شخصية شرلوك هولمز ، وشخصية الدكتور
واطسن .. ولعل رواياته عن شرلوك هولمز هى أشهر ماكتب وكان من
أبرزها « علامة الاربعة » التى كتبها عام ١٨٩٠ ، و « مذكرات شرلوك
هولمز » التى ألفها عام ١٧٩٤ ثم « عودة شرلوك هولمز » التى ظهرت
عام ١٩٠٥ و « عقده الاخيرة » لعام ١٩١٧ ، و « قضية شرلوك هولمز »
المؤلفة عام ١٩٢٧ .

وقد قام وليم حيليت بتمثيل دور شرلوك هولمز على المسرح
لفترة طويلة ، وقام دويل بكتابة الكثير من الروايات التاريخية ،
منها « الشركة البيضاء » التى ألفها عام ١٨٩١ ، كما كتب مسرحية
بعنوان « قصة واترلو » فى عام ١٩٠٠ . وفى السنوات الاخيرة أصبح
من القائلين بمخاطبة الارواح . وفى عام ١٩٢٦ ألف كتابا بعنوان « تاريخ
مذهب تحضير الارواح » ، وترجم لحياته فى كتاب بعنوان « مذكرات
ومغامرات » الذى ظهر فى عام ١٩٢٤ .

امين سلامة

الجواد سيلفربليز

ذات صباح ، وأنا جالس مع صديقي شرلوك هولمز نتناول طعام الإفطار ، قال : « أخشى ، يا واطسون أنني يجب أن أسافر » - « تسافر ؟ الى أين ؟ »

« الى دارثمور - الى كنجزبايلاند » .

لم يدهشني ذلك ، وإنما الشيء الوحيد الذي أدهشني هو عدم اشتراكه في هذه القضية البالغة الغرابة ، التي كانت موضوع الحديث الوحيد في طول انجلترا وعرضها . . اخذ زميلي هولمز يجول حول الحجرة ، وظل مدة يوم كامل جالسا وذقنه على صدره وحاجباه ملتصقان . يملأ غليونه بأقوى أنواع التبغ الاسود ثم يفرغه ليملاها مرة أخرى ، وقد أصم أذنيه عن أى سؤال أو ملاحظة مني .

ارسل اليه وكيلنا الصحفي كل النسخ الجديدة لجميع الصحف . فكان يلقي عليها لمحة بسيطة ، ثم يلقي بها في احد الاركان . . ظل صامتا كما كان ، وكنت أعلم جيدا عن أى شيء يفكر . لم تكن هناك سوى مشكلة واحدة أمام الجمهور تستطيع أن تتحدى قوته على التحليل ، الا وهي اختفاء الحصان المحبوب سيلفر بليز ، المرشح لكأس وسيكس ، ومقتل مدربه . . وحينما أعلن فجأة عن عزمه على السفر الى مسرح الجريمة ، كان هذا هو ما كنت أتوقعه وآمل فيه .

قلت : « سأكون سعيدا جدا بالسفر معك ، ان لم يقف سفري في الطريق . »

« يا عزيزي واطسون ، انك تسدى الى معروفنا كبيرا بمجيئك . واعتقد أن وقتك لن يضيع سدى ، وأن هناك نقاطا في هذه القضية تجعلها فريدة تماما . وأظن لدينا وقتا كافيا لنلحق القطار في بادنجتون وسنذهب في رحلتنا الى أبعد من ذلك ، في هذا الموضوع وأكون شاكرا لو احضرت معك منظارك المقرب الرائع .

بعد ذلك بساعة أو نحوها ، وجدت نفسي في ركن إحدى عربات الدرجة الاولى بقطار السكة الحديدية ، في طريقي الى اكسيستير ، بينما جلس شرلوك هولمز قبالي ، بوجهه الحاد المتهلف ، وعلى رأسه

قبعة السفر المتدلية على اذنيه ، يتصفح بسرعة حزمة من الصحف حصل عليها من بادنجتون . وكنا قد تركنا ريدنج بمسافة طويلة عندما انتهى من آخر صحيفة منها ووضعها تحت المقعد وقدم الى علبسة السيجار .

قال هولز وهو ينظر خارج النافذة والى ساعته : « ارانا نسير بسرعة ٥٣ ميل في الساعة » .

قلت : « لم لاحظ اعمدة ارباع الميل . »

« ولا انا . ولكن اعمدة التلفراف على هذا الخط يبعد كل منها عن الاخر ستين ياردة . ومن السهل جدا حساب السرعة . اعتقد انك فكرت في موضوع مقتل جون ستريكر واختفاء الجواد سيلفر بليز ؟ »

« قرأت عنه فيما كتبه صحيفتا التلجراف ، والكرونيل » .
« انها قضية يستخدم فيها فن المحقق في تحليل التفاصيل اكثر من الحصول على مزيد من الادلة . هذه المأساة غير عادية ، وجريمة كاملة ، وذات أهمية شخصية لكثير من الناس لدرجة اننا سنعانى من كثرة الحدس والافتراض . والصعوبة هنا تكمن في فصل هيكل الحقائق - فصل الحقائق البحتة التي لا تنكر - عن زخرف أصحاب النظريات والمخبرين فاذا ما وطينا انفسنا على هذا الاساس المتين ، فان من واجبنا ان ننظر الى الموضوع من ناحية أى النتائج يمكن استنتاجها ، واى النقط الخاصة بدور حولها هذا اللفز . . تسلمت برقيتين في مساء يوم الثلاثاء من الكولونيل روس صاحب الحصان ، ومن المفتش جريجورى الذى يحقق في هذه القضية ، يطلبان معاونتى . »

فقلت مدهوشا : « مساء الثلاثاء ! ونحن الان صباح يوم الخميس ، لماذا لم تسافر امس ؟ »

« لاننى اخطأت ، يا عزيزى واطسون ، الامر الشائع الحدوث اكثر مما يمكن أى فرد ان يتصور . . الواقع اننى لن اصدق أن هذا ممكن ، أن أشهر حصان فى انجلترا يظل مخبئا كل هذه المدة ، ولا سيما فى منطقة سكانها قليلون ، متناثرون هنا وهناك ، مثل دارتمور . وكنت أتوقع بالامس ، من ساعة الى ساعة ، أن اسمع نبأ العثور عليه ، وأن خاطفه هو قاتل جون ستريكر . فلما جاء صباح آخر ، ولم يستجد شيء أكثر من القبض على الشاب فيتزروى سيمبسون ،

شعرت بأنه آن الاوان للعمل . ومع ذلك ، فلا أعتقد ان الامر ضاع
سدى . »

« اذن ، فهل وجدت نظرية ؟ »

« على الاقل ، أمسكت بالحقائق الاساسية فى هذه القضية ،
وسأعدها لك . فما من شيء يوضح القضية اكثر من ذكر وقائعها
لشخص آخر . وقلما أتوقع امكان معاونتك لى ان لم أبين لك من أين
نبدا . »

« أسندت ظهري الى الوسائد التى خلفى ، واخذت ادخن
السيجار ، بينما انحنى هولز الى الامام واخذ يعدد الحقائق
بسبائته الرفيعة فوق راحة يده اليسرى . وبدا أعطاني فكرة اجمالية
عن الاحداث سبب سفرنا .

قال : « سيلفر بليز حصان من اصل ممتاز وسجله رائع مثل
سجل سلفه . وهو الان فى الخامسة من عمره ، وفاز بجميع جوائز
السباق للكولونيل روس صاحبه المحظوظ . وحتى وقت هذه
الفاجعة ، كان هو المحبوب الاول لكأس وسيكس . والمراهنة عليه
ثلاثة الى واحد . وعلاوة على ذلك كان المحبوب الاول لجمهور السباق ،
ولم يخيب أملهم قط . وقد راهنوا عليه بمبالغ ضخمة ، حتى ولو
كان معه خيول تكاد تكون من رتبته . لذا كان من الجلى ان هناك
اشخاصا ، من صالحهم منع سيلفر بليز من ان يكون فى حلبة
السباق وقت هبوط العلم يوم الثلاثاء القادم .

« وبالطبع قدرت هذه الحقيقة فى كنجز بايلاند حيث يوجد
اسطبل التدريب الخاص بالكولونيل روس . . وقد اتخذت جميع
الاحتياطات لحراسة ذلك الجواد المحبوب ومدربه جون ستريكر ،
الجوكى المتقاعد . كان يركب الخيول تحت راية الكولونيل روس قبل
ان يصير ثقيل الوزن على كرسي الميزان . . خدم الكولونيل لمدة خمس
سنوات كجوكى ، وسبع سنوات كمدرّب . وكان دائم التفانى فى
عمله ، وخادما أميناً . وكان تحت امرته ثلاثة سياس اذ كان العمل
صغيرا يتناول اربعة خيول فحسب . وكان احد هؤلاء السياس
الثلاثة يبيت فى الاسطبل ليلة بينما ينام الاخران فى الحجرة العليا
ويتناوبون العمل فيما بينهم . وكانوا جميعا مستقيمي السلوك
ذوى اخلاق سامية . اما جون ستريكر المتزوج فكان يعيش فى فيلا
تبعد عن الاسطبلات بمسافة مائتى ياردة . ولم ينجب اطفالا وانما
لديه خادمة واحدة ، ويعيش سعيدا . والمنطقة حول هذه المباني

منعزلة . وعلى مسافة نصف ميل الى الشمال مجموعة صغيرة من
الفيلات بناها أحد المقاولين في تافيستوك لاستعمال المرضى ومن اليهم
ممن يرغبون في هواء دارتمور النقي . وتقع تافيستوك نفسها على
مسافة ميلين الى الغرب بينما يوجد في تلك المنطقة نفسها على
مسافة حوالي ميلين ، مقر التدريب الاكبر الخاص بكابلتر ويملكه
لورد باكوتتر . هـ سيلاس براون . أما في أى اتجاه آخر فتري
أنه لديها وسائل حديثة ضبط بها حركاتك وسنتاتك حتى لاتهمس
المنطقة برية مقفرة لا يقطنها سوى قلة من الفجر . هكذا كان الموقف
العام في ليلة الاثنين الماضي اذ حدثت المصيبة .

« في ذلك المساء ، دربت الخيول وشربت كالمعتاد ، واقفلت
الاسطبلات في الساعة التاسعة مساء . فذهب سايسان الى بيت
المدرّب حيث تناولوا العشاء في المطبخ ، بينما بقي الثالث في الاسطبل
لحراسته . وبعد التاسعة بضع دقائق ذهبت الخادمة اديث باكستر
الى الاسطبل تحمل عشاء السايس الثالث يند هنتر ويتألف من طبق
من لحم الضأن المتبل . ولم تحمل اليه أى سنوائل . اذ كان
في الاسطبل حنفية للماء النقي . وكانت القاعدة المتبعة هناك ، أن
السايس الذى عليه الدور في الحراسة لا يشرب أى سنوائل غير الماء .
حملت الخادمة معها فانوسا اذ كان الطريق مظلمًا جدًا ، والممر الذى
تسير فيه يخرق الارض العشوشية .

« ولما كانت اديث باكستر على مسافة ثلاثين ياردة من
الاسطبلات ، خرج لها رجل من وسط الظلام ، وناداهما لتقف ،
فوقفت وقد تسرب الخوف الى قلبها . ولما صار الرجل في دائرة ضوء
الفانوس الاصفر ، أمكنها أن ترى أنه رجل وسيم التقاطيع يرتدى
حلة رمادية من التويد ويلبس قبعة من القماش و « جيتير » فوق
حذائه وحول عنقه رباط رقبة احمر اللون ذو خطوط سوداء . ومع
ذلك فقد تأثرت بلونه الشاحب ، وحالته العصبية ، وتعتقد أنه يبلغ
من العمر أكثر من ثلاثين عاما ، وليس اقل من ذلك .

فابتدراها ذلك الرجل بسؤال يقول : « أيمكنك أن تخبريني أين
انا ؟ كنت أعتزم أن أنام فوق الارض العشوشية قبل أن أرى ضوء
فانوسك . »

قالت : « أنت قريب من اسطبلات تدريب كنجز بايلاند . »
فصاح الرجل يقول : « آه ! اهذا حقيقى ؟ ياله من حظ حسن
.. أعلم أن سايسا من عمال الاسطبل يبيت هناك وحده في كل ليلة .

ربما كان هذا عشاءه ، الذى تحميلينه اليه ، والان ، أنا على يقين من أنك لن تمتنعى عن كسب ثمن فستان جديد ، فهل تمتنعين ؟ » قال هذا وأخرج قطعة ورق بيضاء مطوية ، من جيب صديريته ، وقال : « أعطى هذه الورقة للسايس الموجود فى الاسطبل هذه الليلة ، تنالى أجمل فستان يمكن للنقود أن تشتريه . »

« خافت الخادمة بسبب حدة أخلاقه ، وجرت أمامه الى النافذة التى اعتادت أن تعطى السايس الطعام خلالها ، وكانت مفتوحة وقتذاك . رأت هنتر جالسا الى المائدة الصغيرة بداخل الاسطبل فأخبرته بما حدث . وبينما هي تتكلم ، اذا بالرجل الغريب يأتى مرة أخرى . »

« أطل الرجل من النافذة وقال : « مساء الخير ، أردت أن أتحدث اليك بكلمة . » وأقسمت الفتاة على أنه عندما تكلم ، لاحظت هي ، طرف الكيس الورقى الصغير بارزا من يده المقفلة . فسأله السايس بقوله : « أى شأن لك هنا ؟ » .

فقال الرجل : « انه شأن يجعلك تضع شيئا فى جيبك . لديك حصانان لكأس وسيكس ، هما سيلفر بليز ، وبايارد . أعطنى الخبر الصحيح ، ولن تكون خاسرا . أحقيقى أن الاوزان التى يستطيع بايارد أن يعطيها الحصان الآخر ، هى مائة ياردة فى كل ٥ فرلونج « الفرلونج = ٢٢٠ ياردة » وأن الاسطبل وضع نقوده عليه ؟ فصاح السايس يقول : « اذن ، فأنت أحد سماسرة السباق الاندال الملاعين . سأريك كيف نخدمهم فى كنجزبايلاند .

قفز الفلام من مقعده واندفع وسط الاسطبل ليحل رباط الكلب . فهربت الفتاة الى البيت . ولكنها وهى تجرى ، نظرت خلفها فرأت الغريب منحنيا خلال النافذة . وبعد ذلك بدقيقة عندما اندفع هنتر خارجا مع الكلب ، كان الرجل الغريب قد اختفى . ورغم أن السايس جرى يتطلع حول المبنى كله ، لكنه لم يعثر له على أثر . « قلت : « لحظة من فضلك . هل ترك السايس باب الاسطبل خلفه مفتوحا عندما خرج يجرى مع الكلب ؟ »

فتمتم رفيقى يقول : « رائع ، ياواطسون ، رائع ! شغلتنى أهمية هذه النقطة كثيرا حتى اننى أرسلت برقية خاصة الى دارتمور بالامس لجلاء الامر . أغلق السايس الباب خلفه قبل أن يفساد الاسطبل . والنافذة ليست واسعة فتسمح لرجل بالدخول منها . »

« انتظر هنتر حتى رجع زميلاه فأرسل كلمة الى المدرب يخبره بما حدث . فثار سترىكر عند سماعه هذه الاخبار ، ولو أنه لم يدرك

اهميتها الحقيقية . ولكنه قلق قلقا غامضا . واستيقظت مسرعا
ستريكر في الساعة الواحدة صباحا لتجد زوجها يرتدى ملابس
الخروج . وردا على أسئلتها ، أخبرها بأنه لم يستطع النوم لقلقه على
الخيول ، وأنه ينوى الذهاب الى الاسطبلات ليطمئن على أن كل شيء
على مايرام . فتوسلت اليه أن يبقى في البيت ، وأنها تسمع المطر
ينهمر وأبلا على النوافذ . ولكنه على الرغم من كل توسلاتها ارتدى
معطف المطر وغادر البيت .

استيقظت مسرعا ستريكر في الساعة السابعة صباحا لتجد أن
زوجها لم يرجع بعد . فارتدت ملابسها بسرعة وخرجت متجهة الى
الاسطبلات ، فرائ الباب مفتوحا وهنتر بالداخل في غيبوبة تامة ،
وموضع الجواد المحبوب خاويا ولا اثر لمدربه .

أوقف السائسان اللذان ينمان في مخزن التبن فوق حجرة
السروج ، بسرعة . لم يسمعا شيئا اثناء الليل اذ كانا ينمان نوما
عميقا . ومن الجلى أن هنتر كان تحت تأثير عقار مخدر قوى . واذ
لم يمكن الحصول على أى كلام منه ، خرجت المراتان والسائسان
ليبحثوا عن الغائبين . وكان الامل لايزال يحدوهم في أن المدرب أخذ
الحصان للتدريب في الصباح الباكر . ولكن عندما هبطوا التل قريبا
من البيت حيث تمكن رؤية السهل المعشوشب كله ، لم يستطيعوا
فقط أن يروا أى أثر للحصان المحبوب ، ولكنهم أبصروا شيئا
حذرهم من وجود مأساة .

« على مسافة حوالى ربع ميل من الاسطبلات ، كان معطف
جون ستريكر يرفرف على شجيرة كثيرة الاشواك ، ووراءها مباشرة
تجويف غائر في الارض بهيئة « سلطانية » ، ولما ذهبوا الى ذلك
التجويف ، رأوا في قاعه جثة المدرب السيء الحظ مهشم الرأس
بضربات وحشية من سلاح ثقيل ، وبفخذه جرح طويل غائر ، من
الجلى أنه حدث بسلاح حاد جدا . كما كان واضحا أيضا أن ستريكر
دافع عن نفسه بعنف ضد مهاجميه ، اذ كان يمسك في يده اليمنى
سكينا صغيرة ، بينما يمسك في يسراه رباط رقبة حريريا لونه أحمر
وأسود ، تعرفت عليه الخادمة على أنه رباط الرقبة الذى كان يلبسه
الرجل الغريب الذى جاء الى الاسطبلات في الليلة الماضية .
« عندما أفاق هنتر من غيبوبته ، كان متأكدا أيضا من ملكية
رباط الرقبة ، كما كان على يقين من أن ذلك الغريب وضع له المخدر

في اللحم المتبل اثناء وقوفه عند النافذة ، وبدا جرد الاسطبلات من حارسها .

« أما عن الحصان القائب ، فهناك أدلة كثيرة في الطين الموجود عند قاع التجويف ، موضع القتل ، على أن الحصان كان هناك وقت النضال . ولكنه اختفى منذ ذلك الصبح . ورغم عرض مكافأة ضخمة ، ويقظة جميع الفجر المقيمين في دارتمور ، فلم تأت أى انباء عنه . وأخيرا ، أبان التحليل أن بقايا العشاء الذي تركه السائس المكلف بالحراسة في تلك الليلة ، تحتوى على كمية كبيرة من الافيون المسحوق ، بينما تناول من كانوا في المنزل من نفس ذلك الطبق وقى نفس تلك الليلة ، دون ان يصيبهم أى أثر سيئ .

« هذه هي الحقائق الرئيسية لهذه القضية عارية من أى تحقيق أو تزويق ومروية بأسلوب بسيط قدر الامكان . . وسأراجع الآن ما فعله البوليس في هذا الموضوع .

« المفتش جريجورى ، الذى عهد اليه التحقيق في هذه القضية ، ضابط قدير عظيم الكفاءة ، ولو وهب قوة الخيال لارتفع الى درجات سامية جدا في مهنته . فعند وصوله ، وجد بسرعة ذلك الرجل الذى تحوم حوله الشبهة طبيعيا ، وقبض عليه . لم يجد صعوبة في العثور عليه ، لأنه كان معروفا جيدا في تلك المنطقة ، واسمه فيتزروى سيمبسون كان رجلا شريف المولد ممتاز التعليم ، بذر ثروة كبيرة في سباق الخيل ، ويكسب عيشه الآن من المراهنات الهادئة على سباق الخيول في نوادى السباق بلندن . وبفحص مراهناته تبين انه سجل مراهنات على سيلفريتلينز تبلغ خمسة آلاف جنيه .

حينما قبض على سيمبسون ، تطوع بالاعتراف بأنه جاء الى دارتمور أملا في الحصول على بعض المعلومات عن خيول كنجز بايلاند ، وكذلك عن ديزبره ، المحبوب الثانى الذى في عهدة المدرب سيلاس براون في اسطبلات كابلتون . لم يحاول انكار المسلك الذى نسب اليه في تلك الليلة ، ولكنه أنكر وجود أية خطط إجرامية لديه ، بل كان كل غرضه هو الحصول على معلومات أكيدة عن هذه الخيول . وعند مواجهته برباط الرقبة ، امتقع لونه ولم يستطع تفسيراً لوجوده في يد القتل . واتضح من ابتلال ملابسه ، أنه كان بالخارج وقت العاصفة في الليلة الماضية . أما عضاه فهي من نوع بينانج ، المحشوة بالرصاص ، وبدا أحدثت الضربات المتكررة بها ، تلك الإصابات الفظيعة التى أودت بحياة المدرب .

« ومن ناحية أخرى ، فلم يكن بجسمه أى جرح ، مع أن سكين ستريكر تدل على أن واحدا على الأقل من مهاجميه لابد أن يحمل علامة تلك السكين . . وهاتلدا عرفت كل شيء باختصار ، ياواطسون فلو أقيت ضوءا على هذه القضية ، أكون لك شاكرا جدا . »

أصغيت بانتباه الى الحقائق التى وضعها أمامى هولمز بتوضيحه المصهور ، رغم أننى كنت على علم بمعظم هذه الوقائع ، ولكننى لم أقدر أهمية كل منها بالنسبة الى الآخر ، أو علاقته به .

قلت : « أليس من الممكن أن يكون الجرح الذى فى فخذ ستريكر قد أحدثته السكين التى فى يده أثناء النضال العنيف التشنجى الذى يعقب أية إصابة فى المخ ؟ »

فقال هولمز : « هذا أكثر من ممكن . وفى هذه الحال ، تختفى إحدى النقاط الرئيسية التى فى صالح المتهم . »

فقال زميلى : « أخشى أن تلقى أية نظرية تذكرها ، اعتراضات كثيرة . فان البوليس يتصور أنه بعد أن خدر فيتزروى سيمبسون الساييس ، وبعد أن حصل بطريقة ما على نسخة من المفتاح فتح باب الاسطبل ، وأخرج الحصان بقصد خطفه كلية . وعلاوة على هذا ، فان لجامه غير موجود مما يدل على أن سيمبسون لابد أن وضع له اللجام . وبعد أن ترك الباب مفتوحا خلفه ، انطلق بالحصان فوق السهل المشوشب ، حيث التقى بالمدرّب ، أو المدرّب لحق به . وبطبيعة الحال حدث التحام ، فانهال سيمبسون بعصاه الثقيلة على رأس المدرّب دون أن يصاب بأقل أذى من السكين الصغيرة التى استخدمها ستريكر فى الدفاع عن نفسه . بعد ذلك ، أما أن يكون اللص قد انطلق بالحصان الى مخبأ ، أو أن الحصان هرب أثناء التلاحم ، وهو الآن يجول فوق السهل المشوشب بهذه هى القضية كما يراها البوليس . ورغم كونها غير محتملة ، فان التفسيرات الأخرى غير محتملة أيضا . ومع ذلك فأننى سأدرس الموضوع بمجرد وصولى الى مسرح الجريمة . وحتى عند ذلك فلا أستطيع أن أرى كيف سيمكننا أن نتقدم أكثر من مركزنا الحالى . »

حل المساء قبل وصولنا الى بلدة تافيستوك الصغيرة التى تقع مثل سرة الدرع فى وسط دائرة دارتمور الكبرى . وكان بانتظارنا عند المحطة رجلان ، أحدهما فارع الطول أبيض البشرة ، ذو شعر ولحية كشعر الاسد ، وعينين زرقاوين فاحصتين بصورة غريبة . أما الآخر فرجل صغير متيقظ ، أثيق الهمد ، يرتدى معطفا قصيرا ،

و « جيتز » ، ويمتد عارضاه الى اسفل اذنيه ، ويضع على عينه اليمنى نظارة لعين واحدة (مونوكل) . هذا الاخير هو الكولونيل روس الرياضى المشهور . اما الآخر فهو المفتش جريجورى الذى شهر اسمه بسرعة فى ادارة البوليس السرى الانجليزى .

قال الكولونيل : « سرنى مجيئك يامستر هولز . قام المفتش هنا بعمل كل مايمكن اقتراحه ولكنى اود ألا اترك أى شىء يفوتنا لكى انتقم لموت ستريكر المسكين ، واستعادة حصانى . »

فسأله هولز بقوله : « هل حدث أى تقدم جديد ؟ » فقال المفتش : « يؤسفنى أن أقول أننا لم نحز إلا تقدما بسيطا جدا . لدينا عربة مفتوحة خارج المحطة . وبما أنك تود رؤية المكان قبل أن يخيم الليل ، فممكننا أن نتكلم ونحن فى طريقنا بالعربة الى هناك .

بعد ذلك بدقيقة ، كنا جميعا جالسين فى عربة « لاندو » خلال بلدة ديفونشير القريبة . كان المفتش جريجورى ملما بقضيته كل الامام ، فألقى سيلا من الملاحظات ، بينما يصفى هولز ، ويلقى بين آن وآخر سؤالا أو تفسيراً . وأسند الكولونيل روس ظهره فى العربة ووضع ذراعيه واحدة فوق أخرى ، وأمال قبعته فوق عينيه ، بينما كنت أنا اصفى باهتمام للحوار الدائر بين قطبى البوليس السرى . صاغ جريجورى نظريته التى تكاد تشبه تماما ما ذكره لى هولز فى القطار . أبدى هولز ملاحظته قائلا : « الشبكة تلتف تماما حول فيتزروى سيمبسون ، وأنا شخصيا اعتقد أنه رجلنا . غير اننى ، فى الوقت نفسه ، أرى أن الادلة ضده كلها استنتاجية بحتة ، وقد يمحوها تقسيم جديد . »

« وماذا عن سكين ستريكر ؟ »
« لقد استنتجنا أنه جرح نفسه اثناء سقوطه أبدى صديقى الدكتور واطسون هذا الاقتراح ونحن قادمان . فان كان الامر هكذا ، صار دليلا ضد ذلك الرجل سيمبسون . »
« بلا شك ، فليس لديه سكين ، وليس به أى اثر لجرح . لذا كان هذا الدليل ضده قويا جدا بكل تأكيد . فله صالح عظيم فى اختفاء ذلك الحصان ، ويشتهر فى أنه خدر السائس الحساسرس للاسطبل ، كما أنه خرج اثناء العاصفة ، وكان مسلحا بعصا ثقيلة ، ووجد رباط رقبتة فى يد القتيل . واعتقد حقا أن لدينا مايكفى لنذهب امام جماعة من المحلفين . »

هز هولمز رأسه وقال : « ان دفاعا بارعا قد يحطم كل ذلك .
ماذا يدعو الى اخذ الحصان من الاسطبل ؟ فاذا كان يريد ايداءه ،
فلماذا لم يؤذه داخل الاسطبل ؟ هل وجدت معه نسخة من المفتاح ؟
واى صيدلى باعه مسحوق الافيون ؟ وفوق كل هذا ، اين يمكنه اخفاء
مثل هذا الحصان الشهير ، وهو غريب عن المنطقة ؟ وما هو تفسيره
عن الورقة التى اراد ان يعطيها للخادمة كي توصلها الى الساييس ؟ »
« قال انها ورقة بعشرة جنيهات . وجدت ورقة بعشرة جنيهات
فى وقاضه . اما مشاكلك الاخرى فليست فظيعة كمما تبدو .
وسيمبسون هذا ليس غريبا عن المنطقة اذ اقام مرتين فى تافيستوك
اثناء الصيف . ومن المحتمل ان يكون اشترى الافيون من لندن .
واما المفتاح ، فبعد ان ادى الغرض منه ، القاه فى مكان ما . وقد
يكون الحصان فى قاع احدى الحفر او التجاويف ، او فى احد المناجم
بتلك المنطقة . »

« وماذا قال عن رباط الرقبة ؟ »

« اعترف بملكيتته له ، وقال انه ضاع منه . الا ان عنصرا جديدا
استجد فى القضية يفسر اخذه الحصان من الاسطبل . »
ارھف هولمز اذنيه .

« وجدنا آثارا تدل على ان جماعة من الفجر اقاموا خيامهم
فى ليلة الاثنين على مسافة ميل من المكان الذى قتل فيه المدرب .
وفى يوم الثلاثاء انصرفوا . فلو فرضنا حدوث تفاهم بين سيمبسون
وهؤلاء الفجر وبدا اودع الحصان عندهم حينما شعر بأنه يطارده ،
فهل يكون الحصان لديهم الان ؟ »
« بالتأكيد ، هذا ممكن . »

« فتشنا المنطقة عن هؤلاء الفجر ، كما فحصنا كل اسطبل
وكل كوخ فى تافيستوك وفى دائرة قطرها عشرة أميال »
« أعلم ان هناك اسطبل تدريب قريبا جدا »
« نعم ، وهذا عامل يجب الا نهمله ، ما فى ذلك شك . فلما كان
حصانهم ديزبره هو الثانى فى المراهنة ، فلهم صالح فى اختفاء
سيلفر بليز . والمعروف ان سيلاس براون مدربه قد راهن بمبالغ
كبيرة على هذا الحادث ، ولم يكن صديقا لستريكر المسكين . وقد
فحصنا اسطبلاته فلم نجد بها شيئا يمكن ان يجعل له علاقة بهذا
الموضوع . »

« الا يوجد شيء يجعل لسيمبسون هذا علاقة بمصالح اسطبلات
كابلتون ؟ »

« لا شيء اطلاقا . »

انحنى هولمز الى الخلف في العربة ، وتوقف الحديث . وبعد بضع دقائق ، وقفت العربة امام فيلا صغيرة أنيقة من الطوب الاحمر ذات سقف ممتد الى الخارج ، قائمة على الطريق . وعلى مسافة ما ، خلال متنزه صغير ، يوجد مبنى صغير ذو سقف من القرميد الرمادي ، خارج بيت . هذا فتشناه ايضا . وتمتد المنحنيات المنخفضة في كل جهة من السهل العشوشب ، وقد تحول لونها الى البرنزي بسبب اعشاب السرخس الذابلة ، وتمتد الى خط الافق ، لا يرتفع وسطها سوى منائر كنائس بلدة تافيستوك وبعض مجموعات من البيوت الممتدة غربا التي بها اسطبلات كابلتون . نزلنا جميعا من العربة ، ما عدا هولمز الذي استند بظهره الى الخلف وثبت عينيه نحو السماء امامه ، منهمكا في افكاره الخاصة ، ولم ينتبه الا عندما لمست ذراعه ، فنهض مذعورا وخرج من العربة .

قال هولمز وهو يستدير نحو الكولونيل روس الذي نظر اليه في شيء من الدهشة : « عفوا ، فقد كنت غارقا في التفكير . » كان في عينيه بريق وانفعال مكبوت ، اقنعاني ، انا الذي الفت طريقه ، بأن يده وقعت على مفتاح لحل هذه القضية ، ولو انني لا أستطيع أن أتصور أين وجده .

فقال جريجورى : « ربما فضلت أن تذهب الى مسرح الجريمة مباشرة ، يامستر هولمز ؟ »

« أظننى أفضل البقاء هنا قليلا ، واسأل سؤالا أو اثنين عن بعض التفاصيل . أعتقد أن ستريكر أحضر ثانياة الى هنا ، أهذا صحيح ؟ »

« نعم ، وهو بالدور العلوى . والتحقيق غدا . »

« كان في خدمتك بعض السنين ، ياكولونيل روس ؟ »

« كنت أراه دائما خادما ممتازا . »

« أعتقد أنك جردت ما كان في جيوبه وقت موته ، أيهيسا

المفتش ؟ »

« لدى الاشياء نفسها في حجرة الجلوس اذا راقك أن تراها . »

« يسرنى ذلك . »

دخلنا جميعا الحجرة الامامية ، وجلسنا حول المائدة الوسطى ، ففتح المفتش قفل علبة من الصفيح ووضع امامنا كومة صغيرة من

الاشياء . . كان هناك علبة ثقاب من الشمع ، وشمعة طولها خمسي بوصات وجليون ، وكيس من جلد عجل البحر به نصف أوقية من تبغ كافنديش ، وساعة فضية وسلسلة ذهبية ، وخمسة جنيهات ذهباً ، وعلبة قلم من الألومنيوم ، وقليل من الأوراق ، وسكين ذات مقبض من العاج ولها نصل رفيع جداً غير قابل للالتواء مكتوب عليه وايس وشركاؤه بلندن .

قال هولمز : « هذه سكين طريفة جداً » ورفعها الى أعلى وفحصها بعناية ثم استطرد يقول : « أعتقد أنني ما دمت أرى عليها بقع دم ، فهي السكين التي وجدت في قبضة القاتل . من المؤكد ، يا واطسون ، أن هذه السكين من اختصاصك » .

قلت : « أنها ما نسميه شرط الكاتاراكنا » .

« أعتقد هذا . انه نصل دقيق جداً ، مصمم للعمليات الجراحية الدقيقة . ومن الغريب جداً أن يحملها رجل في رحلة كهذه ، لأنها لا يمكن أن تقفل في جيبه » .

قال المفتش : « وجدنا قرصاً من الفلين لحماية سننها ، بجانب جيبته . ثم ان زوجته أخبرتنا بأن هذه السكين كانت موضوعة على التريشة منذ عدة أيام ، وأنه أخذها حينما غادر الحجرة . أنها سلاح ضعيف للدفاع عن النفس ، ولكن ربما كانت خير مافي متناول يده وقتذاك » .

« ممكن جداً . وماذا عن الأوراق ؟ » .

« ثلاث منها للمبالغ التي تسلمها تاجر الدريس ، وواحدة خطاب يحمل تعليمات من الكولونيل روس ، والورقة الأخيرة فاتورة من محل أزياء للسيدات بمسبعة وثلاثين جنيهاً وخمسة عشر شلناً ، صادرة من مدام لزورييه في بوندستريت الى وليم دار بيشير ، ويسؤال مسز ستريكر ، قالت ان دار بيشير هذا صديق زوجها ،

« وأحياناً كانت خطاباته تأتي على عنواننا » .

نظر هولمز الى مفردات الحساب وأبدى ملاحظته قائلاً : « ان مدام دار بيشير هذه لها مزاج في الملابس الباهظة الثمن . ان اثنين وعشرين جنيهاً مبلغ كبير جداً لفستان واحد . ومع ذلك ، يبدو أنه لا شيء أكثر من ذلك يمكننا أن نعلمه . والآن بوسعنا ان نهبط ونذهب الى مسرح الجريمة » .

حينما خرجنا من حجرة الجلوس ، كانت هناك امرأة تنتظر

في المر ، فتقدمت ووضعت يدها على كم المفتش . كان وجهها هزيلا
شاحب اللون ، تبدو عليها اللفهة وآثار فزع حديث .
قالت وهي تلهث : « هل وجدتهم ؟ هل وجدتهم ؟ » .
« كلا ، يا مسز ستريكر . ولكن المستر هولمز هنا ، جاء من
لندن ليساعدنا ، وسنعمل كل ما هو ممكن » .
فقال هولمز : « من المؤكد أنني رأيتك في بلايموث في حفل
بالحديقة ، من وقت قريب يا مسز ستريكر » .
« كلا ، يا سيدي أنت مخطيء » .
« يمكنني أن أقسم على هذا ، يا عزيزتي . وكنت مرتدية
فستانا من الحرير في لون اليمام وبه حلقات من ريش النعام » .
فقالت السيدة : « لم يكن عندي مثل هذا الفستان ، اطلاقا ،
يا سيدي » .

فقال هولمز : « هذا يسوى الموضوع تماما ، واعتذر ، ثم تبع
المفتش الى الخارج . فسرنا لمدة قصيرة عبر السهل المشوش الى
التجويف الذي وجدت به الجثة ، وعلى حافتها الشجيرة الشوكية
التي علق عليها المعطف .

فقال هولمز : « أعلم أنه لم تكن هناك ريح في تلك الليلة » .
« لم يكن هناك ريح ، وإنما كان هناك مطر غزير » .
« إذن فالريح لم تطر المعطف الى الشجيرة بل وضع عليها » .
« نعم ، وضع على الشجيرة » .
« أنك تملؤني إعجابا ، أرى أن الأرض وطئت كثيرا . لا شك
في أن أقداما عديدة كانت هنا منذ ليلة الاثنين » .
« وضعت قطعة من البساط في أحد الجوانب ووقفنا جميعا
فوقها » .

« رائع » .

« احتفظ في هذه الحقيبة بإحدى فردتي الحذاء الذي كان
يلبسه ستريكر ، وإحدى فردتي حذاء فريتر سيمبسون ، وقال
لحدوة حافر سيلفر بليز » .

« أنك لتدهشني أيها المفتش » . قال هولمز هذا ، وأخذ
الحقيبة ونزل الى التجويف . فوضع قطعة البساط الى وضع يتجه
نحو الوسط أكثر من ذي قبل ، ثم استلقى على وجهه وأسند ذقنه
على يديه وفحص بعناية الطين الذي أمامه والذي وطىء .
فقال هولمز فجأة : « مرحى ! ما هذا ؟ » .

انه عود ثقاب من الشمع نصف محترق ومغطى بالطين حتى
بدا اولا كشظية صغيرة من الخشب .
فقال المفتش بلهجة المتضايق : « كيف حدث اننى لم الاحظ
هذا ؟ » .

« لم يكن ظاهرا للعين ، وانما كان مدفونا فى الطين ، ولم ابصره
الا لاننى كنت أبحث عنه » .
« ماذا ! توقعنا أن نجده ؟ » .

« اعتقدت أنه غير جائز » قال هذا واخرج الاحذية من الحقيبة ،
وقارن كل حذاء منها بالآثار الموجودة على الارض ، ثم صعد الى
الحافة وزحف وسط أعواد السرخس والشجيرات .

قال المفتش : « أخشى انه لا توجد آثار أخرى . لقد فحصت
بعناية كبيرة لمسافة مائة ياردة من كل ناحية » .

قال هولمز وهو ينهض : « حقيقة » ! ما كان لى أن اتجرا بمثل
هذه الوقاحة على أن أفحصها ثانية بعد أن قلت انك فحصتها .
ولكنى أود أن أسير قليلا على السهل المشوش قبل أن يأتى الظلام ،
حتى يمكننى معرفة الأساس الذى أعمل بمقتضاه غدا . واظننى
سأضع حدود الحصان هذه فى جيبى لتأتينى بحسن الحظ » .

نظر الكولونيل روس الى ساعته بعد أن أبدى بعض القلق من
طريقة عمل زميلى الهادئة المنظمة ، فقال :

« أود أن تعود معى ، أيها المفتش . هناك كثير من الامور أرغب
فى الاسترشاد بنصحك فيها ، ولا سيما فيما اذا كنا نعلن للجمهور
أنا سنشطب اسم حصاننا من مسابقة الكأس » .

فصاح هولمز باصرار : « طبعاً لا ، أريد ان يبقى الاسم » .
انحنى الكولونيل ، وقال : « يسرنى أن أعمل برأيك ،
يا سيدى . ستجدنا فى بيت ستريكر المسكين بعد أن تنتهى من
جولتك ، وعندئذ يمكننا أن نركب العربىة معا الى تافستوك » .

استدار الكولونيل بعد ذلك ورجع مع المفتش ، بينما سرت
انا وهولمز ببطء خلال السهل المشوش . وقد بدأت الشمس تغيب
وراء اسطبلات كابلتون ، واصطبغ السهل الطويل المنحدر الممتد امامنا
باللون الذهبى الذى تحول بعده الى البنى المائل الى الحمرة ، بينما
التقطت أعواد السرخس والاشواك ضوء المساء . غير ان أمجاد جمال
المنظر الطبيعى ضاعت كلها باستغراق زميلى فى اعمق تفكير .

وأخيرا التفت الى هولمز وقال : « طريقنا الآن ، يا واطسون ،

أن نترك قضية قاتل ستريكر ونركز بحثنا على مصير الحصان .
افرض أنه انطلق هارباً أثناء المأساة أو بعدها ، فالى أين يمكن أن
يذهب ؟ والحصان مخلوق اجتماعي بطبعه ، إذا ترك وشأنه فاما أن
يعود الى كنجز بايلاند واما أن يذهب الى كابلتون . أنه لا يعود
وحشياً يعدو فوق أعشاب السهل . لابد أن يكون قد رأى الآن .
ولماذا يخطفه الفجر ؟ يرحل أولئك القوم دائماً عندما يسمعون عن
حادث ، لأنهم يتحاشون باستمرار ازعاج البوليس لهم . ولا يمكن
أن يفكروا في بيع مثل هذا الحصان والا زجوا بأنفسهم في مخاطرة
كبيرة ، ولا يربحون منها شيئاً . هذا واضح أكيدا .
« اذن ، فأين هو ؟ »

« قلت من قبل : اما أن يكون قد ذهب الى كنجز بايلاند أو الى
كابلتون . وبما أنه غير موجود في كنجز بايلاند ، اذن فلا بد أن يكون
في اسطبلات كابلتون . لنركز كل عملنا على هذا الاساس ، وننتظر
الى أين يقودنا . . هذا الجزء من السهل صلب وجاف ، كما قال
المفتش ، ولكنه يمتد منخفضاً نحو كابلتون ، وبوسعك أن ترى من
هنا ، أن هناك تجويفاً طويلاً لابد أنه كان مبتلاً في ليلة الاثنين . فلو
كان فرضنا صحيحاً لكان من المؤكد أن الحصان عبر ذلك التجويف
ويمكننا أن نقتفى أثره » ،

أخذنا نسير حثيثاً أثناء ذلك الحديث ، وبعد بضعة دقائق
وصلنا الى التجويف ، وتبعاً لطلب هولمز ، سرت أنا على الجانب الايمن
لهذا التجويف بينما سار هو على جانبه الايسر ، وما كدت أسير
خمسین خطوة حتى سمعته يرسل صيحة ، ويلوح لى بيده . من
الجلي أنه رأى أثر حوافر حصان في الارض الرخوة أمامه . وقد
طابقت حدوة الحصان التي أخذها من جيبه ، الاثر الذي عثر عليه
تمام المطابقة .

فقال هولمز : « اترى قيمة التصور ، انه الصفة الضرورية
الوحيدة التي تنقص جريجورى . تصورنا مايمكن أن يكون قد
حدث ، وتحركنا تبعاً لفرضنا . وفي دقائق معدودات وجدنا أنفسنا
قد كوفئنا . ولنبدأ العمل الآن . »

عبرنا القاع المبتل ، وسرنا فوق السهل العشوشب مسافة ربع
ميل من الارض الجافة . واستمرت الارض في الانحدار ثانياً ،
ووصلنا مرة أخرى الى الاثر . ثم ضاع الاثر منا لمسافة نصف ميل ،
ليعاود الظهور ثانياً قريباً من كابلتون . كان هولمز هو الذي أبصر

الآثر أولا ، فوقف يشير وقد تجلت على وجهه سيماء الانتصار .
كان هناك أثر أقدام رجل بجانب أثر حوافر الحصان .
صحت أقول : « كان الحصان وحده من قبل . »
« هو هكذا ، بالضبط . مرحى ! ما هذا ؟ »

دار الآثر دورة حادة الى ناحية كنجز بايلاند ، فصفرو هولمز ،
وتبعنا ، كلانا ، ذلك الآثر . كانت عيناه على الآثر ، وتصادف أننى
نظرت قليلا الى احد الجانبين ، فرأيت ما أدهشنى . رأيت نفس
الآثار تعود ثانية فتستدير فى الاتجاه المضاد .

قال هولمز حينما أشرت الى ذلك : « هذه واحدة لك يا واطسون .
كفيتنا سيرا طويلا كان سيقودنا ثانية الى آثار أقدامنا نحن أنفسنا .
فلنتبع ذلك الآثر . »

لم نذهب بعيدا : انتهت آثار الأقدام على الطوار الأسفلتى
المؤدى الى أبواب اسطبلات كابلتون . وعندما اقتربنا منها ، خرج
منها سايس يجرى ، ويقول :
« لا تريد أحدا يتلكأ هنا . »

فقال هولمز ، وقد وضع سبابته وإبهامه فى جيب صدريته :
« أريد أن أسأل سؤالا واحدا فحسب : هل أكون مبكرا لو جئت
لرؤية سيدك المستر سيلاس براون فى الساعة الخامسة صباحا ؟ »
« فليباركك الله ، ياسيدى . ان كان هناك من يستيقظ مبكرا
جدا ، فسيدي هو أول من يستيقظ . ولكنه هنا الآن ، ياسيدى ،
ليجيب على أسئلتك بنفسه . كلا ، ياسيدى ، كلا . فلو أبصرنى أحد
المس تقودك لأفقدنى عملى . فيما بعد ان أحبيت . »

عندما أعاد شرلوك هولمز الى جيبه نصف الكراون الذى أخرجه ،
برز من الباب رجل عجوز وحشى المنظر ، تتأرجح فى يده عصا صيد .
صاح هذا الرجل يقول : « ما هذا يادوسون ؟ كف عن الشرثرة .
اذهب الى عملك ! وانت ، ماذا تريد هنا ، بحق الشيطان ؟ »
فقال هولمز فى أعذب صوت : « أريد ان اتحدث اليك عشر دقائق
ياسيدى العزيز . »

« لا وقت عندى للتحدث الى كل من هب ودب . لا تريد اى
أغراب هنا . انصرف والا وجدت كلبا عند قدميك . »
انحنى هولمز الى الامام وهمس شيئا فى اذن المدرب . فاضطرب
هذا الأخير وأحمر وجهه حتى صدغيه ، وصاح يقول :
« هذه كذبة ! كذبة داخلية ! »

« حسنا ! هل نتجادل بخصوصها هنا علنا ، أو نتحدث عنها في بهوك ؟ »

« هيا ، ادخل اذا رغبت في ذلك . »

ابتسم هولمز ، وقال : « لن اتركك تنتظر هنا أكثر من بضعة دقائق ، يا واطسون . والان ، انا تحت تصرفك ، يامستر براون . » استغرق ذلك عشرين دقيقة تماما ، وتحول اللون الاحمر كله الى لون رمادي قبل خروج هولمز والمدرّب . ولم ار في حياتي كلهما تغيرا مثلما حدث في سيلاس براون ، في مثل ذلك الوقت القصير . كان وجهه شاحبا جدا ، وحبّات العرق تتألق على جبينه ، ويداه ترتجفان حتى ان عصا الصيد كانت تهتز في يده كما يهتز الفصن أمام الريح . كذلك اختفت النغمة المتعجرفة التي ظهرت في كلامه أولا ، وسار الى جانب زميلي كما يسير الكلب مع صاحبه .

قال براون : « ستنفذ تعليماتك ، ستنفذ . »

فقال هولمز وهو يتلفت حواليه : « يجب الا يكون هنالك اي خطأ . » فانزعج براون عندما قرا دلائل التهديد في عينيه ، وقال : « لن يكون هناك اي خطأ . سيكون هناك . هل غيره أولا ، أولا ؟ »

فكر هولمز قليلا ، ثم انفجر ضاحكا وقال : « كلا ، لا تفره . حذار من اي خداع والا »

« يمكنك ان تثق بي ، يمكنك ان تثق بي ! »

« يجب ان ترى ذلك في الصباح كما لو كان ملكك . »

« يمكنك ان تعتمد على . »

« نعم ، اظنني استطيع الاعتماد عليك . اذن ، فستسمع مني فدا . »

قال هولمز هذا واستدار متجاهلا اليد المرتجفة التي مدها الاخر له ، وسرنا نحو كنجز بايلاند .

فقال هولمز ونحن نسير معا : « قلما التقيت في حياتي بخليط من الفتو والجبان والمنافق أكثر من المستر سيلاس براون . »

« اذن ، فالحصان عنده ؟ »

« حاول التملص من ذلك ، ولكنني شرحت له بالضبط ، تحركاته كلها في ذلك الصباح ، حتى اقتنع بانني كنت اراقبه . وبالطبع لاحظت اصابع القدم المربعة القريبة في آثار الاقدام ، وان حذاءه ينطبق على الاثار تمام الانطباق . ثم انه ما من تابع آخر كان يجرو على فعل مثل

ذلك الشيء . وصفت له كيف انه تبعاً لعادته ، أن يستيقظ أول من يستيقظ ، فرأى حصاناً قريباً يسير فوق السهل وكيف ذهب إليه ، ومبلغ دهشته عندما تعرف عليه من جبهته البيضاء التي أعطته اسمه ، وأن الصدقة وضعت في يده ، وهو الحصان الوحيد الذي يمكنه أن يتغلب على الحصان الذي راهن عليه بنقوده . ووصفت له كيف انه أراد أولاً أن يقوده الى كنجز بايلاند ، وكيف وسوس له الشيطان وبين له كيف يخفيه حتى ينتهى السباق ، وكيف عاد به وأخفاه في كابلتون . فلما رأى اننى أخبرته بكل شيء ، ترك فكرته الأولى وكل ما فكر فيه بعد ذلك هو أن ينجو بجلده .

« ولكن اسطبلاته فتشت ؟ »

« لدى مثل مزيف الخيول المعجوز هذا ، كثير من الخيل . »
« ولكن الا نخاف على الحصان وقد تركته عنده ، وان من صالحه أن يؤذيه ؟ »

« يازميلي العزيز ، انه سيحرسه ويحافظ عليه مثل حبة عينه .
يعلم أن كل أمل له في الرحمة ، هو تسليم الحصان سليماً . »
« لم أجد في مسلك الكولونيل روس ما يدل على انه رجل من الممكن أن يبدى الرحمة بأية حال من الاحوال . »

« ليس هذا من شأن الكولونيل روس . فانا اتبع طرقى الخاصة وأقول الكثير أو القليل حسبما أرى . هذه ميزة الا يكون الانسان تحت ادارة الحكومة . ولست أدري ، ياواطسون ما اذا كنت قد لاحظت هذا . ولكن أخلاق الكولونيل كانت كلها شهامة أمامى . وأريد الان أن أحصل على شيء من التسلية على حسابه . لا تقل له شيئاً من الحصان . »

« بالطبع ، لن أقول شيئاً بغير الذك . »

« وبالطبع هذه قضية صفرى بالنسبة لقضية قتل جور ستريكر . »

« وهل ستكرس نفسك لتلك ؟ »

« بالعكس ، سنعود كلانا الى لندن بقطار الليل . »

صعقتنى كلمات صديقى . فلم نمكث سوى بضعة ساعات في ديفونشاير ، ثم يترك تحقيقاً بدأه بذكاء ! هذا ما لم أستطع فهمه . لم أتمكن من الحصول منه على كلمة أخرى حتى رجعنا الى بيت المدرب . وكان الكولونيل والمفتش ينتظراننا في البهو .
قال هولمز : « سأعود أنا وصديقى بقطار الليل السريع . حصلنا

على قليل من انفاس هواء منطقتكم دارتمور : المعش . «
فتح المفتش هنيه . والتوت شفتا الكولونيل في امتعاض .
فقال : « اذن ، فقد يؤت من القبض على قاتل سترينكر
المسكين . »

هو هولز كتفيه ، وقال : « هناك صعوبات كبيرة في طريق ذلك .
لدى امل كبير في ان يجرى حصانك يوم الثلاثاء . فأرجو ان تستعد
بمن يركبه . هل لي ان اطلب صورة لمستر جون سترينكر ؟ »
أخرج المفتش صورة من جيبه وقدمها اليه .
« انك تتوقع كل طلباتي ، يا عزيزي جريجورى . وهل لي ان
اطلب منك ان تنتظر لحظة ريثما أسأل الخادمة سؤالا يجب ان أوجهه
اليها ؟ »

فلما ترك صديقي الحجرة ، قال الكولونيل في صراحة : « يجب
ان اقول ان املى خاب في استشارتنا هذا اللندنى . ارى اننا لم نتقدم
خطوة عما كنا قبل مجيئه . »
قلت : « على الأقل ، حصلت على تأكيدك بان حصانك
سيجربى . »

قال الكولونيل وهو يهز كتفيه : « نعم ، حصلت على تأكيد منه ،
ولكننى افضل ان آخذ الحصان . »
كنت على وشك الاجابة دفاعا عن صديقى ، فاذا به يدخل
الحجرة مرة اخرى .
قال : « والان ، أيها السادة ، اننى لعلى استعداد تام للتوجه
الى تافستوك . »

وحينما ركبنا العربة ، أمسك أحد سياس الاسطبل بابها
ليبقى مفتوحا لنا . ولكن فكرة فجائية طرات على بال هولز ، لانه
مال الى الامام ولمس كم الساييس ، وقال :
« لديكم بعض الاغنام في المتنزه ، من يعنى بها ؟ »
« انا ، ياسيدى . »

« هل لاحظت بها شيئا غير عادى ، حديثا ؟ »
« نعم ، ياسيدى ، ولكنه قليل الاهمية . ثلاث شياه منها ،
اصابها العرج ، ياسيدى . »
كان بوسعى ان ارى هولز مسرورا جدا ، اذ ضحك وفرك كلتا
يديه معا .

قال هولز وهو يربت على ذراعى : « يالها من ملاحظة طويلة ،

ملاحظته طويلة جدا ! أرجو أن ألقت نظرك يا جريجورى الى هذا
الوباء بين الأغنام . سر ، أيها الحوذى ! »
ما زالت ملامح الكولونيل روس تنم عن الفكرة الضعيفة التي
كونها عن مقدرة زميلى ، ولكنى شاهدت فى وجه المفتش ما يدل على
أنه أثر إثارة حادة .
سأل المفتش يقول : « أعتبر هذا الوباء بين الأغنام ، ذا
أهمية ؟ »

« بالغ الأهمية . »
« هل هناك نقطة أخرى تريد أن تلفت انتباهى إليها ؟ »
« الى حادثة الكلب الغريبة ، أثناء الليل . »
« لم يفعل الكلب شيئا أثناء الليل . »
فقال شرلوك هولمز : « وهذه هى الحادثة الغريبة »
بعد ذلك بأربعة أيام ، كنت مع هولمز مرة أخرى فى القطار المتجه
الى ونشستر لمشاهدة السباق على كأس وسيكس قابلنا الكولونيل
روس خارج المحطة تبعا لموعده . فركبنا عربته الى حلبة السباق
خارج المدينة . وكانت الجدية تبدو فى وجهه ، وحالته باردة الى
أقصى حد .

فقال الكولونيل : « لم أر حصانى . »
فسأله هولمز بقوله : « هل تعرفه عندما تراه ؟ »
نفضب الكولونيل غضبا شديدا ، وقال : « لى مدة عشرين
سنة على سهول سباق الخيل ، ولم يسألنى أى شخص مثل هذا
السؤال من قبل . بوسع أى طفل أن يعرف سيلفر بليز من جبهته
البيضاء وأرجله الامامية الرقطاء . »
« كيف حال المراهنة ؟ »

« كان هذا هو الجزء الغريب فيها ، اذ كان بوسعك الحصول
على ١٥ الى ١ بالامس ، ولكن السعر تقلص وتقلص حتى أنك قلمسا
تحصل على ثلاثة الى واحد ، الان . »

فقال هولمز : « صه ! شخص ما يعرف شيئا واضحا ! »
عندما اقتربت العربى من احدى الحظائر القريبة من الموقف
الأكبر ، ألقيت نظرة على القائمة لارى أسماء الخيول المتسابقة ، كانت
هكذا :

كأس وسيكس . ٥ جنيه لكل نصف قدم مع اضافة ١٠٠٠
جنيه للخيول التى أعمارها أربع وخمس سنوات . الثانى ٣٠٠ جنيه ،

- والثالث ٢٠٠ جنيه ، طريق « ميل واحد وخمسة فورلونج »
١ - النجرو للمستتر هيث نيوتون « قبعة حمراء وجاكتة بنية بلون القرفة » .
٢ - بيوجيليست للكولونيل واردلو « قبعة وردية وجاكتة زرقاء داكنة » .
٣ - ديزبره للورد باكوتر « قبعة صفراء وأكمام صفراء أيضا » .
٤ - سيلفر بليز للكولونيل روس « قبعة مسوداء وجاكتة حمراء » .
٥ - ايريس لدوق بالمورال « صفراء بخطوط سوداء » .
٦ - راسير للورد سنجلفورد « قبعة أرجوانية وأكمام سوداء » .

فقال الكولونيل روس : « ألفينا كل شيء ، ووضعنا كل آمالنا في كلمتك . لماذا ، ما هذا ؟ سيلفر بليز المحبوب ؟ »
صاح المعلن يقول : « خمسة الى أربعة ضد سيلفر بليز ! خمسة الى أربعة ضد سيلفر بليز ! ١٥ الى ٥ ضد ديزبره ! خمسة الى أربعة على الحلبة ! »

صحت : « هاهي الاعداد علقت . كلها ستة هناك . »
فصاح الكولونيل في هياج بالغ : « كل الستة هناك ، اذن ، فحصائي سيجرى . ولكنى لا أبصره . أعلامى لم تمر . »
« لم تمر سوى خمسة . لا بد أن هذا هو . »
وبينما أنا أتكلم ، اندفع حصان قوى من حظيرة الوزن ، ومر أمامنا وعلى ظهره الاسود والاحمر الخاصان بالكولونيل روس .
فصاح صاحب الجواد يقول : « ليس هذا حصانى ليس لهذا الحيوان شعر أبيض فى جسمه . ما هذا الذى فعلته ، يامسستر هولز ؟ »

« حسنا ، اذن فلننتظر لنرى ماذا سيفعل . » قال هذا صديقى فى هدوء وأخذ يراقب السباق من خلال منظارى المقرب لبضع دقائق ، وصاح فجأة يقول : « بداية رائعة ! هاهي الخيول آتية حول المنحنى ! »

أمكننا ، من عربتنا ، أن نشاهد السباق بوضوح عندما وصلت الخيول الى الطريق المستقيم . كانت الخيول الستة متقاربة تماما حتى كان من الممكن لبساط واحد أن يغطيها جميعا . غير أنه فى منتصف

الطريق ، ظهر الاصفر الخاص باسطيل كابلتون . وقبل ان تصل
الخيول الينا ، تغلب سيلفر بليز على تقدم ديزبره ، واندفع حصان
الكولونيل روس ومر من امام القائم بستمه اطوال قبل ان يصل منافسه
ايريس لصاحبه بالمورال ، الذى صار الثالث .

فقال الكولونيل روس وهو يضع يده فوق عينيه : « على اية
حال ، هذا سباقى . اعترف باننى لا اعرف اى شيء عن هذا . الا
تظن ، يامستر هولز ، انك احتجرت سر هذا اللغز عنى مدة طويلة
جدا ؟ »

« بالطبع ، يا كولونيل . ستعرف كل شيء . هلم بنا ، جميعا ،
نذهب ونلقى نظرة على الخيول معا . هاهو . » استطرد صديقى
كلامه ونحن نسير الى حظيرة الوزن التى لا يسمح بدخولها الا لاصحاب
الخيول واصدقائهم ، فقال للكولونيل روس : « ما عليك الا ان تفسل
وجهه ورجله بالكحول النقى ، لترى انه سيلفر بليز القديم كما كان
دائما . »

« انك لتدهشنى بحق يامستر هولز ! »
« وجدته عند شخص ممن يغيرون معالم الخيول لسرقتها ،
واخذت حريتى معه فى نفس الوقت الذى كان سيخفيه فيه . »
« لقد فعلت العجائب ، ياسيدى العزيز . . يبدو جوادى فى
صحة جيدة وحال طيبة . لم يكن احسن من هذا طول حياته . اننى
مدين لك بألف اعتذار عن ارتيابى فى مقدرتك وكفاءتك . لقد اديت
لى خدمة عظيمة بأن اعدت لى حصانى ، وستؤدى لى خدمة اعظم اذا
وضعت يدك على قاتل جون ستريكر . »

فقال هولز فى هدوء : « لقد فعلت ذلك . »
استدرت نحوه ، انا والكولونيل روس مدهوشين وقلنا فى
نفس واحد : « هل قبضت عليه ؟ اذن فاین هو »

« انه هنا . »

« هنا ! أين ؟ »

« فى صحبتنا ، هذه اللحظة . »

احمر وجه الكولونيل فى غضب ، وقال : « اعترف تماما باننى
مدين لك كثيرا ، يامستر هولز ولكنى اعتبر ماقلته الان ، اما مزاحا
سيئا ، او اهانة . »

ضحك شرلوك هولز ، وقال « اؤكد لك يا كولونيل ، اننى لم

أذكر أن لك يدا في هذه الجريمة . فالقاتل الحقيقي يقف خلفك مباشرة ! »

خطا الكولونيل الى الخلف ، ووضع يده على العنق اللامع لذلك الجواد الاصيل .

فصحت انا والكولونيل : « أهو الحصان ؟ »

« نعم ، هو الحصان . ومما يقلل من وزر جريمته أنه فعل ذلك دفاعا عن نفسه . وأن جون ستريكر ذاك ، كان رجلا غير جدير على الاطلاق بثقتك . ولكن ، هاهو الجرس يدق ! سأرجى التفسير الطويل لذلك الحادث ، كي أقف لاتفرج قليلا على الشوط التالى ، سأرجى ذلك الى وقت أكثر ملاءمة . »

حجزنا لأنفسنا ركنا فى عربة بولمان ، فى ذلك المساء ، ونحن عائدون الى لندن . واعتقد أن الرحلة كانت قصيرة للكولونيل روس ، ولى ، ونحن نصفى لرواية رفيقنا للأحداث التى وقعت فى اسطبلات التدريب بدارتمور ليلة الاثنين تلك ، والوسائل التى حل بها ذلك اللغز . »

قال هولمز : « أعترف بأن كل نظرية كونتها من روايات الصحف للحادث كانت خطأ تماما . ومع ذلك فهناك دلائل على أنها محملة بتفاصيل أخرى أخفت أهميتها الحقيقية . ذهبت الى ديفونشير بفكرة أن فيتزروى سيمبسون هو المجرم الحقيقى ولو أننى رأيت أن الأدلة ضده ليست كافية ولا كاملة بحال ما . »

« لم تطرأ على بالى أهمية لحم الضأن المتبل ، الا وأنا فى العربة حينما وصلنا الى بيت المدرب . وأظنك تتذكر أننى كنت شارد الذهن ، وبقيت جالسا فى العربة بعد أن نزلتم جميعا . بقيت أتخيل فى ذهنى كيف أغفلت مثل هذا الدليل الواضح . »

قال الكولونيل : « أعترف بأننى لا أرى ، حتى الان ، كيف يساعدنا هذا الدليل . »

« كان هذا الدليل أول حلقة فى سلسلة براهينى . ليس مسحوق الافيون عديم الطعم ، وطعمه غير مقبول على الاطلاق ، ولونه ظاهر . ولو مزج مع أى طبق عادى لعرفه الأكل على الفور ، ولربما امتنع عن تناول شئ من ذلك الطبق . والتوابل هى الوسيلة الوحيدة التى تخفى طعمه ولونه . وما كان لذلك الغريب فيتزروى سيمبسون أية طريقة يحث بها أسرة المدرب على أن تتبل اللحم بالتوابل فى تلك الليلة . ومن المستحيل أن نعتقد أنه بمحض المصادفة جاء سيمبسون بالافيون

المسحوق في تلك الليلة التي تقدم فيها الاسرة هذا الطبق بالذات الذي يخفى طعم الافيون ولونه . وعلى هذا يحذف سيمبسون من هذه القضية ونركز تفكيرنا على ستريكر وزوجته . فهما الشخصان الوحيدان اللذان يمكن أن يكونا قد اختارا اللحم المتبل للعشاء في تلك الليلة . اضيف الافيون الى الطعام بعد أن غرف الطبق ووضع جانبا لعشاء السائس المكلف بحراسة الاسطبل في تلك الليلة ، اذ تناول الاخران نفس الطعام دون أى اثر سيء اذن ، فمن منهما يمكنه الوصول الى ذلك الطبق دون أن تراه الخادمة ؟

« قبل تقرير الاجابة على هذا السؤال ، رايت أهمية صمت الكلب . فان واقعة حقيقية تجر الى أخرى بلا شك . فواقعة سيمبسون أعلمتني بأن هناك كلبا في الاسطبل باستمرار . ورغم أن شخصا دخل الاسطبل واخرج منه حصانا فان الكلب لم ينبع نباحا يكفى لان يوقف السائسين النائمين في حجرة التبني فوق الاسطبل . ومن الجلى أن زائر نصف الليل كان شخصا يعرفه الكلب معرفة تامة .

« اقتنعت ، او قل شبه اقتنعت بأن ستريكر ذهب الى الاسطبل في جنح الليل واخرج سيلفر بليز . ولاى غرض اخرجته ؟ من الجلى أنه اخرجته لفرض غير شريف . والا ، فلماذا يخدر السائس الذي تحت امرته والذي يحرس الاسطبل وقتذاك ؟ ومع ذلك ، فلم أعرف السبب . كانت هناك حالات سابقة تأكد فيها المدربون من حصولهم على مبالغ ضخمة بايذاء خيولهم عن طريق بعض الوسطاء ، وبذا يمنعونهم بطريق الفس ، من الفوز . وأحيانا يكون ذلك بأن يشد الجوكي الحصان ، وأحيانا أخرى بوسيلة أضمن وأكثر دهاء . فماذا كانت الوسيلة هنا ؟ وضعت أملى في أن اتوصل بواسطة محتويات جيوبه الى معرفة هذه الوسيلة .

« وفعلنا عرفتها من محتويات جيوبه . ولا يمكنك أن تنسى السكين الوحيدة التي كانت في يد القتيل ، والتي لا يمكن لرجل سليم العقل أن يستخدمها كسلاح يدافع به عن نفسه . أنها ، كما أخبرنا الدكتور وأطسون ، نوع من المشارط المستعملة في أدق العمليات الجراحية التي عرفها الطب . وكان ستريكر يريد استعمالها في عملية دقيقة في تلك الليلة . ويجب أن تعرف ، يا كولونيل ، عن طريق ممارستك لشئون السباق أنه من الممكن عمل شق بسيط في أحد اربطة عضلات كفل الحصان ، ويعمل تحت الجلد بحيث لا يترك أى

أثر . فالحصان الذى تجرى له مثل هذه العملية ، يصنّيه عرج بسيط يمكن أن يعزى سببه الى عنف التدريب أو الى الروماتيزم ، ولكن لا يعزى اطلاقا الى أى عمل اجرامى . «
فصاح الكولونيل ، يقول : « ياله من نذل ! ياله من وضعيع دنىء ! »

« لدينا هنا السبب فى رغبة ستريكر لان يأخذ الحصان الى السهل العشوشب . ولا شك فى أن مثل ذلك الحصان المرهف ، كان سيوقظ أعرق الناس نوما ، اذا ما وخز بالسكين . لذا كان من الضروري اجراء العملية فى الخلاء . »

فصاح الكولونيل : « لقد كنت أعمى ! وبالطبع كان هذا هو سبب حاجته الى الشمعة ، والى ايقاد عود الثقاب . »

« هذا أكيد ، ولكن عند فحص متعلقاته ، ساعدنى الحظ اذ عثرت ، ليس فقط على وسيلة الجريمة ، بل وايضا على الدافع الى ارتكابها . ولما كان ستريكر من المتمتعين بالملذات الدنيوية ، وانك لتعرف ، يا كولونيل ، أنه ما من شخص يحمل فواتير حساب شخص آخر ، ان لدينا جميعا مايكفى لان ندفع ثمنه لانفسنا بدلا من ان ندفع ثمن مشتريات غيرنا . استنتجت على الفور ان ستريكر كان يحيا حياة مزدوجة أى أنه لم يكتف بزواجه فحسب ، بل ينفق على مسكن ثان . وتدل طبيعة الفاتورة على أن هناك سيدة فى القضية ، وسيدة لها امزجة تتكلف مبالغ كبيرة . واذ كنت سخيا ، يا كولونيل ، مع مستخدميك ، فانك رغم هذا السخاء ، لا تتوقع أن يستطيع أحدهم شراء فستان بعشرين جنيها لزوجه . وقد سألت مسـر ستريكر عن ذلك الفستان دون أن تظن الى غرضي فأفكرت امتلاكها له . وعندئذ اقتنعت ، أنا نفسى ، بأنه لم يصلها اطلاقا ، فأخذت مذكرة بعنوان بائع الملابس ، وشعرت بأن سؤالى هناك واطلاعهم على صورة ستريكر ، سيؤدى الى أن تخمينى كان صحيحا ، بخصوص دار بيشير الاسطورى ، الذى لم يكن سوى ستريكر اتخذ لنفسه اسما مستعارا للتمويه أمام زوجته .

« منذ ذلك الوقت ، صار كل شىء واضحا كالشمس . . قاد ستريكر الحصان الى التجويف الفائر كيلا يرى النور منه . وعندما فر سيمبسون وقع منه رباط رقبته دون أن يشعر به ، فأخذه ستريكر لفكرة ما ، ربما ليستعمله فى تقييد رجل الحصان . وما ان صار داخل التجويف حتى وقف خلف الحصان وأوقد نورا ، فلنغز

الحصان لذلك النور الفجائي وجفل بطبيعة الحيوان الغريبة للاحساس
بقدوم اذى ما ، فرفس برجله أو برجليه كليهما ، فأصابت الحدود
المصنوعة من الصلب ستريكر في رأسه تماما فهشمته . وكان رغم
المطر قد خلع معطفه من قبل وعلقه فوق الشجيرة الشائكة كدرية
تمنع رؤيته وهو يقوم بعمليته الدقيقة . وهكذا سقط ستريكر على
الارض ، وأثناء سقوطه كانت السـكـين في يمينه فجرح فخذه
بـها . «

فصاح الكولونيل يقول : « رائع ! رائع ! كأنك كنت هناك ،
يا مستر هولمز . »

« وأنى لأعترف بأن تصورى الاخير كان تصورا طويلا جدا .
أدهشنى أن ستريكر ، ذلك الرجل الدقيق الحذر ، يفكر في القيام
بمثل هذه العملية الدقيقة دون سابق تجارب ، ولو قليلة . فعلى
أى شيء أجرى تجاربه ؟ وقعت عيناي على الاغنام ، فسألت ذلك
السايس ، وأدهشنى أن تخمينى كان صحيحا . »

« لقد أوضحت كل شيء تماما ، يامستر هولمز . »
« عندما رجعت الى لندن ، ذهبت الى بائع الملابس الذى تعرف
من فوره على صورة ستريكر وقال انه زبون طيب ، وأن اسمه
داربيشير ، وأن زوجته تهوى الفساتين الثمينة بدرجة غريبة . لم
أشك اطلاقا في أن تلك المرأة أثقلت كاهله تماما بالديون ، وبذا ساقته
الى الخطة الوخيمة العاقبة . »

فصاح الكولونيل يقول : « لقد فسرت كل شيء يامستر هولمز ،
فيما عدا شيئا واحدا ، أين كان الحصان ؟ »

« جفل سيلفر بليز وهرب ، فاعتنى به احد جيرائك . وأظننا
يجب أن نعفو عن ذلك . . هذا تقاطع كلاقام ، ان لم أكن مخطئا ،
وسنكون في فيكتوريا في اقل من عشر دقائق . وإذا طاب لك ان
تدخن سيجارا في منزلنا ، يا كولونيل روس ، فساكون سعيدا لان
أروى لك بعض التفاصيل الاخرى التى قد تهلك وتمتلك . »

الوجه الأصفر

أنشر هذه القصص القصيرة المبنية على القضايا العديدة التي استخدمت فيها مواهب زميلي الفريدة ، التي جعلتني أصغى اليها وأكون الممثل في بعض الدراما الغريبة . . ومن الطبيعي عند نشرى لها أن أذكر القضايا التي نجح فيها دون التي لم يتوصل فيها الى حل . وهذه الأخيرة ليست كثيرة ، من حسن حظ سمعته ، فقد كان حاد الذكاء ، جم النشاط ، ذا كفاءة عجيبة . ولكنه اذا اخفق في قضية ، فما من أحد آخر كان ينجح فيها . وعندئذ تحفظ القضية « الفاعل مجهول » . واذا تصادف أن أخطأ في قضية ، فانه يكون هو الذى اكتشف حقيقة وقائعها . ولدى مذكرات عن حوالى ست قضايا من النوع الذى فيه موضوع الخطأ الثانى . وهانذا أوشك على سرد قصتين تمثلان أقوى مظاهر المتعة .

قلما يمارس شرلوك هولمز التمرينات الرياضية من أجل تلك التمرينات نفسها . وقليل من الناس قادرون على القيام بمجهود عضلى أكثر منه . وكان ، بلا شك ، واحدا من أروع من رأيتهم من الملاكين في وزنه . ولكنه كان ينظر الى الرياضة البدنية بدون هدف على أنها جهد ضائع . وقلما يجهد نفسه الا اذا كان هناك هدف مهنى ينبغى عمله . ثم انه لا يتعب من العمل ولا يكل ، فيظل يشغل نفسه بالعمل في تلك الظروف . ولا يتناول من الطعام الا القليل البسيط فيكتفى بالطعام الذى يمسك الأود فحسب . كما أن عاداته بسيطة جدا لدرجة القسوة على النفس . ولا يتصف بأية رذيلة ، باستثناء بعض الكوكابين في النادر من المناسبات . ولا يلجأ اليه الا لتفجير وتيرة الحياة فلا يجب أن تسير حياته كلها على وتيرة واحدة ، عندما تكون القضايا قليلة والصحف غير ممتعة .

وذات يوم في أوائل الربيع ، أحس بالاسترخاء فأراد الخروج للتنزه معى في بعض الحدائق العامة ، وقت أن بدأت أوائل الاوراق الخضراء تظهر على أغصان أشجار الدردار ، وأخذت البراعم الطرفية تتفتح في نهايات فروع أشجار الكستناء ، فتخرج منها مجموعات خماسية الوريقات . وهكذا ظللنا نتمشى معا لمدة ساعتين ونحن

صامتان في معظم الوقت كما يليق بصديقين حميمين يعرف كل منهما الآخر حق المعرفة . ولما قاربت الساعة على الخامسة مساء ، فكرنا في أن نعود ادراجنا الى شارع بيكر .

حينما فتح لنا الخادم الباب قال : « عفوا ياسيدى . كان هنا رجل يسأل عنك . »

نظر هولمز الى نظرة لوم ، وقال : « لقد سرنا مدة طويلة بعد ظهر هذا اليوم ! » ونظر الى الخادم ، وقال له : « اذن ، فقد انصرف ذلك الرجل ؟ »

« نعم ، ياسيدى . »

« ألم تطلب منه أن يدخل ؟ »

« بلى ، ياسيدى ، ودخل . »

« كم من الوقت انتظر هنا ؟ »

« نصف ساعة ، ياسيدى . كان بالغ القلق ، ياسيدى ، ظل يدرع ارض الحجرة جيئة وذهابا ، وهو ينفخ ويضرب الارض بقدمه . وكان يوسعى أن أسمع . وأخيرا ، خرج الى الممر وصاح يقول : « الآن يأتى هذا الرجل ؟ » هذه هي نفس كلماته بالنص الواحد ، ياسيدى . فقلت له : انتظر قليلا ، فقال : « سأنتظر في الهواء الطلق ، أذا شعر بأننى سأختنق ، وسأعود بعد مدة غير طويلة . » وبهذا خرج ، ولم يفلح معه كل ماقلته الأحثه على البقاء . »

فقال هولمز ونحن ندخل الحجرة : « حسنا ، حسنا . لقد بذلت جهدك » هذا مضايق جدا يا واطسون انا في اشد الحاجة الى قضية . وهذه ، كما يبدو من قلق ذلك الرجل ، ستكون ذات أهمية . مرحى ! ليس هذا غليونك الذى فوق النضد ! لا بد أنه نسي غليونه هنا . انه من الخشب الثمين الجميل ، ذو مبسم مما يسميه بائعو التبغ « الكهرمان » . لست أدري كم مبسما من الكهرمان الحقيقى في لندن . . يظن بعض الناس أن ذبابة بداخل الكهرمان دليل على أنه كهرمان حقيقى طبيعى . ومن وسائل الصناعة وضع ذبابة زائفة داخل الكهرمان الزائف . لا بد أنه كان مبلبل الفكر منزوع الخاطر ، حتى أنه ترك غليونه هنا دون وعي منه . ومن الجلى أنه عزيز عليه تماما . فقلت له : « كيف عرفت أنه عزيز عليه تماما ؟ »

« يمكننى تقدير الثمن الاصلى لهذا الغليون بسبعة شلنات وستة بنسات . ثم أنه أصلح مرتين ، مرة في الجذع الخشبى ، ومرة أخرى في المبسم الكهرمانى وكل اصلاح منهما ، كما ترى ، قد عمل

بأشرطة الفضة . ولا بد انهما كلفاه اكثر من الثمن الاصلى للفليون .
انه عزيز عليه ، اذ انه فضل ان يرقعه بدلا من ان يشتري غليوننا
جديدا بنفس النقود .

قلت : « هل من شيء آخر ؟ » لان هولز كان يقلب الفليون
بين يديه وينظر اليه بطريقته التفكيرية الغريبة .
رفع هولز الفليون الى اعلى ، وطرق عليه باصبعه الطويلة
الرفيعة ، كما يفعل الاستاذ عندما يلقي محاضرة على احدى العظام .
قال هولز : « للفلايين احيانا متعة خارقة . ربما لا يوجد
شيء اكثر فردية من الساعات واربطة الاحذية . والدلائل هنا ليست
ملحوظة جدا ولا ذات اهمية كبرى . ومن الجلي ان صاحب هذا
الفليون رجل قوى العضلات واشول ، وذو مجموعة أسنان قوية ،
ومهمل في عاداته ، وليس بحاجة الى توخى الاقتصاد » .
قلت : « اتعتبر الرجل غنيا اذا كان يدخن في غليون قيمته
سبعة شلنات ؟ »

اجاب هولز وهو يطرق على مستودع الفليون كي يسقط بعض
التبغ في كفه : « هذا التبغ مخلوط جروزفتر ، الذى ثمن الاوقية
منه ثمانية بنسات ، فى حين ان بوسعه ان يحصل على تبغ ممتاز
بنصف هذا الثمن . اذن ، فهو ليس فى حاجة الى توخى الاقتصاد » .
« والنقاط الاخرى ؟ »

« من عاداته اشعال غليونه من المصابيح ولهب الغاز . وبوسعك
ان ترى غليونه محترقا من جانب واحد . وبالطبع ، لا يمكن لعود
ثقاب ان يفعل هذا لماذا يمسك الرجل عود الثقاب الى جانب غليونه ؟
ولكنك لن تستطيع اشعاله من مصباح دون احراق جانب المستودع .
ثم ان الحرق كله على الجانب الايمن للفليون ، مما يقطع بأنه أشول .
ارفع غليونك انت نفسك فوق المصباح ، تلاحظ أنك تضع الجانب
الايسر فوق المصباح ، لانك تستعمل يدك اليمنى . وقد تضعه من
الجانب الاخر مرة فى كل عشر مرات . ودائما ما كان الفليون على ذلك
النحو ، ثم انه عض الكهرمان ، ولا يمكن ان يفعل هذا الا رجل قوى
العضلات والاسنان .. ولكنى ، اذا لم اكن مخطئا ، اسمع وقع
اقدامه على السلم ، وعلى هذا سيكون لدينا شيء اكثر متعة من
دراسة الفليون » .

بعد ذلك بلحظة فتح بابنا ودخل الحجرة رجل صغير السن

طويل القامة يرتدى ثيابا جيدة بطريقة هادئة . فهو يلبس حلة ومادية اللون دكناءة ، ويحمل في يده قبعة من اللباد الناعم بنية اللون . واني لا قدر عمره بحوالي ثلاثين عاما ، ولو أنه كان ، في الحقيقة ، بضع سنوات أكثر من ذلك ..

قال وهو مرتبك بعض الشيء : « عفوا ، يا سيدى . كان يجب أن أطرق الباب . نعم ، بالطبع كان يجب أن أطرق الباب . الحقيقة اننى مرتبك قليلا ، ولا بد أن تعزى ذلك الى هذا الارتباك » . قال هذا ومر بيده فوق جبينه كرجل نصف مصاب بالدوار . ثم سقط فوق الكرسي أكثر مما جلس .

قال هولمز بطريقته اللطيفة الوديعة : « يمكننى أن أرى أنك لم تنم مدة ليلة أو ليلتين . فان عدم النوم يتعب أعصاب المرء أكثر من العمل وأكثر من السرور . فهل لى أن أسأل كيف يمكننى أن أساعدك ؟ » .

« أريد نصحك ، يا سيدى ! لا أعرف ماذا أعمل ويبدو أن حياتى كلها قد تحطمت أربا » .

« أتريد أن تستخدمنى كبوليس سرى استشارى ؟ » .
« ليس هذا فحسب ، بل وأريد رأيك كرجل قانونى - وكرجل من العالم ، أريد أن أعرف ماذا أفعل بعد ذلك . أطلب من الله أن يكون بوسعك أخبارى » .

تكلم الرجل فى نوبات قليلة حادة متهدجة . وكان يبدو لى أن الكلام يسبب له ألما شديدا ، وأن رغبته كانت تسيطر على ميوله . قال : « انها مسألة بالغة الدقة . فلا يود انسان أن يتكلم فى شئونه المنزلية الخاصة الى الاغراب . كم هو فظيع أن يناقش المرء سلوك زوجته مع رجلين لم يسبق له أن رآهما . ومن المخجل ، بل من الشاق أن يضطر الانسان الى ذلك . ولكن طفع الكيل ، وبلغ السيل الزبى ، ويجب أن أحصل على النصيحة . »

فقال هولمز : « يا عزيزى المستر جرانت مَونرو » .
فقفز زائرنَا واقفا من على كرسيه وصاح يقول : « ماذا ! أتعرف اسمى ؟ » .

فقال هولمز وهو يبتسم : « اذا أردت أن يظل اسمك مجهولا ، فلا تكتبه على بطاقة قبعتك ، أو أدر قمتها نحو الشخص الذى تتحدث اليه . كنت على وشك أن اقول اننى وصديقى هذا ، استمعنا الى كثير من الاسرار فى هذه الحجرة ، وساعدنا الحظ فى تهدئة وطمأنة

كثير من النفوس المتعبة . وآمل في أن تذكر لنا الحقائق في قضيتك دون تأخير ، اذ الوقت ثمين وعظيم الأهمية ، وعسى أن نوفق في أن نفعل معك مثلما فعلنا مع غيرك . »

مر زائرنا بيده ، مرة ثانية ، فوق جبينه كما لو كان قد وجد الامر شاقا على نفسه . وكنت ألاحظ من كل حركة ، ومن كل تعبير ، أنه رجل محافظ ، يحب كتمان أسرارهِ في دخيلة نفسه بدافع الكبرياء بطبيعته ، يود أكثر لو يخفى جراحه بدلا من التعبير عنها . وفجأة ، وبحركة عنيفة من يده المنقبضة ، كما لو كان سيرمى بأسرارهِ في مهب الريح ، قال : « هاك الحقائق يا مستر هولز . أنا متزوج منذ ثلاث سنوات . وخلال هذه المدة كنت أحب زوجتي وهي تحبني ، ومازال كل منا يحب الآخر حبا جَمًا ، وعشنا سعيدين كأي اثنين ارتبطا برابط الزواج السعيد . لم نختلف اطلاقا على أي شيء ، ولا مرة واحدة ، في الفكر أو الكلام أو الفعل ، حتى يوم الاثنين الماضي اذ نشأ بيننا حاجز فجأة ، فوجدت أن هناك شيئا في حياتها وفي أفكارها ، لا أعرف عنه شيئا ، كأنها امرأة تمر بجانبى في الطريق . صار كل منا غريبا عن الآخر ، وأريد أن أعرف السبب .

» هناك شيء واحد أريد أن أخبرك به قبل أن ادخل في سرد قصتي ، يا مستر هولز . تحبني زوجتي أيفي ، ما في ذلك شك على الإطلاق ، تحبني من كل قلبها ونفسها ، وما كانت تحبني أكثر من الآن . أعرف هذا وأحس به ولا أريد أن أجادل فيه ، فان الرجل يعرف متى تحبه زوجته . لكن هناك سرا بيننا ، ولن نكون مثلما كنا الا بعد معرفة ذلك السر .

فقال هولز في شيء من القلق : « أرجو أن تذكر . لي الحقائق ، يامستر مونرو . »

» سأخبرك عما أعرفه عن تاريخ حياة أيفي . كانت أرملة عندما التقيت بها لأول مرة ، رغم كونها صغيرة السن ، اذ كانت في الخامسة والعشرين فقط . كان اسمها مسز هيرون . سافرت الى أمريكا وهي صغيرة ، وعاشت في بلدة أتلانتا حيث تزوجت هذا الهيرون الذي كان محاميا كثير العمل . ورزقا طفلا واحدا ، غير أن الحمى الصفراء انتشرت بطريقة فظيعة ، ومات بها كل من الزوج والطفل . وقد رأيت شهادة وفاته : فكرهت أمريكا وعادت ثانية لتعيش مع عمته العذراء في بينر بمقاطعة ميدلسيكس . وأقول أن زوجها ذاك ترك لها ثروة كبيرة ، فكان لديها رأس مال حوالى أربعة آلاف

وخمسمائة جنيه ، استثمرتها جيدا بفائدة متوسطها سبعة في المائة . . لم يبق لها في بينر سوى ستة شهور حتى التقيت بها ، فوقع كل منا في حب الآخر ، وتزوجنا بعد ذلك ببضعة أسابيع .

« ولما كنت أنا نفسي ، بائعا جائلا ، وعندى دخل حوالى سبعمائة أو ثمانمائة جنيه ، عشنا في بذخ واستأجرت فيللا بثمانين جنيها في السنة في نوربوري ، وجعلناها على الطريقة الريفية ولو أنها قريبة من المدينة . وبعدنا بقليل ، الى أعلى الطريق يوجد فندق وبيتان وكوخ على الجانب الآخر من الحقل قبالتنا . ولا توجد في المنطقة بيوت أخرى غير هذه الا في منتصف المسافة بيننا وبين المحطة . ويقتضيني عملي أن أذهب الى المدينة في بعض المواسم . أما في فصل الصيف ، فعملي قليل . وعندئذ أكون أنا وزوجتي في بيتنا الريفي من أسعد ما يمكن . أقول لك انه لم يحدث بيننا أى ظل يكدر صفو حياتنا حتى جاء ذلك الامر اللعين .

« هناك شيء واحد يجب ان أخبرك به قبل ان اتعمق في موضوعي . . عندما تزوجنا ، أعطتني زوجتي كل أموالها ، ولم أكن راغبا في هذا ، اذ كنت أرى انه لا يليق أن أنفق من أموالها اذا ما ساءت حال عملي . وعلى أية حال ، أرادت هي ذلك وصممت عليه ، فكان كما أرادت . ومنذ حوالى ستة أسابيع ، جاءتنى تقول :

« عندما أخذت نقودي ، يا جاك ، قلت لى اننى اذا ما احتجت الى مبلغ ما ، أن اطلبه منك . »

قلت : « بالطبع ، فهي كلها أموالك . »

قالت : « اذن ، أريد مائة جنيه . »

« ذهلت لذلك الطلب ، لاننى كنت أظن ان الامر لن يتعدى ثمن فستان جديد أو نحوه .

فقلت : « لاي شيء ، على الارض ، تريدان هذا المبلغ ؟ »

قالت بطريقتها الدعابية : « قلت انك مجرد أمين خزانتي ، وأمناء الخزائن لا يسألون أى أسئلة ، كما تعلم . »

قلت : « اذا كنت تقصدين هذا ، حقيقة ، فسأعطيك النقود . »

« نعم ، أقصد هذا حقيقة . »

« وهلا تخبرينى لاي شيء تريدينها ؟ »

« ربما ، فى وقت ما ، وليس الآن يا جاك . »

« وعلى أية حال ، كان على أن اقنع بذلك . ولو أنها كانت المرة الاولى التى حدث فيها وجود أى سر بيننا . فأعطيتها شيكا ،

ولم أفكر في ذلك الامر بعد ذلك أبدا . ليس لهذا علاقة بما سيأتى بعد ذلك . ولكنى وجدت من الصواب أن أذكر لك هذه الواقعة . سبق أن أخبرتك بأن هناك كوخا ، على مسافة غير بعيدة من بيتنا ، بيننا وبينه حقل . ولكنك إذا أردت الوصول اليه ، اضطررت الى أن تسير في الطريق ، ثم تعرج على حارة . ووراء الكوخ دغل من أشجار الصفصاف الاسكتلندي ، وكنت ، أنا نفسى ، مولعا بالتجول هناك ، لان الأشجار كائنات حسنة الجوار . . ظل الكوخ خاليا من السكان طيلة هذه الشهور الثمانية . ومن المؤسف أن يظل كذلك إذ يتألف من طابقين ، وله مدخل عتيق الطراز ، وحوله أشجار الفتنة . وكثيرا ما وقفت هناك أفكر في أنه مسكن رائع .

« وفي يوم الاثنين الماضى ، وأنا أتجول في ذلك الطريق ، أبصرت عربة خاوية تسير الى أعلى الحارة ، كما رايت كومة من السجاجيد والامتعة فوق النجيل بجانب مدخل الكوخ . فكان واضحا أن الكوخ استؤجر أخيرا . فسرت الى جانبه ، ثم توقفت ، كما قد يفعل المتسكعون ، وألقيت نظرة الى فوق لأرى نوع السكان الذين جاءوا ليقيموا بقرينا . وبينما أنظر الى فوق ، شاهدت وجها يراقبنى من إحدى النوافذ العليا .

« لا أعرف ماذا بذلك الوجه ، يا مستر هولمز ولكن يبدو أنه أرسل موجة باردة في ظهري ، وكنت على مسافة منه فلم أتبين ملامحه ، ولكن كان هناك شيء غير عادى ، وغير انساني في ذلك الوجه . هكذا كان انطباعى ، فسرت بسرعة الى الامام لالقي نظرة من كئيب على ذلك الشخص الذى كان يراقبنى . غير اننى ، وأنا أفعل ذلك ، اختفى الوجه فجأة ، كما لو كان قد اندمج في ظلام الحجره . توقفت أفكر في ذلك الامر مدة خمس دقائق . وجاوت تحليل انطباعاتى . لم أعرف ما اذا كان وجه رجل أو وجه امرأة ، ولكن لونه هو الذى أثارنى أكثر من غيره . كان أصفر بلون جثث الموتى ، يصحبه شيء من الصلابة جعله غير طبيعى بصورة ملحوظة . فأنزعجت للدرجة أننى اعتزمت معرفة شيء عن قاطنى ذلك الكوخ . فتقدمت وطرقت الباب ، ففتحته على الفور سيدة فارعة الطول عملاقة ، ذات وجه عابس مقيت .

فسألتنى في لهجة اهل الشمال تقول : « ماذا تريد ؟ » قلت ، وأنا أشير الى بيتى : « أنا جارك هناك ، وأرى انكم قد انتقلتم لتوكم الى هنا . ففكرت أن أمد لكم يد المساعدة فى أى — »

قالت : « نعم ، سنطلب منك بمجرد أن نحتاج اليك . »
واقفلت الباب في وجهي . واذا استأثرت من هذه الفظاظ وخيبة الامل ،
أدركت وجهي ، وسرت الى بيتي . ومع ذلك ، حاولت طوال المساء
أن أفكر في كل شيء يتذكره ذهني عن ذلك الشيخ الذي أطل من
النافذة ، وعن فظاظ تلك المرأة . نويت الا أقول شيئا عن ذلك الوجه
لزوجتي ، لأنها سيدة عصبية وسريعة الانفعال ولا أريدها أن تشترك
معي في الطابع غير السار الذي انطبع في نفسي . ومع ذلك ، فقد
لمحت لها قبل أن أستغرق في النوم ، بأن الكوخ مسكون الآن ، فلم
ترد على تلميحي بشيء .

« انني ، بطبيعتي ، انام عميقا ، وكانت الاسرة تتندر دائما
بأنه ما من شيء يمكن أن يوقظني خلال الليل . ومع ذلك ، ففي تلك
الليلة بالذات ، كان نومي خفيفا أكثر من المعتاد ، ولست أدري أكان
هذا بسبب ما أحدثته تلك المفامرة البسيطة من اثارة في نفسي ، أم
كان لسبب آخر لا أعرفه . . وبينما أنا نصف حالم ، أحسست
احساسا غير واضح بأن شيئا يحدث في الحجرة . وبالتدريج ، أدركت
أن زوجتي قد ارتدت ملابسها ، وتلبس عباءتها وقبعاتها . انفرجت
شفتاي وتمتت كلمات النوم بما يدل على المفاجأة أو الاعتراض على
ذلك الاستعداد غير المناسب . فاذا عيناى نصف المفتوحتين تقعان
فجأة على وجهها في ضوء الشمعة . فألجمت الدهشة لساني . كانت
ملامح وجهها متغيرة تغيرا لم أعده فيها من قبل - ملامح ، اعتقد
أنها لا يمكن أن تتصف بها . كانت في شحوب الاموات ، وتنفس
بسرعة ، وتنظر خلصة الى السرير وهي تثبت أزرار عباءتها ، لترى
ما اذا كانت قد أيقظتني ، ثم حسبتني لم أزل نائما ، فتسللت من
الحجرة في هدوء . وبعد لحظة سمعت صريحا حادا لا يمكن أن يحدثه
سوى مفصلات الباب الخارجى . . فجلست في السرير لأتأكد من
أنني متيقظ حقيقة . ثم سحبت ساعتى من تحت الوسادة فاذا بها
الساعة الثالثة صباحا . أى شيء على الارض يمكن أن تفعله زوجتي
بالخارج في الطريق الريفى في الساعة الثالثة صباحا ؟

« جلست مدة عشرين دقيقة تقريبا ، وأنا اقلب الامور في
ذهني ، في هذا الاتجاه وذاك ، لأجد أى تفسير ممكن ، وكلما فكرت
زادت الامور تعقيدا وغدت عديمة التفسير . وبينما أنا حائر في ذلك
الامر ، سمعت الباب يقفل ثانية في رفق ، ووقع أقدامها تصعد
السلام .

فلما دخلت الحجرة سألتها بقولي : « أين كنت ، في هذا العالم ، يا ابني ؟ »

« ثارت بعنف وأخذت تبكي وأنا أنكلم ، فأزعجني هذا البكاء . وذلك الانفعال ، أكثر من أي شيء آخر ، لأنه كان يحيط بهما شيء آثم . كانت زوجتي دائما صريحة ، بطبيعتها ، فأزعجني تسلسلها الي حجرتها ، وبكاءها وثورتها عندما يتحدث اليها زوجها .

صاحت تقول ، في ضحكة عصبية : « هل أنت متيقظ يا جاك ؟ لم ذلك ؟ ظننت أن لا شيء يمكن أن يوقظك . »
فقلت لها بعنف أكثر : « أين كنت ؟ »

قالت : « لا يدهشني أن يكون خروجي مفاجأة لك . » وكان بوسعي أن أرى أصابعها ترتجف وهي تحل أضرار عباءتها ، واردفت تقول : « لا أتذكر قط ، أنني فعلت مثل هذا الشيء من قبل . الواقع أنني شعرت كما لو أنني استنشقت بعضا من الهواء النقي . وكنت أحس بأنه سيفمي علي ، لذا خرجت ووقفت أمام الباب لبضع دقائق . وهأنذا عدت كما كنت مرة أخرى . »

« وطوال الوقت الذي كانت تقول فيه ذلك لم تضع عينها في عيني مرة واحدة ، ولم تنظر جهتي قط ، وكان صوتها يختلف عن صوتها العادي . اذن ، كان من الواضح لي أنها لم تقل الصدق . فلم أرد علي كلامها ، بل أدت وجهي الي الحائط وأنا مببل الفكر ومضطرب الفؤاد بآلاف الشكوك والمشبهات ، ما الذي تخفيه عني زوجتي ؟ أين كانت في تلك الرحلة الغريبة ؟ شعرت بأن ضميري لن يرتاح الا اذا عرفت ذلك . ثم انني امتنعت عن سؤالها مرة أخرى بعد أن أخبرتنى بما هو غير حقيقي ، ولبثت بقية الليل أثقل بالوالدحرج في السرير وأنا أكون نظرية بعد أخرى . كل منها غير معقولة أكثر من سابقتها .

« كان يجب أن أذهب الي المدينة في ذلك اليوم ، ولكني كنت مضطرب الذهن فلا أستطيع الانتباه الي أمور العمل . ويبدو أن زوجتي كانت مضطربة مثلي ، وكان بوسعي أن أرى من نظرتها المتسائلة الكلية التي ظلت توجهها نحوي أنها فهمت انني لم أصدق قولها ، وكانت حيرى لا تدري ماذا تفعل . وقلما تبادلنا كلمة اثناء تناول طعام الافطار ، وبعده مباشرة ، خرجت لاتمشي كي أفكر في الموضوع في هواء الصباح النقي .

« ذهبت الي كريستال بالاس حيث قضيت ساعة ثم رجعت

الى نور بورى في الساعة الواحدة مساء . . وجدت أن طريقى قادنى
إمام الكوخ ، فوقفت لحظة أنظر الى النوافذ ، لأرى ما اذا كان
يوسعى أنلقى نظرة على ذلك الوجه الغريب الذى وقف يحرق فى
بالامس . وتصور المفاجأة ، يا مستر هولمز ، وأنا واقف هناك ، اذ
فتح باب الكوخ ، وخرجت منه زوجتى !

« اخرستنى الدهشة عند رؤيتها ، ولكن عواطفى كانت لا شيء
بالقياس الى ما ظهر فى وجهها عندما التقت عيوننا . بدا عليها أنها
كانت تود العودة الى الكوخ ثانية ، ثم رأت عدم جدوى اخفاء نفسها .
فتقدمت نحوى بوجه ممتقع جدا الى درجة البياض وعينين مدعورتين
تناقضان الابتسامة التى ارتسمت على شفيتها .

قالت : « اى جاك ، جئت الى هذا الكوخ ، لأرى ما اذا كان
يوسعى مساعدة جيراننا الجدد . لماذا تنظر الى هكذا ، يا جاك ؟ هل
أنت غاضب منى ؟

قلت : « اذن ، فقد جئت الى هذا الكوخ اثناء الليل ؟ »

بكت وقالت : « ماذا تعنى ؟ »

« أتيت الى هنا ، وأنا على يقين من هذا ، من هؤلاء القوم
الذين تزورينهم فى مثل تلك الساعة من الليل ؟ »

« لم آت الى هنا من قبل . »

صحت فيها اقول : « كيف تقولين لى ما تعرفين أنه افك
وبهتان ؟ ان صوتك متغير وأنت تتكلمين . متى كان عندى سر فأخفيته
عنك ؟ سأدخل هذا الكوخ وأتحقق من الموضوع كله الى أعماقه . »
قالت فى عاطفة لا يمكنها السيطرة عليها : « كلا ، كلا ، يا جاك
. . اكراما لخاطر الله ! » ثم اقتربت من الباب لأدخل . ولكنها
أمسكت كفى وجذبتنى بقوة وتشنيج .

بكت تقول : « أتوسل اليك ألا تفعل هذا يا جاك . أقسم على
أننى سأخبرك بكل شيء فى يوم ما أما اذا دخلت هذا الكوخ الآن ،
فلن يحدث سوى محنة . » وحاولت إبعادها عني ، ولكنها تعلق
بى فى توسل جنونى .

بكت تقول : « صدقنى ، يا جاك ! صدقنى هذه المرة فقط ،
ولن تأسف على ذلك . أنت تعرف أننى لا أخفى عنك سرا اذا كان من
أجل خاطرك . ستكون حياتنا فى خطر بناء على ذلك . واذا رجعت
معى الى البيت ، فسيكون كل شيء على ما يرام . واذا دخلت الكوخ
بعنوة ، فسينتهى كل شيء بيننا . »

« كانت هناك جدية ، وكان هناك يأس فى حالتها ، حتى ان كلماتها أوقفتنى . فوقفت خائر العزيمة أمام الباب . فقلت لها : « سأصدقك بشرط واحد ، وشرط واحد فقط ، أن ينتهى هذا اللفز منذ الآن . أنت حرة فى الاحتفاظ بسرك ، ولكن يجب أن تعدينى وعدا أكيدا ، ألا تكون هناك زيارات ليلية بعد الآن . وألا تفعلى أية أمور بغير علمى . أرغب فى نسيان ما مضى اذا وعدتيني ألا يحدث أى شىء من ذلك فى المستقبل . »

صاحت وهى تزفر زفرة الارتياح : « كنت على يقين من أنك ستصدقنى . سأكون كما تريد وترغب . هيا بنا ، هلم بنا الى البيت ! » وأخذتنى الى البيت وهى ما زالت متشبثة بكفى الى أن ابتعدنا عن الكوخ . وفى أثناء سيرنا ، نظرت خلفى فأبصرت ذلك الوجه الأصفر الشاحب يراقبنا من الشباك العلوى . . أية علاقة يمكن أن تكون هناك من ذلك المخلوق وزوجتى ؟ وماذا تكون العلاقة بينها وبين تلك المرأة الفظة التى رايتها فى اليوم السابق ؟ كان لغزا غريبا . ومع ذلك ، فأعرف أن ضميرى لن يرتاح مرة أخرى الا اذا حل هذا اللفز .

« بقيت فى هذا البيت مدة يومين بعد ذلك ، ويبدو أن زوجتى قد برت بوعداها . وتبعاً لما أعلم ، لم تخرج من البيت اطلاقاً . وفى اليوم الثالث كان عندى دليل قاطع أن وعداها لى لم يكن كافياً ليمنعها عن ذلك السر الذى يبعدها عن زوجها وعن واجبها . »
« ذهبت الى المدينة فى ذلك اليوم ، ولكنى رجعت بقطار الساعة ٢ر٤ بدلا من قطار الساعة ٣ر٣٦ الذى هو قطارى المعتاد . وعندما دخلت البيت ، جرت الخادمة الى البهو بوجه مرتبك . فقلت للخادمة : « أين سيدتك ؟ »

فأجابت بصوت مضطرب : « أظنها خرجت تمشى . »
« امتلأ عقلى بالريب فاندفعت الى الدور العلوى لأتأكد من عدم وجودها فى البيت . وبينما انا بالدور العلوى ألقىت نظرة خارج الشباك ، فرأيت الخادمة التى كنت أتكلم معها منذ لحظة ، تجرى عبر الحقل فى اتجاه الكوخ ، وبعدها ، طبعاً ، رأيت معنى ذلك . ذهبت زوجتى الى هناك وأخبرت الخادمة بأن تنادىها اذا تصادف انى عدت قبل موعدى . واذا كان مرجل غضبى يغلى ، اندفعت أهبط السلم وخرجت من البيت أسير نحو الكوخ مصمما على الانتهاء من هذا الموضوع الى الأبد . فأبصرت زوجتى والخادمة تسرعان عائدتين

معا في الحارة . ولكنى لم أقف لاتحدث اليهما . ففي ذلك الكوخ يوجد السر الذى يلقي ظلا على حياتى . اقسمت على أنه لن يصير سرا بعدئذ ، وليحدث ما يحدث .. ولم أطرق الباب عندما وصلت الى الكوخ ، بل أدت مقبض الباب واقتحمته الى داخل الممر .

« وجدت كل شيء هادئا وساكنًا في الدور الأرضى ، ووجدت في المطبخ ابريقا ينفى فوق النار ، وقطة ضخمة سوداء قابضة داخل سلة . ولكن لم يكن هناك أى أثر للمرأة التى رايتها من قبل . فجريت الى الحجرة الاخرى . ولكنها كانت خاوية كذلك . ثم اندفعت صاعدا السلم الى الطابق العلوى لأجد حجرتين خاويتين ومهجورتين . لم يكن هناك أى احد في الكوخ كله . وكان الاثاث والصور من النوع العادى جدا والمبتذل ، باستثناء ما في تلك الحجرة التى رايت فيها الوجه الغريب . كانت هذه الحجرة مريحة وانيقة . وثارت شكوكى وغلى الدم فى عروقى حينما أبصرت على رف المدفأة صورة لزوجتى بالطول الطبيعى التقطت لها بناء على طلبى منذ ثلاثة اشهر .

« مكثت هناك مدة كافية لأؤكد من أن الكوخ خاو . ثم غادرته وأنا أحس بثقل فوق قلبى ، لم أحس بمثله من قبل . خرجت زوجتى الى البهو حينما دخلت بيتى غاضبا ومتاثرا ، فلم أتحدث اليها ، ومررت بجانبها الى حجرة المكتب . فتبعتنى الى هناك قبل أن يتسنى لى اقفال الباب .

قالت : « آسفة اذ جنشت بوعدى ، يا جاك . ولكنك اذا عرفت كل الظروف ، فأنا متأكدة من أنك ستعفو عني . »

قلت : « اذن ، فأخبرينى بكل شيء . »

بكت وقالت : « لا أستطيع يا جاك ، لا أستطيع اخبارك الآن ! »

« لن أعفو عنك الا اذا عرفت من يقيم في ذلك الكوخ ، ومن ذلك الذى أعطيته صورتك . لن توجد ثقة بيننا بعد الان . » وانفصلت عنها وتركت البيت . كان هذا بالأمس ، يا مستر هولمز ، ولم أرها منذ ذلك الوقت ، ولا أعرف أى شيء آخر عنها ، كما لم أعرف أى شيء عن ذلك الامر الغريب . هذا هو أول ظل جاء بيننا ، وقد هز كيانى فى عنف حتى اننى لا أعرف افضل شيء يمكننى أن أفعله . وفجأة ، طرأ على بالى فى هذا الصباح أنك الرجل الذى يمكن أن ينصحنى . لذا أسرع اليك ، وهانذا أضع نفسى بين يديك بدون تحفظ واذا كانت هناك نقطة لم أوضحها ، فأرجو أن تسألنى عنها .

ولكن قبل كل شيء ، ارجو أن تخبرني بما فعله ، لان هذه المحنة
أكثر وأقوى مما يمكنني احتماله . »

أصغيت أنا وهولز باهتمام عظيم الى هذه الوقائع غير المألوفة
التي سردها رجل مبليبل الفكر بصوت متقطع ، وهو تحت تأثير اقصى
العواطف . فجلس هولز صامتا لبعض الوقت واضعا ذقنه فوق
يده ومستغرقا في تفكير عميق .

وأخيرا قال : « أيمكنك أن تقسم على أن ذلك الوجه الذي
رأيت في النافذة ، هو وجه رجل ؟ »

« في كل مرة نظرت اليه كنت على مسافة بعيدة منه ، لذا
لا يمكنني الجزم بشيء . »

« ومع ذلك ، انطبعت في ذهنك فكرة سيئة . »
« اللون غريب ، والملامح ذات صلابة غريبة . وعندما اقتربت
اختفى وسط الظلام . »

« منذ كم من الوقت طلبت منك زوجتك مبلغ المائة جنيه ؟ »
« منذ شهرين تقريبا . »

« هل رأيت صورة لزوجها السابق ؟ »
« كلا . حدث حريق هائل في أتلانتا بعد موته بفترة قصيرة ،
فالتهمت النيران جميع الأوراق . »

« ومعها شهادة وفاة ، وقلت انك رأيته ؟ »
« نعم ، حصلت على نسخة ثانية منها بعد الحريق . »
« ألم تقابل أحدا يعرفها من أمريكا ؟ »

« كلا . »

« هل تكلمت عن زيارة الكوخ مرة أخرى ؟ »
« كلا . »

« ألم تتسلم أية خطابات منه ؟ »

« لا ، حسبما أعلم . »

« شكرا . أود أن أفكر في هذا الموضوع قليلا الان . اذا ظل
الكوخ مهجورا ، فربما قابلتنا بعض الصعوبات . أما اذا كان السكان
قد حذروا من قدومك ، كما اعتقد ، وغادروا الكوخ قبل دخولك
بالامس ، فربما كانوا هناك الان ، ويمكننا استجلاء الموقف بسهولة .
وانى لأنصحك بالعودة مرة أخرى الى نور بوري ، وفحص نوافذ
الكوخ مرة ثانية . واذا اعتقدت اعتقادا قويا بأن الكوخ مسكون ،
فلا تدخله عنوة ، وانما أرسل برقية الى صديقي ، أو الى نلحق

بك بعد ساعة من استلام البرقية ، وعندئذ نصل الى قاع الحقيقة .
قال رفيقي بعد أن أوصل المستر جرانت مونرو الى الباب ،
وعاد : « أخشى أن يكون هذا عملا فظيحا يا واطسون . ما رأيك
فيه ؟ »

فأجيبته بقولي : « يبدو أنه موضوع شائك .
» نعم أنه كذلك ، ويكتفه ابتزاز بالتهديد والا كنت مخطئا .
» ومن ذلك المبتز ؟ »

« لا بد أنه ذلك المخلوق الذي يعيش في الحجرة الانيقة الواحدة ،
بذلك الكوخ ، ولديه صورتها فوق رف الوطيس . أقسم بشرفي ،
يا واطسون ، على أن ذلك الموضوع يتضمن شيئا جذابا جدا عن
ذلك الوجه الشاحب الذي يقف في النافذة ، وأنا لا أترك هذه
القضية حتى ولو أعطيت متاع الدنيا كلها .
» هل كنت نظرية ؟ »

« نعم ، كنت نظرية مؤقتة ، فان ثبت عدم صحتها ، كان
هذا مفاجأة لي . الزوج السابق لهذه السيدة موجود في ذلك
الكوخ . »

ماذا يدعوك الى هذا الظن ؟

« بأي شيء آخر يمكننا تفسير قلقها الشديد ومنعها زوجها
الثاني دخول الكوخ ؟ فالوقائع كما أقرؤها شيء على هذا النحو :
تزوجت هذه المرأة في أمريكا ومارس زوجها بعض الصفات المقيتة ،
أو دعنا نقول أنه أصيب بمرض خبيث كالجدام أو الجنون ، فهربت
منه أخيرا وعادت الى إنجلترا وغيّرت اسمها وبدأت حياتها من جديد
كما حلا لها . ظلت متزوجة ثلاث سنوات ، وخيل اليها أن مركزها
آمن جدا بعد أن أطلعت زوجها على شهادة وفاة رجل انتحلت اسمه .
ولما اكتشف زوجها الاول مقرها أخيرا ، أو بواسطة امرأة معدومة
المبدأ والضمير ربطت نفسها بذلك المريض . فكتبا الى تلك الزوجة
وهدهداها بالحضور وكشف أمرها . فطلبت مائة جنيه لشرائه
سكوتها . ورغم هذا حضرا واقاما أمام بيتها . وحينما ذكر الزوج
لزوجه ، بطريقة عابرة ، أن هناك سكانا جددا في الكوخ ، عرفت
بطريقة ما أنها يطاردانها . فانتظرت حتى تام زوجها ، فذهبت
اليهما لتحثهما على أن يتركاها وشأنها . واذ لم تنجح في تلك الليلة ،
ذهبت اليهما مرة أخرى في صباح اليوم التالي . فالتقى بها زوجها
وهي خارجة من الكوخ ، كما أخبرنا . عندئذ وعدته ألا تذهب الى
هناك ثانية . ولكنها ، بعد يومين ، كانت تأمل في التخلص من هذين

الجارين المفزعين والذين كانا قوين عليها . فقامت بمحاولة أخرى
أخذة معها صورتها التي ربما كانا قد طلباها منها . وفي منتصف
هذه المقابلة ، هزعت الخادمة لتنبيههم بأن سيدها عاد الى البيت .
فعرفت الزوجة أنه سيأتي الى الكوخ مباشرة ، فجعلت سكان الكوخ
يخرجون من الباب الخلفي الى دغل أشجار الصفصاف الاسكتلندي ،
الذي قال انه قريب من الكوخ . وبهذه الطريقة وجد الكوخ مهجورا .
وانى لأفاجأ أكثر ، ان كان الكوخ لا يزال مهجورا . ومع ذلك ، فاذا
كان لا يزال كذلك عندما يقترب منه في هذا المساء ، فماذا ترى في
نظريتي ؟ »

« انها محض تخمين . »

« ولكنها ، على الأقل ، تضم جميع الوقائع . فاذا ما جاءت
الى علمنا وقائع أخرى ، لم تتناولها هذه النظرية ، فسيكون ذلك
الوقت هو ما نناقشها فيه . والان لا يمكننا عمل شيء الا اذا جاءتنا
رسالة جديدة من صديقنا ، من نور بوري . »

ولكننا لم ننتظر طويلا ، فقد جاءت الرسالة بمجرد ان انتهينا
من تناول الشاي ، تقول : « الكوخ مازال مسكونا . رأيت الوجه
مرة أخرى في النافذة ساقابلكما على قطار الساعة السابعة ، ولن
اتخذ أية خطوات الا بعد وصولكما . »

كان بانتظارنا على رصيف المحطة عند نزولنا من القطار ،
وكان بوسعنا ان نراه في أضواء المحطة شاحب اللون جدا ، ينتفض
من شدة الهياج .

وضع يده على كم صديقي ، وقال : « لا يزالون هناك ، يامستر
هولمز . شاهدت انوارا في الكوخ وأنا ذاهب الى هناك . سنسوى
الموضوع الان والى الابد . »

فسأله هولمز ونحن نسير في الطريق المظلم الذي تحده الاشجار :
« اذن ، فما هي خطتك ؟ »

« سأدخل الكوخ عنوة وأرى بنفسى من فيه . أريد منكما
ان تكونا هناك ، كلاكما ، شاهدين . »

« هل لاتزال مصمما على حل هذا اللغز ، رغم تحذير زوجتك
بأنه من الخير لك الا تحاول ان تحله ؟ »

« نعم ، أنا مصمم . »

« أعتقد أنك في الطريق الصحيح ، فأية حقيقة ، مهما تكن ، خير
من الشك المستمر . من الافضل ان نذهب في الحال طبعاً . انسا

نضع أنفسنا في طريق الخطأ ، من الناحية القانونية . ولكنى أعتقد أن المسألة تستحق المخاطرة . »

كانت ليلة حالكة الظلام ، وبدأ المطر ينزل خفيفا ونحن نترك الطريق إلى الحارة الكثيفة الشجيرات على كلا الجانبين . وكان المستر جرانت مونزو يسير حثيثا إلى الامام ، ونحن في عقبه قدر طاقتنا . تمتع المستر مونزو ، وهو يشير إلى الوميض الظاهر من خلال الاشجار ، وقال : « هاهى أنوار بيتى . وها هو الكوخ الذى سأقتحمه . »

استدبرنا حول أحد أركان الحارة وهو يتكلم وكان المبنى بجوارنا . وجدنا هناك قضيبا أصفر ساقطا بعرض الفناء الاسود . وهذا يدل على أن الطابق ليس مقفلا تماما . وكان هناك شبك في الطابق العلوى مضئ اضاءة باهرة . وحينما نظرنا إليه ، رأينا جسما داكنا ، غير واضح ، يتحرك وراء الشيش .

فصاح جرانت مونزو يقول : « هذا هو المخلوق اياه ، يمكنكما أن تريا بأنفسكما أن هناك شخصا . والان ، اتبعانى ، وسرعان ما سنعرف كل شيء . »

تقدمنا نحو الباب ، فاذا بامرأة تبرز من وسط الظلام وتقف في المسار الذهبى لضوء المصباح . لم استطع رؤية وجهها في الظلام ، ولكن ذراعيها امتدتا إلى الخارج في صورة توسل . صاحت تقول : « لا تفعل ، يا جاك . اكراما لخاطر الله ! كان عندي احساس سابق بأنك ستأتى هذا المساء . . . ليكن تفكيرك في الامر خيرا من هذا ، يا عزيزى ! ثق بى ثانية ، ولن تندم على ذلك . »

فصاح جرانت في عنف : « وثقت بك ، وصدقتك مدة طويلة ، يا افى ! اتركىنى . لا بد أن أصعد السلم وأسوى الامر أنا وصديقائى ، إلى النهاية . . » قال هذا ودفعها جانبا ، فتبعناه مباشرة . وعندما فتح الباب جرت امرأة مسنة إلى الخارج ، وحاولت أن تسد الطريق أمامه ، ولكنه دفعها جانبا . وبعد لحظة ، كنا جميعا على السلم ، واندفع جرانت مونزو إلى داخل الحجرة المضئ بالطابق العلوى ، ودخلنا في أعقابها مباشرة .

كانت شقة مريحة فخمة الاثاث . وعلى المائدة شمعتان مضئتان ، وعلى رف الوطيس شمعتان أخريان . وفى ركن من الحجرة تجلس فتاة صغيرة أمام قمطر . فلما دخلنا أدارت وجهها بعيدا عنا ، ولكننا

استطعنا أن نراها مرتدية فستانا أحمر اللون وقفازا طويلا أبيض .
وحيثما استدارت نحونا ، أطلقت صيحة المفاجأة والفرح . كان الوجه
الذى أدارته نحونا من أغرب الألوان القائمة ، وملامحها خالية تماما
من أى تعبير . وبعد لحظة ، اتضح اللفز الغامض . مر هولز بيده
وهو يضحك ، خلف اذن الطفلة ، فنزع عن وجهها قناعا ، فبان
فتاة زنجية سوداء بلون الفحم ، تتألق جميع أسنانها البيضاء أمام
وجوهنا المذهولة ، وهى مسرورة مفتبطة . فانفجرت ضاحكا ، أما
جرائت مونرو فوقف يحملق فيها ويده عند رقبته .

صاح مونرو يقول : « رباه ! ما عسى أن يكون معنى هذا ؟ »
صاحت السيدة وهى تدخل الحجرة مرفوعة الرأس وقالت :
« سأخبرك بمعنى هذا بعد أن أجبرتنى ، رغما منى على أن أخبرك .
والآن ، على كلينا أن نتصرف التصرف الصحيح . مات زوجى
الاول فى اثلاثنا وعاشت ابنتى . »
« ابنتك ؟ »

قالت هذا وأخرجت علبة فضية من صدرها ثم أردفت تقول :
« لم تر هذه العلبة مفتوحة قط . »
ظننتها لا تفتح .

ضفطت الزوجة على زنبرك فانفتح الغطاء ذو المفصلات . كان
بداخلها صورة نصفية لرجل بادی الاناقة والذكاء ، يحمل فى محياه
أمارات أصله الأفريقى الواضح .

قالت السيدة : « هذا جون هبرون ، أحد أهالى اثلاثنا .
لم يمش على الأرض رجل أنبل منه . انفصلت عن جنسى لاتزوجه ،
ولكنى طوال حياتى معه ، لم أندم مرة واحدة على زواجى به . وكان
من سوء حظنا أن ابنتنا الوحيدة جاءت بلون قومه وليس بلون
جنسى ، ولا بين بين . غالبا ما يحدث هذا فى أمثال هذه الزيجات .
جاءت لوسى الصغيرة أشد سوادا من والدها . ولكن مهما تكن
سوداء أو بيضاء ، فهى ابنتى الصغيرة العزيزة ، حبيبة أمها وقرّة
عينها . » عندما سمعت هذه المخلوقة الصغيرة كلمات أمها ، جرت
واختبأت وراء ثوب والدتها .

استطردت السيدة تقول : « عندما تركتها فى أمريكا ، لم يكن
هذا إلا لان صحتها كانت ضعيفة جدا ، وربما ضررها تغير الجو .
فعهدت بها الى سيدة اسكتلندية وفية ، كانت نخادمتها فيما مضى .

ولم احلم مرة واحدة بأن انكر أمومتى لها . ولكن عندما رماك الحظ في طريقى ، يا جاك ، وتعلمت أن أحبك ، خفت أن أخبرك بابنتى ، وائى لأستغفر الله عن ذلك ، ولم تأتنى الشجاعة لان أخبرك . كان لابد لى أن أختار بينكما . وفى ضعفى الذى لا مبرر له ، ابتعدت عن ابنتى الصغيرة واحتفظت بوجودها سرا عنك لمدة ثلاث سنوات . وكنت أسمع من مربيتها أنها على أحسن حال ، فأطمئن . وأخيرا استبدت بى رغبة جامحة فى أن أرى الطفلة مرة أخرى . حاولت أن أتخلى عن هذه الرغبة الملحة ولكن دون جدوى . ورغم ادراكى للخطر، اعتزمت رؤيتها ، ولو لبضعة أسابيع . فأرسلت مائة جنيسة للمربية ، وزودتها بالتعليمات عن الكوخ كى تقيما فيه كجارتين ، دون أن أبدو على أية علاقة بهما . وتماديت فى احتياطاتى بأن أمرتها بالاحتفاظ بالطفلة فى البيت اثناء النهار ، وبأن تغطى وجهها ويديها كيلا يتحدث من يراها عن وجود طفلة سوداء البشرة فى هذه المنطقة . ولو كنت أقل احتياطا لصرت أكثر عقلا ، ولما حدث شيء من كل هذا . ولكنى كنت نصف مجنونة خشية أن تعرف الحقيقة .

« أنت الذى أخبرتنى أولا بأن الكوخ سكن . كان لابد أن انتظر حتى الصباح ، ولكنى لم أستطع النوم من شدة الانفعال ، وانت تعرف قلب الام . وهكذا تسلمت أخيرا الى الخارج ، وأنا أعرف صعوبة ايقاظك . ولكنك رايتنى اذهب ، فكان هذا أول متاعبى التى جررتها على نفسى وعليك بسوء تصرفى . وفى اليوم التالى غدا سرى تحت رحمتك ، ولكنك أحجمت بنبل عن السير وراء غضبك . وبعد ذلك بثلاثة أيام ، هربت المربية والطفلة من الباب الخلفى عندما اقتحمت الباب الامامى . والان ، وفى هذه الليلة ، عرفت كل شيء أخيرا . وأرجوك أن تخبرنى ماذا سيثول اليه أمرنا ، أنا والطفلة ؟ » قالت هذا ، واشتبكت يداهما معا ، تنتظر الرد .

مرت دقيقتان طويلتان حتى تكلم جرائت مونرو . وعندما جاء رده ، كان ردا يلذ لى أن أتذكره . رفع الطفلة الصغيرة وقبلها وحملها ، ثم مد يده الاخرى الى زوجته وهو مازال يحمل الطفلة واستدار نحو الباب .

قال : « يمكننا أن نتحدث فى هذا الامر براحة أكثر ، فى البيت . لست رجلا طيبا جدا ، يا ايفى ، ولكنى أعتقد اننى أحسن ممسا جعلتيني طيبا . »

تبعتهما أنا وهولز خلال الحارة . وأمسك صديقي كمي ونحن
خارجان ، وقال : « اظننا سنكون أكثر فائدة في لندن منّا في
نور بوري . »

لم نتكلم بأي لفظ آخر عن هذه القضية الا في وقت متأخر من
تلك الليلة عندما ذهب هولز الى حجرة نومه يحمل شمعه الصغيرة .
قال : « يا واطسون ، اذا طرا على بالك ، في أي وقت ، أنني
واثق من قواي ، أو أنني ابدل جهدا في قضية ما ، أقل ممّا
تستحق ، فأرجوك أن تهمس في أذني بكلمة « نور بوري » ، عندئذ
أكون شاكرا لك الى الابد . »

كاتب سمسار الأوراق المالية

بعد أن تزوجت بوقت قصير ، اشتريت عيادة طبية بمنطقة بادنجتون . كان المستر فاركوهار العجوز ، الذى اشتريتها منه ، يحظى بعمل طيب فى تلك العيادة بيد أن شيخوخته واصابته بمرض الكوريا « مرض عصبى يرجع الى اضطراب عقلى » عملتا كثيرا على تخفيف العمل . وان الجمهور ليعتقد ، بطبيعته ، ان الطبيب الذى يشفى غيره لابد ان يكون هو نفسه فى صحة جيدة ، كما ينفر من الطبيب الذى يكون مرضه فوق ما تستطيع عقايره ان تشفيه . وهكذا عند ضعف سابقى هذا ، اضمحل عمله الى ان اشتريت العيادة منه . وكان دخله قد هبط من الف ومائتى جنيه فى العام ، الى اكثر قليلا من ثلثمائة جنيه فحسب . ومع ذلك ، فقد كنت اثق فى شبابى ونشاطى كما كنت مقتنعا بأن العيادة ، بعد بضع سنوات ، سوف تزدهر كما كانت .

ظلت عاكفا على عملى ، لمدة ثلاثة اشهر بعد حصولى على هذه العيادة ، ولم أر صديقى شلوك هولز الا لاما اذ كنت مشغولا جدا ، فلم استطع الذهاب الى شارع بيكر ، وانه هو نفسه لم يذهب الى اى مكان الا لعمل تتطلبه مهنته . لذا ، ادهشنى ، فى صباح أحد ايام شهر يونية ، وانا نجالس اقرا « الصحيفة الطبية البريطانية » بعد أن تناولت طعام الافطار ، ادهشنى أن أسمع جرس الباب يدق ، يعقبه دخول صديقى ، وهو يقول بصوت مرتفع : « أهلا ، يا عزيزى واطسون . يسرنى جدا أن أراك . أرجو أن تكون مسر واطسون قد افادت تماما من انفعالها بخصوص مغامرتنا فى قضية « علامة الاربعة » . »

قلت وأنا اصافحه بجرارة : « شكرا ، نحن كلينا ، بخير وعلى احسن ما يرام . »

فجلس على الكرسي الهزاز ، وقال : « آمل كذلك فى ان تكون مشاغل عملك الطبى ، لم تمنح تماما متعتك السابقة فى مشكلاتنا

الاستقرائية الصغيرة . «
أكدت له بقاء متعتى كما هى ، بقولى : « على العكس . ففى
الليلة الماضية فقط ، كنت اتصفح مذكراتى القديمة ، وأرتب بعض
استنتاجاتنا الماضية . «
« أرجو ألا تكون مجموعتك قد أقفلت . «
« أبداً ، لا أرغب فى شيء أفضل من الحصول على مزيد من هذه
الممارسات . «

« أتريدها اليوم ، مثلاً ؟ »
« نعم ، اليوم ان أردت . «
« وتسافر حتى برمنجهام ؟ »
« ياليتها تكون كذلك ! »
« ومهنتك ؟ »
« اننى اقوم بأعمال جارى اثناء غيابه ، وهو على استعداد
دائماً لسداد الدين . «
أسند هولز ظهره الى الخلف فى مقعده ، وقال وهو ينظر الى
من تحت أجفانه نصف المقفلة :
« اذا ، فلا شيء خيراً من هذا . ارى ان وعكة أصابتك حديثاً ،
وان نوبات برد الصيف مزعجة بعض الشيء . «
« لزممت دارى من جراء قشعريرة شديدة ، لمدة ثلاثة أيام فى
الاسبوع الماضى ، وأظننى شفيت من كل اثر لها . «
« أنت كذلك . تبدو قويا بصورة ملحوظة . «
« وكيف عرفت هذا ؟ »
« انك تعرف طرقي ، يا زميلى العزيز . «
« فهل استنتجت ذلك ؟ »
« بالتأكيد . «
« ومن أى شيء ؟ »
« من أخفافك . «

« فنظرت الى أسفل نحو أخفافي المصنوعة من الجلد المتين ،
والتي البسها فى قدمي ، وكنت على وشك أن أقول : « كيف ؟ وبأى
شيء على الارض ؟ » ولكن هولز كفانى مئونة هذا السؤال بأن اجاب
قبل أن أسأله .

قال : « أخفافك جديدة . لم تكن عندك لأكثر من بضعة
أسابيع . فان نعالها ، التي توجهها نحوى محترقة قليلاً . ظلت

لحظة أفكر في أنها ربما كانت مبتلة قليلا ، واحترقت عندما أردت
تجفيفها . ولكن بداخل الخف بطاقة ورقية مستديرة عليها اسم
المتجر . وبالطبع قد تكون الرطوبة أزالَت هذه البطاقة . اذن ، فلا بد
أنك كنت جالسا ورجلاك ممتدتان نحو النار ، الامر الذي لا يفعله
أى انسان في شهر يونية المطير ، الا اذا كان معتل الصحة . «
وكما هي طريقة هولز في تدليله ، كان هذا في منتهى البساطة
عند شرحه . قرأ الفكرة في ملامحي ، وابتسم ابتسامة تشوبها
المرارة .

فقال : « أخشى اننى اكشف عن طرقى عندما أفسر أدلتى .
فالناتج من غير ذكر الاسباب ، أكثر تأثيرا .. اذن ، فهل أنت على
استعداد للمجئ معى الى برمنجهام ؟ »
« بالطبع . ما هي القضية ؟ »

« بعد لحظة . » كتبت مذكرة لجارى ، وأسرعت صاعدا الى
الطابق العلوى لأشرح الموضوع لزوجتى ، ثم لحقت بهولز عند عتبة
الباب .

أشار هولز الى لافتة نحاسية ، وقال : « هل جارك طبيب ؟ »
« نعم ، اشترى عيادة مثلما فعلت أنا . »
« أهى عيادة قديمة ؟ »

« نعم ، مثل عيادتى تماما . كلتاهما منذ بناء هذا البيت . »
« اذا ، أخذت أنت أفضل العيادتين . »
« اظننى فعلت ذلك . وكيف عرفت ؟ »

« عرفت ذلك من السلم ، يا غلامى . فان سلمك متآكل بمقدار
ثلاث بوصات أعمق من سلمه . ولكن الرجل الموجود بالعربة هو زبونى
المستر هول بايكروفت . اسمح لى بأن أقدمك له . سط خيولك ،
أيها الحوذى ، فلا يكاد يكون لدينا وقت لنلحق القطار . »

الرجل الذى واجهته قوى البنية أبيض البشرة ، صغير السن ،
ذو وجه صريح أمين ، وشارب صغير أصفر اللون ، يضع على رأسه
قبعة عالية لامعة جدا ويرتدى حلة أنيقة سوداء جعلته يبدو على
حقيقته - شابا حضريا - أنيقا من الطبقة اللندنية المعروفة باسم
« كوكنى » ، ممن يتطوعون في شتى فرق الجيش ومعظمهم من
الرياضيين ولا سيما المصارعين ، أكثر من أى أناس آخرين في هذه
الجزر . أما وجهه الأحمر المستدير فمملوء مرحا ولو أن زاويتي فمه
منحرفتان الى أسفل قليلا دليلا على بعض الحزن . لم أعرف المشكلة

التي الجأته الى شرلوك هولمز الا بعد ان صرنا جميعا داخل حجرة الدرجة الاولى ، وبدأ القطار سيره الى برمنجهام .
قال هولمز : « لدينا سبعون دقيقة كاملة نقضيها في القطار ، واريدك ، يا مستر بايكروفت ، ان تخبر صديقي الدكتور واطسون بمشكلاتك الممتعة مثلما أخبرتني بها تماما ، او بمزيد من التفصيل ان أمكن ، فذلك يفيدني في تتبع تعاقب الاحداث مرة ثانية . انها يا واطسون قضية تنطوي على شيء ، او قد لا تتضمن أى شيء . ولكنها ، على الاقل ، تمثل تلك المظاهر غير العادية العزيزة عليك وعلى . والان ، لن اقاطعك مرة اخرى ، يا مستر بايكروفت . »
نظر الى رفيقنا الشاب ، وقد تألقت عيناه .
قال : « اسوا ما في هذه القصة ، اننى اظهرت نفسى غيبا مخدوعا . وبالطبع قد تبدو عادية ، وما كان بوسعى ان افعل غير ذلك . ولكنى اذا فقدت وظيفتى ولم احصل على شيء بدلا منها ، فسأشعر باننى كنت « مفقلا » كبيرا . . اننى لا اجد الرواية يا دكتور واطسون ، ولكن هكذا حدث معى :

« كنت اعمل في مؤسسة كوكسون وودهاوس في درابرز جاردنز ولكنهم شهرروا افلاسهم بسبب القرض الفنزويلي ، كما تتذكر ، بغير شك ، وجاءت مكائها مؤسسة اخرى بفيضة . كنت اعمل معهم لمدة خمس سنوات ، واعطاني العجوز كوكسون شهادة طبية حينما المت بهم المحنة . اما نحن الكتبة ، فطردنا من العمل ، وكنا سبعة وعشرين كاتباً . وحاولت البحث عن عمل هنا وهناك ولكن دون جدوى ، اذ كان هناك الكثير جدا من الشبان المتعطلين مثلى . وهكذا ظلت بدون عمل لمدة طويلة . . كنت اتقاضى لدى كوكسون ثلاثة جنيهات في الاسبوع ، وفرت منها حوالى سبعين جنيها . ولكنى انفقتها كلها وانا بدون عمل وما زلت اطلب عملا عند هذا واطارد مكان ذاك صفر اليدين حتى صرت اخيرا « على الحديد » . وقلما كنت اجد ثمن طابع البريد او ثمن الظروف الذي الصقه عليه لارد على اعلان بطلب وظيفة . وفضلا عن هذا ، ابلت حداثى بكثرة صعود سلالم المكاتب وهبوطها وبدا اننى لن اجد عملا قط .

« واخيرا عثرت على وظيفة خالية لدى مؤسسة موسون ووليامز للأوراق المالية الكبرى بشارع لومبارد . وانى لاتجاسر على القول بان الأوراق المالية ليست من اختصاصى ، ولكنى أستطيع القول

بأن هذه المؤسسة من أغنى المؤسسات الموجودة في لندن كلها . ولما كان الرد على هذا الاعلان بالخطابات فقط ، أرسلت لهم صوراً من مؤهلاتي وطلب العمل ، دون أن يكون عندي أقل أمل في نيل تلك الوظيفة . ولكن الرد جاء برجوع البريد يطلب ذهابي الى هناك صباح يوم الاثنين التالي لاتسلم عملي الجديد في الحال ، على شرط أن يكون مظهرى مقبولا . . لا أحد يعرف كيف يتم اختيار الموظفين . يقول بعض الناس : ان المدير يضرب يده في كومة الطلبات التي أمامه ويسحب منها أول طلب يقع في يده ، كيفما اتفق . وعلى أية حال ، كان طلبى هو الذى وقع في يده في تلك المرة . فشعرت بفرح ما بعده فرح . كان المرتب يزيد جنيها واحدا في الاسبوع على مرتبى عند كوكسون ، بينما العمل هو نفسه تقريبا .

« والآن أتناول الجزء الغريب في هذا الموضوع سرت في طريق هامستيد ، والعنوان - ١٧ صالة بوتر . . كنت جالسا ادخن في ذلك المساء نفسه بعد ان وعدت بالوظيفة ، فاذا بمديرة البيت تأتيني ببطاقة مطبوع عليها : « آرثر بينر ، وكيل مالى . » لم أسمع عن ذلك الاسم من قبل ، ولم يكن بمقدورى أن اتصور ماذا يريد منى هذا الرجل ، فطلبت منها ادخاله ، فدخل - كان رجلا متوسط الحجم ، أسود الشعر والعينين واللحية ، مدبب الأنف قليلا يتكلم بحدة وجدية وباختصار ، كرجل يعرف قيمة الوقت .

قال : « أنت المستر بايكروفت على ما أعتقد ؟ »

قلت : « نعم ، يا سيدى . » ووضعت كرسيها بينى وبينه .

« هل كنت تعمل أخيرا بمؤسسة كركسون وودهاردى ؟ »

« نعم ، يا سيدى . »

« والآن ، أنت ضمن موظفى مؤسسة موسون ؟ »

« بالضبط . »

قال : « حسنا ! الحقيقة اننى سمعت أخيرا قصصا خارقة ، عن كفاءتك المالية . أتذكر باربكر ؟ الذى كان مدير مؤسسة كوكسون ؟ لم يستطع أن يقول ما يوفيك حقا . »

« وبالطبع ، سرنى سماع هذا المديح . كنت ماهرا دائما فى أعمال المكتب . ولكنى لم أحلم قط بأن يتكلم عنى أحد فى المدينة على ذلك النحو . »

قال : « اذاكرتك حافظة ؟ »

قلت بتواضع : « متوسطة . »

« هل اتصلت بأمور السوق وانت تغير عمل ؟ »
« نعم ، كنت اقرأ قائمة بورصة الاوراق المالية في كل صباح . »
فصاح يقول : « اذن ، فهذا يوضح عملا حقيقيا ، هذا هو
الطريق الى الازدهار ! هل تمنع في أن اختبرك ؟ ماذا عن أسهم شركة
اير شاير ؟ قلت : « مائة وخمسين الى مائة وخمسة وربع . »
« وشركة نيوزيلاندا المتحدة ؟ »

« مائة وأربعة . »
« وبروكين هيلز البريطانية ؟ »
« سبعة الى سبعة وستة . »
فصاح رافعا يديه ، وقال : « رائع . هذا يتفق مع كل
ما سمعته ، يا بنى ! يا بنى ، انت اكثر من أن تعمل كاتباً في مؤسسة
موسون ! »

« أدهشنى قوله هذا ، كما يمكنك أن تتصور . فقلت : ليس
راى الآخرين في كبراً مثل راىك يا مستر بينر . ناضلت كثيراً
للحصول على تلك الوظيفة ، وسررت جداً اننى حصلت عليها . »
« ويحك ، يا رجل ! يجب أن تحلق في جو أعلى من ذلك .
لست في مركزك الحقيقى . والآن ، سأخبرك بمركزك عندى . ليس
ما سأعرضه عليك كافياً اذا قيس بمقدرتك ، ولكنه اذا قيس بمرتبة
موسون ، فهو النور بالنسبة الى الظلام . ولننظر في الامر ! متى
ستذهب الى مؤسسة موسون ؟ »

« يوم الاثنين . »
« ها ، ها ! اعتقد اننى اخاطر بالقول بانك لن تذهب الى
هناك اطلاقاً . »

« لا اذهب الى مؤسسة موسون ؟ »
« طبعاً ، لن تذهب اليها ، يا سيدى . في ذلك اليوم ستكون
مدير أعمال شركة فرائكو - ميدلاند ليمتد ، للأدوات المنزلية ، ذات
المائة والاربعة والثلاثين فرعاً في المدن والقرى الفرنسية ، غير فرع
في بروكسل وروآخر في سان ريموه . »

قلت : « هذا يبهر أنفاسى . لم أسمع عن هذه الشركة اطلاقاً . »
« طبعاً ، لم تسمع عنها ، لانها تأسست في هدوء وجمع رأس
المال من أناس معينين . ومن الخير أن نجعل الجمهور يشترك فيها .
من مؤسسيها اخى هارى بينر ، الذى اختاره مجلس الادارة مديراً
عاماً لهذه الشركة . . لما عرف اننى ساجىء الى هنا ، لقضاء فترة

للسباحة ، طلب منى أن أبحث عن رجل قدير ، بأجر بسيط - شاب طموح بالغ الكفاءة . فحدثني عنك باركر . وهذا هو ما جاء به الى هنا في هذه الليلة . ليس في مكتنتنا الا أن نعرض عليك مبلغا بسيطا ، خمسمائة جنيه في السنة ، في البداية —

صحت أقول : « خمسمائة في العام ؟ »

« هذا في البداية فقط ، كما لك عمولة واحد في المائة على كل الاعمال التي يقوم بها وكلاؤك . ويمكنك ان تعتمد على كلامي ، بأن هذه العمولة ستصل الى اكثر من مرتبك . »

« ولكنى لا أعلم شيئا عن الادوات المنزلية . »

« صه ، يا بنى ! أنت تعلم عن الارقام . »

« اضطرب رأسى ، وقلما استطعت الجلوس على مقعدى . غير ان موجة حادة من الشك انتابتنى فجأة ، فقلت :

« يجب ان اكون صريحا معك ، يا سيدى . فرغم ان موسون يعطينى مائتى جنيه فقط ، فانه مضمون . والحقيقة اننى لا أعرف شيئا عن شركتك التي — »

صاح في شيء من البهجة : « رائع ، رائع ! هذا هو نوع الرجل الذي نريده بالذات ! لست بالرجل الذي يفتر بمعسول ، الالفاظ ، واثك لعلى حق . هاك ورقة مالية بمائة جنيه . فاذا رأت اننا من الممكن ان نعمل معا ، فضعها في جيبك كمقدم لمرتبك . »

قلت : « هذا جميل . متى اتسلم عملى الجديد ؟ »

قال : « تكون في الساعة الواحدة من مساء غد في برمنجهام . وفي جيبى خطاب ستأخذه الى أخى . ستجده في رقم ١٢٦ ب شارع كوربوريشن حيث توجد المكاتب الجديدة لشركتنا . وبالطبع ، لابد ان يعتمد أخى عقد العمل بيننا . »

قلت : « الحقيقة اننى لا أعرف كيف أعبر لك عن شكرى ، يا مستر بينر . »

« هذا لا شيء ، يا بنى . لم تحصل الا على ما تستحقه . وهناك شيء صغير أو شيئان - مجرد رسميات - يجب ان أسويهما معك . بجانبك هناك قطعة من الورق . أرجو ان تكتب فيها بعناية : « أرغب تماما في أن أعمل في منصب « مدير أعمال » لشركة فرانكو - ميلاند ليمتد للأدوات المنزلية ، بمرتب ابتدائى قدره خمسمائة جنيه في العام . »

« ولما انتهيت من كتابة ما أملاه على ، أخذ الورقة ووضعها في جيبه . »

قال : « هناك موضوع واحد . ماذا تنوى أن تفعل مع مؤسسة موسون ؟ »

« نسيت ، في غمرة فرحي ، كل شيء عن موسون

فقلت : « سأكتب لهم استقالة . »

« هذا ، بالضبط ، هو ما لا أريدك أن تفعله . تحدثت بخصوصك مدة طويلة مع مدير مؤسسة موسون ، وسألته عنك ، فكان رده مهينا - اتهمني بأنني أغريتك على ترك خدمة مؤسسته ، ثم أرغى وأزبد وثار . وأخيرا ، فقدت صوابي وخرجت عن طوري ، فقلت له : « إذا أردت رجلا اكفاء في عملك ، فلا بد أن تدفع لهم أجورا مجزية . » فقال : « الأفضل لبايكروفت أن يقبل بأجرنا القليل من أن يأخذ أجرك الكبير . » فقلت له : « أراهنك على ورقة بخمسة جنيهات ، على أنه إذا عرف بايكروفت عرضي ، فلن تراه بعد ذلك . » قال : « انتهينا ! نحن انتشلناه من البالوعة فلن يتركنا بمثل هذه السهولة . » هذا نص كلماته .

فصحت أقول : « يا له من نذل وقح ! لم أره قبل ذلك في حياتي . فلماذا أعمل له اعتبارا ، بحال ما ؟ وبالتأكيد لن أكتب إليه إذا كنت تفضل الا أكتب إليه . »

قال وهو ينهض من فوق الكرسي : « حسنا ! هذا وعد ! كم أنا مسرور أن أحصل لأخي على رجل بارع قدير مثلك . هاك المائة جنيه مقدم المرتب ، وهاك الخطاب . خذ مذكرة بالعنوان : ١٢٦ ب شارع كوربوريشن . وتذكر أن موعدك هو الساعة الواحدة من مساء غد . . عم مساء ، وعسى أن تنال كل ما تستحقه من ثروة ! »

« هذا ، تقريبا ، هو كل ما دار بيننا بالضبط بحسب ما يمكنني أن أتذكر . ويمكنك أن تتصور ، يا دكتور وإطسون ، كم غمرني الفرح بوقوعي على مثل هذا الحظ السعيد . بقيت ، نصف الليلة ، جالسا أفكر في ذلك الأمر . وفي اليوم التالي ، ركبنا القطار إلى برمنجهام ، الذي يوصلني قبل الميعاد بمدة طويلة . فلما وصلت إلى هناك أخذت أمتعتي إلى فندق في نيو ستريت ثم ذهبت إلى العنوان الذي أعطيته . »

« وصلت إلى ذلك العنوان قبل موعدى بربع ساعة ، ولكنني ظننت هذا أمرا غير ذي بال ، كان رقم ١٢٦ ب ممرا بين متجرين يؤدي إلى سلم ججري لولبي يوصل إلى عدة شقق مؤجرة كمكاتب ،

الى بعض الشركات وارباب المهن الحرة . وكتبت أسماء شاغلي تلك الشقق على الحائط السفلى ، ولكن لم يكن هناك اسم شركة فرانكو - ميلاند ليتمد للأدوات المنزلية . وقفت هناك بضع دقائق وهي ثبتت همتي وأخذ الحزن يتطرق الى قلبي وبدأت أفكر فيما اذا كان الموضوع مجرد نصب متقن . وبينما أنا أفكر في ذلك ، أقبل رجل وخاطبني باسمي . انه يشبه الشاب الذي زارني في الليلة الماضية ، تمام الشبه : نفس الشكل ونفس الصوت ولكنه كان جليق الدقن وشعره أزهى من شعر ذاك .

سألني بقوله : « هل أنت المستر هول بايكروفت ؟ »
قلت : « نعم . »

« أنا بانتظارك ، ولكنك جئت قبل الموعد بوقت قليل . . وصلني خطاب من أخى ، في هذا الصباح يثنى فيه على مواهبك ثناء عاطراً . »
« كنت أبحث عن المكتب ، فإذا بك أقبلت . »

« لم يكتب اسمنا هنا لأننا لم نستأجر هذا المبنى الا في الاسبوع الماضى فقط . هيا ، يا صديقى ، سنتحدث في الموضوع من شتى نواحيه . »

« فتبعته الى قمة السلم البالغ الارتفاع . كانت مكاتب هذه الشركة عبارة عن حجرتين خاويتين ومفبرتين ، ليس فيهما أبسطة ولا ستائر ؟ فقادنى اليهما . كنت أتصور مكاتب هذه الموظفين ، ضخمة وبها مناوئد لامعة وصفوف من الموظفين ، كالتى تعودتها من قبل . فنظرت الى الكرسيين الخشبيين والنضد الواحد الصغير الذى وضع فوقه دفتر كبير ، وعلى الارض بجانب المكتب سلة للمهمات . . هذه هى كل اثاث المكتب . »

« لما أبصر صديقى الجديد أمارات الاكتئاب بادية على وجهى ، قال : « لا تكتئب يا مستر بايكروفت . لم تبين روما في يوم واحد . لدينا مبالغ كثيرة من الأموال ، ولم تعتمد بعد مبالغ كبيرة لتأثيث المكاتب . أرجوك أن تجلس وتعطينى خطابك . »
« أعطيته الخطاب ، فقرأه كله بامعان . »

« يبدو أنك أحدثت انطباعا عميقا في نفس أخى آرثر ، وأعرف انه شديد الحكم في مثل هذه الامور . انه يقسم بلندن . كما أقسم أنا ببرمنجهام ، ولكنى سأتابع نصحه في هذه المرة . أرجو أن تعتبر نفسك مقبولا نهائيا . »

فقلت : « وما هى واجباتى ؟ »

« ستدير المكتب الكبير في باريس ، الذي سيتدفق منه سيل ضخيم من الادوات الخزفية الانجليزية الى حوانيت مائة وأربعة وثلاثين وكيلا في فرنسا . سيتم الشراء في أسبوع . وفي هذه الاثناء ، ستبقى في برمنجهام لنتفع بك هنا . »
« كيف ؟ »

وردا على سؤالى ، اخرج كتابا ضخما احمر اللون من درج ، وقال : « هاك دليل باريس وبه الصناعات والمهن بعد أسماء الاشخاص . اريدك ان تأخذه معك الى منزلك وتكتب قوائم بجميع بائعى الادوات المنزلية وعناوينهم . سأجد منفعة كبرى فيهم . »
قلت : « من المؤكد ان هناك قوائم مبنوبة . »
« نعم ، ولكن لا يعتمد عليها لان طريقتهم تختلف عن طريقتنا . افعل كما اخبرتك ، واحضر لى القوائم في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ، وأسعد الله نهارك ، يا مستر بايكروفت . واذا داومت على ابداء الدكاء وبذل الجهد ، فستجد الشركة سيدا طيبا جدا . »

« رجعت الى الفندق وتحت ذراعى ذلك الكتاب الكبير ، وتعمل في صدرى مشاعر متضاربة . فمن ناحية تسلمت عملى نهائيا وفي جيبى مائة جنيه . ومن ناحية أخرى ، ترك منظر المكاتب ، وعدم وجود اسم الشركة على الحائط ، وعدة نقاط أخرى ، انطبعا سيئا في نفس رجل أعمال ، عن مركز مخدومى . ومع ذلك ، فليكن ما سوف يكون ، طالما اخذت نقودى . وهكذا ظللت منكبا على العمل بجد طوال يوم الاحد ، ومع ذلك ، ففي يوم الاثنين لم اكن قد وصلت الا الى حرف (د) . فذهبت الى مخدومى يوم الاثنين ، فوجدته في الحجرة غير المرتبة نفسها ، فأخبرنى بأن أستمر في ذلك العمل حتى يوم الاربعاء . ومع ذلك ، فلم ينته العمل بعد ، ولذا امهلنى الى يوم الجمعة - أى أمس . فأخذت ما انجزته الى المستر هارى بينر . »

قال : « أشكرك كثيرا . أخشى ان اكون لم اقدر صعوبة هذا العمل . ستكون هذه القوائم ذات عون هام لى . »
قلت : « استغرقت بعض الوقت . »
قال : « وآلان ، اريدك ان تعمل قائمة بحوانيت الاثاث ، لأنها جميعا تبيع أدوات منزلية . »
« حسنا جدا . »

« ويمكنك أن تأتي غدا مساء في الساعة السابعة لتريني إلى أين وصلت . لا تجهد نفسك بالعمل . فان ساعتين يوميا في قاعة موسيقى ، في المساء ، لن تضرك بعد عملك . » وكان يضحك وهو يتكلم . ولكن ما أثار الشكوك في نفسي ، أنني أبصرت وهو يضحك ، سنه الثانية من الجانب الأيسر محشوة بالذهب حشوا رديئا . « فرك شرلوك هولمز يديه مسرورا ، وحملت في زبوتنا مدهوشا . قال : « وقد تبدو مدهوشا ، يا دكتور واطسون ولكن الامر هكذا . فعندما كنت أتحدث إلى الرجل الأول في لندن ، أبصرت داخل فمه وهو يضحك نفس السن الثانية محشوة بالذهب بطريقة مماثلة لهذه تماما ، ولاحظت بريق الذهب في كلتا الحالين ، كما تعلم . فلما وضعت النقط على الحروف : نفس الصوت ، ونفس الشكل والحجم والارتفاع دون تغير باستثناء الشعر واللحية ، وهذان من السهل تغييرهما بموسى أو بياروكة ، لم أعد أشك في كونه نفس الرجل . فبالطبع يتوقع المرء أن يكون اخوان من شبه واحد ، ومن الممكن أن يكونا من نفس الشكل والحجم ، وقلما يكون لهما نفس الصوت . ولكن نفس السن المحشوة أمر مستحيل ولا سيما بالذهب بنفس الطريقة . انحنى لى بالتحية مودعا ، فوجدت نفسي في الطريق قلما أعلم ما اذا كنت واقفا على راسي أم على عقبي . فرجعت إلى فندقى حيث وضعت راسي في حوض من الماء البارد ، وحاولت التفكير في هذا الأمر المحير : لماذا أرسلنى من لندن إلى برمنجهام ؟ ولماذا ذهب إلى هناك قبلى ؟ ولماذا كتب خطابا من نفسه إلى نفسه ؟ ولماذا لا يوجد اسم الشركة على الحائط مثل غيرها ؟ ولماذا المكاتب بدون اثاث ؟ كان هذا كثيرا على لا أستطيع فهم معناه . وبينما أنا في دوامة من التفكير طرأ على بالى فجأة أن ما يكون مظلما على ، سيكون نيرا واضحا على المستر شرلوك هولمز . وما زال عندى وقت لأذهب إلى لندن بقطار الليل لأراه في هذا الصباح ، وأعود معكما إلى برمنجهام . »

بعد أن حكى كاتب سمسار الأوراق المالية حكايته المدهشة ، ساد السكون فترة . ثم اتجه شرلوك هولمز بعينه نحوى ، واستند إلى الخلف على الوسائد بوجه مبتهج ناقد ، كما يفعل خبير تذوق الخمور عندما يأخذ أول رشفة من نبيذ ما .

فقال شرلوك هولمز : يا لها من قضية ممتعة يا واطسون ، اليس كذلك ؟ بها نقاط تسرنى . اظنك توافقنى على أن مقابلة مع مستر آرثر بينر في المكاتب المؤقتة لشركة فرانكو ميدلاند ليمتد

للأدوات المنزلية ستكون ممتعة لكلينا . »

فسألته : « ولكن كيف تقوم بها ؟ »

فقال هول بايكروفت مبتهجا : « الامر في غاية السهولة ، أنتما صديقاي بحاجة الى عمل ، وماذا يكون طبيعيا أكثر من أخذكما الى المدير العام للشركة ؟ »

فقال هولمز : هو كذلك بالضبط . اريد أن أرى ذلك الرجل لأعرف ما اذا كان بمقدوري أن أستنتج شيئا من لعبته الصغيرة . أية صفات أو ميزات لك يا صديقي تجعل خدماتك ذات نفع أو قيمة ؟ أو هل من الممكن أن « ثم أخذ يقرض أظفاره وينظر الى خارج النافذة . وقلما حصلنا منه على كلمة أخرى حتى صرنا في نيو ستريت .

» وفي الساعة السابعة مساء ، كنا ، نحن الثلاثة ، نسير في شارع كوربوريشن ، الى مكاتب تلك الشركة .

فقال زبوننا : « لا فائدة اطلاقا من أن نذهب قبل الميعاد ، إذ يبدو أنه لا يذهب الى هناك الا ليرائى ، لان المكان يظل مهجورا الى الساعة التي يحددها لمقابلتي . »

فأبدى هولمز ملاحظته يقول : « هذا يفسر شيئا ما . »
فصاح الكاتب : « أقسم بجوث اننى أخبرتكم هكذا . ها هو يسير امامنا هناك . »

قال هذا وأشار الى رجل اشقر الشعر قصير القامة ، حسن الهندام ، يهرول مسرعا في الجانب الآخر من الطريق . وبينما نحن نلاحظ كل حركاته ، نظر الى غلام كان يصيح بأعلى صوته قائلا : « آخر طبعة من الصحف المسائية » ، فجرى صاحبنا بين العربات والاونوبيسات واشترى منه صحيفة ، ثم أمسكها في يده ، واختفى داخل باب .

فصاح هول بايكروفت ، يقول : « لقد دخل باب مكاتب الشركة . . تعاليا معي وسأسوى كل شيء بسهولة قدر الامكان . »

تبعنا قائدنا وصعدنا خمسة طوابق حتى وجدنا أنفسنا خارج باب نصف مفتوح ، فطرقه المستر بايكروفت فأمرنا بصوت من الداخل ، يقول : « ادخل ! » فدخلنا حجرة خاوية من الاثاث كما وصفها هول بايكروفت تماما ، وكان الرجل الذى أبصرناه في الطريق جالسا امام النضد الوحيد في الحجرة ، وامامه الصحيفة المسائية مفتوحة . فلما اتجه ببصره نحونا ، بدا لى اننى لم أشاهد في حياتى وجها كوجهه تتجلى عليه امارات الحزن والخوف والفزع الذى يطرا

على الناس في حياتهم . وكان العرق يلمع فوق جبينه ، وصار خداه بلون أبيض باهت كلون بطن السمكة ، وجحظت عيناه وحملتتا فينا ، ثم نظر الى موظفه كما لو انه لا يعرفه . وكان يوسعى أن استشف من الدهشة التي ارتسمت على وجه قائدنا ، أن هذا ليس ، بحال ما ، منظر مخدمه .

فقال مدهوشا : « تبدو مريضا ، يا مستر بينر ! »
فأجاب الآخر وهو يجهد نفسه في أن يستعيد رباطة جأشه ، ولعق شفثيه قبل أن يتكلم ، قائلا : « نعم ، لست بصحة جيدة . من هذان السيدان اللذان أحضرتهما معك ؟ »

فأجاب الكاتب بسرعة ، يقول : « هما صديقاي . هذا هو المستر هاريس من برمودسى ، وهذا مستر برايس من سكان هذه المدينة ، لهما خبرة كبرى ، ولكنهما متعطلان منذ وقت قريب ويأملان في أن يجدا عملا في هذه الشركة . »

فقال المستر بينر مبتسما : « ممكن جدا ! ممكن جدا ! نعم ، من المؤكد أننا سنتمكن من أن نفعل لكما شيئا . ماهو اختصاصك ، يامستر هاريس ؟ »

قال هولمز : « أنا محاسب . »
« عظيم ، نحن بحاجة الى شيء من هذا النوع . وانت يامستر برايس ؟ »

قلت : « أنا كاتب . »
« لى أمل كبير في أن يكون بمقدور الشركة أن تستوعبكما . وسأخبركما بمجرد أن نصل الى أية نتيجة . والان ، أرجو أن تنصرفوا . اتركونى وشائى ، اكزاما لخاطر الله ! »

قال هذه العبارة الأخيرة بطريقة كأن الكبت الذى فرضه على نفسه قد انفجر فجأة عن آخره . فتبادلت النظرات مع هولمز ، وتقدم هول بايكروفت خطوة نحو النضد .

قال بايكروفت : « نسيت ، يامستر بينر ، أثنى هنا بناء على موعد لأتلقى منك بعض التعليمات . »

فقال المستر بينر في نفمة أكثر هدوءا ! « طبعاً يا مستر بايكروفت ، طبعاً ، بوسعك البقاء هنا لحظة ، وليس هناك ما يمنع انتظار صديقك معك هنا . سأكون في خدمتك بعد ثلاث دقائق ، ان صبح لى أن أعتدى على صبرك لهذه المدة . » قال هذا ونهض

من مقعده ، منحنيًا لنا وهو يعبر بابًا في الجانب البعيد من الحجرة ،
وأقفله خلفه .

فهمس هولمز يقول : « وماذا الآن ، هل أفلت منا ؟ »

فقال بايكروفت : « مستحيل . »

« ولماذا مستحيل ؟ »

« لأن هذا الباب يؤدي إلى حجرة داخلية . »

« هل يوجد بها مخرج ؟ »

« أبدًا . »

« وهل فيها اثاث ؟ »

« كانت خاوية على عروشها ، بالأمس . »

« إذن ، فأى شيء على الأرض يمكن أن يعمل بتلك الحجرة ؟ »

هناك شيء لا أفهمه في هذا الموضوع . إذا كان هناك شخص مجنون
فرعا ثلاث مرات ، فإن اسم هذا الرجل هو بينر . ماذا يدعوهُ لأن
يرتجف ؟ »

قلت : « اشتبه في أن تكون من البوليس السرى . »

فقال بايكروفت : « هو كذلك . »

هز هولمز رأسه ، وقال : « لم امتقع لونه ؟ كان شاحب اللون

عندما دخلنا الحجرة . من الممكن أنه .. »

وبينما هولمز يتكلم ، قطع عليه كلامه صوت طرق في اتجاه

الباب الداخلى .

فصاح الكاتب يقول : « لماذا ، بحق الشيطان ، يطرق بابي

هو نفسه ؟ »

ومرة أخرى سمعنا صوت الطرق ، ولكنه كان أعلى من السابق .

فنظرنا جميعًا متلهفين ناحية الباب المقفل . ولما نظرت إلى هولمز

ألفيت وجهه متصلبًا وانحني إلى الامام في انفعال شديد . وفجأة

جاء صوت غرفة وحشرجة وصوت طرق على الإخشاب . فقفز

هولمز مدعورًا ، عبر الحجرة ، ودفع الباب . كان مقفلًا من الداخل .

فحدونا حذرًا واندفعنا جميعًا بكل ثقلنا على الباب ، فتداعت إحدى

مفصلاتهِ ثم تداعت الأخرى وسقط الباب على الأرض محدثًا صوتًا .

فاندفعنا فوقه إلى الحجرة الداخلية . .

كانت خاوية .

ولم تمض لحظة حتى أدركنا خطأنا . ففي أحد أركان الحجرة

القريب من الحجرة التى غادرناها ، باب ثان ، فقفز اليه هولمز وجذبه ، فانفتح . وجدنا على الارض سترة وصديريه ، ومن خطاف خلف الباب يتدلى جسم المدير العام لشركة فرانكو ميدلاند ليمتد ، مشنوقا بحمالات بنطلونه ، وقد رفع ركبتيه وتدلى رأسه على جسمه بزاوية مفزعة ، وان تأرجع عقبه هو الذى أحدث على الباب ذلك الصوت الذى سمعناه ونحن نتكلم . وفى لحظة ، طوقت وسسطه بذرعى ورفعته الى أعلى ، بينما حل هولمز وبايكروفت الارتبطة المطاطية التى اختفت بين ثنيات جلده ، ثم حملناه الى الحجرة الأخرى حيث رقد بوجهه فى لون الوردواز ، يحرك شفتيه الأرجوانيتين الى الداخل وإلى الخارج ، مع كل حركة تنفس . ولو تأخرنا خمس دقائق ، لصار حطاما مفزعا .

فقال هولمز : « ما رأيك فيه ، ياواطسون ؟ »
« انحنيت فوقه ، وفحصته . كان نبضه ضعيفا ومتقطعا ، ولكن تنفسه صار أطول ، وأجفانه ترتعش قليلا ، وتبدى خطا رقيقا أبيض لمقلتيه تحتها .

قلت : « انتابته موجة ذعر ، ولكنه سيميش افتحا تلك النافذة ، وناولانى دورق الماء ذاك . » فحللت ياقته ، وصببت الماء البارد على وجهه ، ورفعت ذراعيه وخفضتهما لاحداث تنفس صناعى الى أن صار تنفسه طبيعيا وطويلا .

قلت وأنا أبتعد عنه : « انها مسألة وقت . »
وقف هولمز الى جانب النضد ، واضعا يديه عميقا فى جيبى بنطلونه ، وذقنه على صدره .

قال هولمز : « أظن أنه يجب علينا أن نستدعى البوليس الى هنا الان . أود أن أعطيهم قضية كاملة عندما يحضرون . »
فصاح بايكروفت وهو يحك رأسه : « هذا لغز غامض على فهمى . ماذا جعلهم يأتون بى الى هنا طول تلك المسافة ، ثم . . »
فقال هولمز فى قلق : « وأعجباه ! الامر واضح بين . انها هذه الحركة الأخيرة الفجائية التى أوضحت كل شئ . »

« أذن ، فقد فهمت الباقي ؟ »
« أظن هذا واضحا تماما . ماذا تقول ياواطسون ؟ »

هزرت كتفى
قلت : « يجب أن أعترف بأننى لا أعرف شيئا . »

« بالطبع ، اذا تتبعنا الاحداث من اولها ، امكنك أن تجدها تشير كلها الى نتيجة واحدة . »
« ماذا تستنتج منها ؟ »

« يدور الموضوع كله حول نقطتين : الاولى انهم جعلوا بايكروفت يكتب طلبا للدخول في خدمة هذه الشركة المزعومة . الا ترى مايدل عليه هذا ؟ »

« أخشى اننى لا أعرف الهدف . »
« اذن ، فلماذا ارادوه أن يكتبه ؟ ليس كموضوع عمل ، اذ عادة ما تكون هذه الترتيبات شفوية ، وما من سبب يستدعى استثناء هذا . الا ترى ، يا صديقى الصغير ، انهم كانوا متلهفين جدا الى الحصول على عينة من خطك ، وليس لديهم طريقة أخرى يمكنهم بها أن يحصلوا على تلك العينة ؟ »
« ولماذا ؟ »

« هكذا بالضبط . لماذا ؟ عندما نجيب على هذا السؤال نكون قد تقدمنا بمشكلتنا الصغيرة . لماذا ؟ هناك سبب ملائم واحد . . . اراد شخص ما أن يتعلم محاكاة خطك ، فلا بد له من الحصول على عينة منه . والان ، اذا انتقلنا الى النقطة الثانية نرى أن كلا من النقطتين تلقى ضوءا على الاخرى . هذه النقطة هى الطلب الذى تقدم به بينر وأصر على ألا تستقيل من منصبك ، وتترك مدير هذه الشركة الهامة ينتظر قدوم مستر هول بايكروفت ، الذى لم يره قط ، فى صباح يوم الاثنين . »
فصاح بايكروفت يقول : « رحمك ، يا الهى ! كم كنت خنفساء عمياء ! »

« والان ، أنت تفهم غرضه من خطك . افرض أن شخصا تقدم ليشغل مكانك وكان خطه يختلف عن الخط الذى كتبت به طلب التقدم لهذه الوظيفة ، عندئذ تنكشف لعبته . فأخذ ذلك الوغد يتعلم محاكاة خطك ، وهو بطبيعته ماهر فى التزييف ، وبذا كان مركزه مضمونا ، ما فى هذا شك ، اذ لم تقع عين أى شخص فى المكتب عليك من قبل . »

فصاح هول بايكروفت يقول : « مامن احد هناك رأى . »
« حسنا جدا . بالطبع كان من الاهمية القصوى منعك من التفكير فى ذلك الأمر مرة أخرى ، وكذلك منعك فى الاتصال بأى شخص

يمكن ان يخبرك بأن شخصا آخر انتحل اسمك وشغل وظيفتك هناك في مكتب موسون . لذا اعطوك مقدم مرتبك وأرسلوك بعيدا عن لندن الى ميلاندز حيث كلفوك بعمل كاف يمنعك السفر الى لندن حيث يمكنك احباط لعبتهم . هذا واضح جدا . «
« ولكن لماذا يدعى هذا الرجل انه اخوه ؟ »

« هذا واضح جدا . فمن الجلى انهما اثنان لا ثالث لهما : احدهما يمثلك في مكتب موسون ، وهو الذى قام بدور تعيينك . ثم وجد انه لن يستطيع ايجاد من يمثل مدير الشركة بغير اشراك شخص ثالث في المؤامرة ، وهو لا يريد هذا اطلاقا . فغير شكله قدر الامكان واثقا من أنك قد تعزو الشبه الى تشابه الاسرة . ولكن مسألة السن المحسوة بتلك الطريقة هى التى جعلتك تشتبه في الامر ، وبدونها ماكنت لترتاب في اى شىء على الاطلاق . »

هز هول بايكروفت يديه في الهواء وصاح يقول : « أيها الاله الرحيم ! ماذا كان يفعل هول بايكروفت المزيف لدى موسون ، وأنا مخدوع هنا ؟ ماذا يجب علينا أن نفعله الان ، يامستر هولز ؟ أرجوك ان تخبرنى ماذا أفعل . »

« يجب أن ترسل برقية الى موسون . »
« يقفل موسون ابوابه في الساعة الثانية عشرة ظهرا في أيام السبت . »

« لا بأس . قد يكون هناك بواب أو خادم . . »
« نعم ، هناك حارس باستمرار ، ليلا ونهارا ، بسبب قيمة الودائع التى عندهم . سمعت الناس يتحدثون عن ذلك في المدينة . »
« حسنا جدا . سنرسل لهم برقية ونرى ما اذا كان كل شىء على ما يرام ، وما اذا كان هناك كاتب يعمل لديهم منتحلا اسمى . هذا في غاية الوضوح ، ولكن الشىء غير الواضح هو : لماذا أسرع أحد هذين الوغدين ، بمجرد أن أبصرنا ، فنهض في الحال وشسنى نفسه ؟ »

فصاح صوت خلفنا يقول : « الصحيفة ! » كان الرجل جالسا ممتقع اللون يرتجف خوفا لسبب واضح في عينيه ، ويداه تفركان بعصبية على الشريط الأحمر العريض الذى مازال يحيط برقبتة .
فصاح هولز يقول : « الصحيفة ! بالطبع ! كم كنت غبيا . كنت أحصر ذهنى في زيارتنا ولم يطرا على بالى أمر الصحيفة

اطلاقا . « فنشرها فوق النضد وصاح صيحة الانتصار ، خرجت من شفتيه ، فقال :

« انظر الى هذا ، يا واطسون . هذه صحيفة لندنية ، طبعة مبكرة من الايفنج ستاندارد . هاك مانريده . انظر الى العناوين : « جريمة في المدينة . جريمة قتل في مؤسسة موسون ووليامز . محاولة سرقة ضخمة . القبض على المجرم . نحن متلهفون جميعا الى سماعها يا واطسون . اقراها لنا بصوت عال من فضلك . » يبدو من مكانها في الصحيفة ، انها الحادثة الوحيدة الهامة . جرت كالآتي :

« محاولة جريئة للسرقة انتهت بمقتل رجل والقبض على الجاني بعد ظهر اليوم في المدينة . فمنذ زمن بعيد ، ومؤسسة موسون ووليامز ، الدار المالية الشهيرة ، تتقبل ودائع وصل اجمالي قيمتها اخيرا الى اكثر من مليون جنيه استرليني . وكان المدير يدرك تماما المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه المصالح العظمى المعرضة للخطر ، فاستخدم خزائن من احدث ما وصل اليه فن صناعة الخزائن وعين لحراسها حارسا مسلحا ، ليلا ونهارا ، داخل المبنى . ويبدو ان موظفا جديدا اسمه هول بايكروفت ، عين في الاسبوع الماضي . ولم يكن هذا الموظف سوى اللص والمزيف الشهير بدنجتون ، الذي خرج لتوه من السجن هو واخوه بعد ان قضيا خمس سنوات . ونجح بطريقة ما ، لم تكتشف بعد في الحصول على وظيفة بالمكتب تحت اسم مستعار ، لكي يحصل على قوالب لمختلف الاقفال ، ويلم الماما تاما بحجرة الودائع ، وبالخزائن .

« جرت العادة في مؤسسة موسون ان ينصرف الموظفون في الظهر ، كل يوم سبت . ففوجيء الجاويش طوسون التابع لبوليس المدينة ، برجل يحمل كيسا من السجاد ويهبط السلم ، في الساعة ١٢ مساء . فاثرت شكوكه ، فطارده بمساعدة الكونسابل بولوك بعد مقاومة عنيفة حتى قبضا عليه . وكان من الجلي لهما ان الرجل قام بسرقة عظمى تبين فيما بعد انها تتضمن ما قيمته حوالي مائة الف جنيه من اسهم السكة الحديدية الامريكية ، وكمية كبيرة من سندات المناجم والشركات الاخرى ، وجدت كلها داخل ذلك الكيس .

« وبفحص المبنى ، وجدت جثة الحارس مطوية داخل اضخم

الخزائن . وما كانت لتكتشف قبل صباح يوم الاثنين لولا يقظة
الجوايش طوسون وعمله السريع . هشم رأس الحارس بضربة من
الخلف بقضيب حديدى . لاشك فى أن بدنجتون دخل المبني ثانية
بحجة انه نسي شيئاً هناك ورجع ليأخذه . فقتل الحارس وجمع
بسرعة محتويات الخزانة الكبرى وفر بفنيتمته . اما أخوه ، الذى
كان يعمل معه دائماً ، فلم يظهر معه فى هذه العملية حسب المعلومات
التي لدينا ، الى الان . ويبدل البوليس جهودا مكثفة لمعرفة مكانه .
فقال هولمز وهو ينظر الى الرجل المكوم بجانب النافذة : « اذن ،
فبوسعنا أن نكفى البوليس مثونة البحث عنه . . طبيعة الانسان
خليط غريب ، ياواطسون . فهانتذا ترى مبلغ المحبة بين هذا
النذل والقاتل ، لدرجة أنه انتحر ، أو حاول الانتحار ، عندما علم
أن حبل المشنقة سيلتف حول رقبتة . وعلى أية حال ، لا خيار
لنا الان . سأتبقى أنا والدكتور واطسون هنا لحراسته بينما تتكرم
أنت يامستر بايكروفت باخطار البوليس . »

جلوريا سكوت

قال صديقي شرلوك هولمز ونحن جالسان في احسدى لىالى الشتاء على الجانبين المتقابلين للوطيس : « معى بعض الاوراق ، ياواطسون ، اظن بحق انك يجب ان تتصفحها بامعان . هاك مستندات القضية الغريبة للسفينة جلوريا سكوت ، وهذه هى الرسالة التى اقزعت القاضى تريفور ، وجعلته ينتفض فرقا وهولا حينما قراها . »
أخرج هولمز أسطوانة صدئة من درج ، وحل الشريط واعطانى مذكرة قصيرة ، مكتوبة فى نصف فرخ من الورق الرمادى اللون .
تقول تلك المذكرة : « يسير توريد طيور الصيد الى لندن سيرا متصلا . طلب من هدمسون رئيس الحرس ، ان يتسلم كافة طلبات اوراق الذباب وللمحافظة على حياة دجاجات الدراج الخاصة بك . »
عندما رفعت بصرى بعد قراءة هذه الرسالة الفامضة المنطوية على لغز أو شفرة ، رأيت هولمز يضحك ملء شذقيه لما بدا على وجهى من ملامح معبرة من الدهشة والاستغراب .

قال هولمز : « أراك مرتبكا قليلا . »
قلت : « لا يمكننى ان افهم كيف ان رسالة كهذه ، تستطيع ان توحى بالفرع . تبدو لى نوعا من الخزعبلات اكثر من أى شىء آخر . »
« من الممكن ان تكون كذلك ، ولكن قارئها ، الذى كان رجلا مسنا قوى البنية ، انهار عند قراءتها كمسا لو انه ضرب بكرنافة مسدس . »

قلت : « انك لتثير فضولى ، يا هولمز . ولكن لماذا قلت ، الان فقط ، ان هناك سببا قويا يدعو لى لان ادرس هذه القضية ؟ »
« لانها اول قضية تناولتها فى حياتى . »

« كثيرا ما حاولت ان اعرف من صديقى ، اول شىء حول ذهنه الى جهة الابحاث الخاصة بالجرائم ، بيد اننى اخفقت فى ايقاعه تمام الاخفاق ، ولا حتى بدعابات الحديث . . فجلس على مقعده ذى

المتاكىء ونشر المستندات فوق ركبتيه ، ثم أشعل غليونه وجلس
يدخن بعض الوقت وهو يقلبها بين يديه .

قال : « ألم تسمعنى . قط أتكلم عن فيكتور تريفور ؟ انه
الصديق الوحيد الذى صادفته ابان السنتين اللتين قضيتهما فى
الكلية . لم أكن قط رجلاً اجتماعياً جداً ، ياواطسون ، ولكننى كنت
أفضل دائماً أن أمسح أرض حجراتى ، وأزاول طرق تفكيرى الخاصة .
ولذا ، لم أختلط إطلاقاً مع رجال فرقتى . شغفت بقليل من أوجه
الرياضة ، كالشيش والملاكمة . ثم ان موضوع دراستى ، كان
يختلف تماماً عن مواضيع دراسات غيرى . لذا ، لم يكن بيننا أى
نقط توجب اتصالاً معنا . وكان تريفور هو الرجل الوحيد الذى
عرفته هناك ، وذلك بسبب حادث كلب صيده ، الذى عض قدمى
ذات صباح وأنا ذاهب الى الكنيسة .

« كانت صداقته سطحية ، ولكنها كانت عميقة الاثر . فقد
اضطرت الى أن أبقي راقداً مدة عشرة أيام . ظل خلالها تريفور
يأتى باستمرار ليسأل عنى ويعودنى . . كانت زيارته ، فى بادئ
الامر ، عبارة عن التحدث معى لمدة دقيقة ، ثم طالت مدتها شيئاً
فشيئاً ، حتى صرنا قبل نهاية مدة العلاج صديقين حميمين . كان
رجلاً ودوداً ، مملوءاً نشاطاً وحيوية على عكس تماماً فى معظم
النواحى . ولكننا وجدنا ، أخيراً ، أن هناك بعض المواضيع المشتركة
بيننا . وكانت صلة اتحاد الامزجة عندما علمت أنه مثلى ، ليس له
أصحاب . وذات مرة دعانى الى زيارته فى بيت والده فى دونيثورب
فى نورفولك . فقبلت دعوته لأن اقضى معه هناك مدة شهر من الاجازة
الطويلة .

« من الجلى أن تريفور العجوز كان رجلاً واسع الشراء ، ذا
مركز سام مرموق ، اذ كان قاضياً وصاحب املاك . . أما دونيثورب
فقريّة صغيرة شمالي لانجمور مباشرة فى ريف بوردرز . وكان بيته
عتيق الطراز ، واسع الأرجاء ، سقوفه من كتل أخشاب البلوط ،
وهو مبنى بالطوب الأحمر ، تصل اليه عبر ممر تحف به أشجار
الليمون . والى جواره اراض طيبة لصيد البط ، ومجارى ميساه
يمكن صيد الاسماك منها . وبه مكتبة صغيرة لكنها حافلة بالكتب
المختارة حصل عليها ، كما علمت ، من الساكن السابق لذلك البيت .
وبه مطبخ يديره طاه قدير ماهر . لذا فمن الغباء ألا يقبل المرء مثل
هذه الدعوة لتمضية شهر هناك .

« كان تريفور الاب ، أرمل ، وكان صديقي ابنه الوحيد . كما سمعت انه له ابنة ماتت بالدفتريا وهي في زيارة لمدينة برمنجهام . . . امعجبنى ذلك الاب كثيرا . كان رجلا قليل الثقافة ، غير انه على قدر عظيم من القوة الجسدية والذهنية . قلما يعرف أى كتاب ، لكنه سافر الى بلاد بعيدة ورأى كثيرا من بلاد الدنيا ، ويتذكر كل ماعرفه . وهو ممتلىء الجسم ، ذو شعر أجعد ، ووجه أسمر لفحه الطقس ، وعينين زرقاوين حادثين لدرجة الوحشية . ومع ذلك فقد اشتهر بالركة والاحسان في كافة أنحاء منطقته ، كما كانت أحكامه خفيفة وهو في كرسى القضاء .

« وذات مساء ، وقد مضى على هناك بضعة أيام فحسب ، كنا جالسين نحتسى زجاجة من النبيذ الحلو ، بعد تناول طعام العشاء ، فاذا بتريفور الصغير يتحدث عن عادة الملاحظة القوية والتصور الصحيح اللذين كونتهما في نفسى ، ولو اننى لم اقدر قيمة الدور الذى كان عليهما أن يلعباه في حياتى . ومن الجلى انه جال بفكر الاب أن ابنه يبالغ في وصفه لحادثة أو اثنتين تافهتين ، قمت بهما .

فقال الاب ضاحكا وفي روح طيبة : « تعال ، يامستر هولمز . اننى موضوع رائع لهوايتك ، اذا أمكنك أن تستنتج منى شيئا . » قلت : « أخشى اننى لن أستطيع استنتاج شيء كثير . فقد اقول انك هربت من هجوم على شخصك في خلال الاثنى عشر شهرا الماضية .

خبت الضحكة من شفتى الوالد ، وحملق فى دهشة بالغة . قال : « هذا صحيح جدا ، وانك لتعرف يافىكتور » وهو يستدير نحو ابنه ، « اننا عندما حللنا تلك العصاة ، أقسم أفرادها أن يذبحونا . وبالفعل ، هوجم السير ادوارد هوبى . ولذا أخذت أحترس منذ ذلك الوقت . »

قلت : « ولديك عصا جميلة جدا ، أعرف من النقش الذى عليها انها لم تكن لديك قبل سنة . وانك ثقت رأسها وصبيت رصاصا منصهرا في ذلك الثقب لتجعلها سلاحا قظيما . ورايت أنك ما كنت لتتعب نفسك وتحتاط هكذا ، الا اذا كنت تخشى خطرا ما . » فقال مبتسما : « هل من شى آخر ؟ »

« لا كمت كثيرا ايام شبابك . »
« هذا صحيح ايضا . وكيف عرفت ذلك ؟ هل هشيم انفى قليلا ، واعوج عن استقامته ؟ »
قلت : « لا ، بل اذناك . فقد تفلطحتا وغلظتنا اشارة الى الرجل الملائكم . »

« اما من شيء آخر ؟ »
« قمت بكثير من اعمال الحفر الذى جعل جلدك غليظا . »
« جمعت كل تقودى من حقول الذهب . »
« كنت فى نيوزيلاند . »
« وهذا حقيقى ايضا . »
« وزرت اليابان . »
« صحيح جدا . . . »

« وكنت على صلة وثيقة جدا بشخص الحروف الاولى لاسمه هى ج . ا . ، ثم تلهفت فيما بعد الى نسيانه تماما . »
« وقف المستر تريفور ببطء ، وثبت عينيه الكبيرتين الزرقاوين على فى نظرة طويلة غريبة ، ثم استلقى الى الامام على وجهه بين قشور البندق المتناثرة فوق المفروش ، مغمى عليه تماما . »
« بوسعك ان ترى ، ياواطسون ، كم كان خجلى انا وابنه عند ذاك . بيد ان تلك النوبة لم تمكث طويلا ، اذ افاق عندما حللنا ياقته ورششنا ماء على وجهه من احد اكواب غسل الاصابع . . فتتنفس عميقا مرة او مرتين ، ثم جلس . »

قال وهو يتصنع ابتسامة : « آه ياولدى ! ارجو الا اكون قد ازعجتكما خوفا على . فرغم مظهرى القوى ، هناك مكان بضعف فى قلبى ، ولا يستغرق التغلب عليه وقتا طويلا . لا اعلم ، يامستر هولمز ، كيف امكنت معرفة كل هذا . لكن يبدو ان جميع شع رجال البوليس السرى الحقيقى والخيالى اطفال بين يديك . هذا طريق حياتك ، ياسيدى ، ويمكنك ان تثق بكلام رجل كان شيئا ما فى هذه الدنيا . »

« كانت هذه المشورة وذلك التقدير المبالغ فيه عن مقدرتى التى قدم لها ، كانا ، لو تصدقنى ياواطسون ، هما ما جعلانى اذكر فى انه بالامكان اتخاذ مهنة مما كان هوايتى الوحيدة حتى ذلك الوقت . ومع ذلك ، فقد شغلنى مرض مضيعى ، فى تلك اللحظة ، عن التفكير فى أى شيء آخر . »

قلت : « أرجو ألا أكون قد قلت شيئا أملك . »
« لقد ضربت على وتر حساس عندى . وهل بإمكانى أن
أسالك كيف عرفت كل ذلك ، وماذا تعرف غيره ؟ » تكلم الأب عندئذ
بنغمة نصف مزاجية ، ولكن مظهر الفزع مازال كامنا خلف عينيه .
قلت : « هذا بسيط جدا . عندما كشفت عن ذراعك لتسحب
تلك السمكة الى القارب ، أبصرت وشم الحرفين ج . أ . فى مفصل
المرفق . ومازال هذان الحرفان واضحين يمكن قراءتهما . ولكن من
الواضح تماما من منظرهما المطموس ، ومن صبغ الجلد حولهما ،
أنه بذلت جهود لمحوهما . فيتجلى اذن ، أن هذين الحرفين كانا فى
وقت ما عزيزين عليك ، وانك أردت فيما بعد أن تسياهما . »
فصاح وهو يتنهد بارتياح : « ما أدق عينك ! ان الامر كما
تقول بالضبط . ولكننا لن نتكلم عنه . فأشباح احبابنا القدامى هى
أسوأ الاشباح جميعا . هيا بنا الى حجرة البلياردو ، لتدخن سيجارا
فى هدوء . »

« ومنذ ذلك اليوم البهيج ، ووسط كرم الضيافة الذى قام به
المستر تريفور نحوى ، كان هناك شيء من الريبة فى مسلكه حيالى ،
وحتى ابنه نفسه لاحظ هذا ، فقال : « لقد أثرت فى المحافظ تأثيرا
جعله لا يتأكد مرة أخرى مما تعرفه عنه وما لا تعرفه . لا يقصد أن
يظهر ذلك ، وأنا على يقين منه ، ولكنه راسخ فى ذهنه حتى ليتجلى
فى كل حركة من حركاته . وأخيرا اقتنعت بأننى مصدر قلق له ،
فأنهيت زيارتى . وفى نفس ذلك اليوم ، قبل رحيلى ، حدث امر
كان له نتيجة بالغة الاهمية . »

« بينما نحن الثلاثة جالسون على الحشيش فوق مقاعد
الحديقة ، ننع بأشعة الشمس ونعجب بالمنظر الذى نراه من خلال
السور ، جاءت الخادمة تقول ان بالباب رجلا يرغب فى رؤية المستر
تريفور . »

فقال مضيفى : « ما اسمه ؟ »

« لم يذكر أى اسم . »

« اذن فماذا يريد ؟ »

« يقول انك تعرفه ، وأنه يريد أن يتحدث اليك لحظة

فحسب . »

« أدخله الى هنا . وبعد هنيهة ، ظهر أمامنا رجل صغير

الجسم نحيله ، يدل على الذل والهوان ومشيته على الترنح . كان يرتدى سترة مفتوحة ، على كمها بقعة من القطران ، وقميصا أسود مخططا بمربعات ، وبنطلونا من الدمور ، وحذاء ثقيل باليا جدا . أما وجهه فنحيل أسمر ، دائم الابتسامة غير انه تتجلى فيه سيماء الدهاء والشرور . ويظهر من بين شفثيه صف من الاسنان الصفراء غير المنتظمة ويداه المفضنتان نصف مقفلتين بالطريقة الخاصة بالبحارة . وبينما هو قادم يترنح فوق الحشيش ، سمعت المستر تريفور يصدر صوتا يشبه الفواق « الزغطة » ، وقفز من كرسيه وجرى داخل البيت ، وعاد بعد برهة . فشممت رائحة البراندى القوية وهو يمر بجائبي .

قال : « حسنا ، يا صديقى . ماذا بوسعى ان افعل لك ؟ »
وقف البحار ينظر اليه بعينين متفضنتين ، ونفس الابتسامة لا تفارق شفثيه .

قال : « ألا تعرفنى ؟ »

قال المستر تريفور فى صوت تشوبه الدهشة : « كيف ، يا عزيزى . أنت هيدسون ، بكل تأكيد ! »
فقال البحار : « نعم ، أنا هيدسون ، ياسيدى . لم ارك منذ اكثر من ثلاثين سنة . أنت هنا فى بيتك ، بينما أنا لا ازال آكل اللحم المملح من المخلاة . »

فصاح تريفور يقول : « ويحك يا هيدسون ! ستجد اننى لم انس الايام الماضية . » ثم سار نحو البحار وقال شيئا بصوت منخفض ، ثم استطرد يقول بصوت عال : « اذهب الى المطبخ حيث تحصل على الطعام والشراب ، لاشك اننى سأجد لك مكانا . »

فقال البحار وهو يمشط الى الوراء خصلة شعر تدلت على جبينه : « شكرا ، ياسيدى . نزلت الان فقط من سفينة بقيت فى البحر مدة سنتين ، وكأنت فى رحلة تسير بسرعة ثمانى عقدات . وأنا مفلس وفى حاجة الى الراحة ، فرأيت ان أصلح حالى وأستريح ، اما هنا واما لدى المستر بيدوس . »

فقال المستر تريفور : « هل تعرف أين يقيم المستر بيدوس ؟ »
قال وهو يتسهم : « فليباركك الله ياسيدى ! أعرف مكان جميع اصدقائى القدامى . » ثم هرول خلف الخادمة الى المطبخ . وبعد انصرافه تمت لنا المستر تريفور انه كان فى سفينة مع هذا الرجل

وهو عائد الى الحفر بحثا عن الذهب . ثم تركنا فوق الحشيش ودخل البيت . وبعد ساعة ، حينما دخلنا البيت ، وجدنا البحار واقدا على اريكة بحجرة المائدة ، سكران طينة . فتركت هذه الحادثة انطبعا سيئا في نفسي ، ولم اشعر بالاسف في اليوم التالي على مفسادة دونيثورب ، اذ شعرت بأن وجودي لابد أن يكون مصدر احراج لصديقي .

« حدث هذا اثناء الشهر الاول من الاجازة الطويلة ، فذهبت الى حجراتي في لندن حيث قضيت سبعة أسابيع قمت خلالها باجراء بعض التجارب في الكيمياء العضوية . وذات يوم ، وقد تقدم الخريف كثيرا وقاربت الاجازة على الانتهاء ، تسلمت برقية من صديقي يرجوني أن أعود الى دونيثورب لانه في حاجة ماسة الى نصحي . وبالطبع ، تركت كل شيء ، وسافرت الى الشمال مرة أخرى .

« قابلني صديقي هذا على المحطة بعربة تجرها الكلاب ، ورايت لأول وهلة أن الشهرين الماضيين كانا عصيبين عليه . نحل جسمه وصار مثقلا بالهموم وفقد بهجته ومرحه اللذين اشتهر بهما .

كانت أولى كلماته هي : « المحافظ يحتضر . »

صحت اقول : « مستحيل ! ماذا جرى ؟ »

« السكتة القلبية . صدمة عصبية . كان طول اليوم على حافة

الموت . واشك في أننا سنجده حيا . »

« ذعرت ، كما قد تظن ، ياواطسون ، لسماع هذا الخبر غير

المتوقع . »

قلت : « وماذا سببها ؟ »

« هذه هي النقطة الغامضة ، هيا اركب ، وبوسعنا أن نتحدث

عن هذا اثناء الطريق . اذكر ذلك الرجل المشؤم ، الذي جاء في

المساء السابق ليوم مغادرتك لنا ؟ »

« نعم ، اذكره جيدا . »

« اتعرف من ذلك الذي ادخلناه منزلنا في ذلك اليوم ؟ »

« ليس عندي أية فكرة . »

صاح صديقي يقول : « انه الشيطان ، ياهولمز ! »

حملقت فيه مدهوشا .

« نعم ، هو الشيطان عينه . لم نحظ بساعة سلام أو راحة

منذ أن جاء الينا ، ولا ساعة واحدة . لم يرفع المحافظ رأسه
اطلاقاً منذ ذلك المساء . فطردت الحياة منه ، وتحطم قلبه . كل
هذا بواسطة هذا الهدسون اللعين . «
« اذن ، وأية قوة كانت لديه ؟ »

« هذا ما أريد معرفته بأى ثمن . ذلك المحافظ المعجوز المحسن
الطيب ! كيف وقع بين براثن مثل هذا المجرم ؟ ولكنى مسرور لانك
جئت ، ياهولمز . اثق جدا فى حكمك وحزمك ، وأعلم انك ستنصحنى
بأفضل مايمكننى أن أفعل . »

« كنا منطلقين فوق الطريق الريفى الابيض والسهول الثلجية
ممتدة أمامنا تتألق بالضوء الاحمر للشمس الغاربة . وكان بوسعى
أن أرى من خلال دغل على يسارنا ، المداخن العالية وسارية العلم ،
التي تبين مقر ذلك السيد .

قال رفيقى : « عين والدى ذلك الرجل بستانيا ولما لم يقنع
بذلك رماه الى « سفرجى » . فجعل البيت تحت رحمته واستغل
وجوده فى البيت باستمرار وأخذ يجول حيثما طاب له أن يجول .
وشكت الخادومات من معاكساته وهو سكران ومن لفته البذيئة .
فرفع الأب أجورهن جميعا ليعوضهن عن تلك المضايقات . كما كان
يأخذ القارب ويخرج فى رحلات صيد قصيرة . وكل هذا بوجه
عابس ساخر وقح ، حتى خيل الى أن اقتله عشرين مرة لو كان رجلا
من سنى . وانى لاخبرك ياهولمز بأننى كنت احتفظ برباطة جأشى
طوال ذلك الوقت . وهانذا أتساءل : هل اكون عاقلا لو أطلقت العنان
لنفسى قليلا .

« سارت الامور بنا من سيىء الى أسوأ ، وشرع هذا الحيوان
هدسون يتمادى فى أن يترك لنفسه الحبل على الغارب يفعل مايشاء
ويتدخل فيما لا يعنيه . وقد بلغ به الفرور والصلف أن رد على
والدى بوقاحة فى وجودى . فما كان منى الا أن أمسكته من كتفه
وأخرجته من الحجرة . فخرج بوجه متجهم وعينين حاقدين ، وتفوه
بتهديدات أكثر مما يستطيع لسانه أن ينطق . ولست أدري ماذا
دار بينه وبين والدى بعد ذلك . ولكن جاء أبى فى اليوم التالى
وطلب منى أن أعتذر له . فرفضت رفضا باتا ، كما يمكنك أن
تتصور . وقلت لوالدى كيف يسمح لمثل هذا الوغد أن يأخذ حريره
معه ومع من بالمنزل .

قال : « آه ، يا ولدى ! من الخير أن أتكلم ولكنك لا تعرف مركزى ، ولا بد أن تعرف يافيكاتور . سأخبرك بكل شيء ، وليحدث ما يحدث ! أنك لا تفكر فى أذى أبىك المسكين ، هل تفكر فى هذا ، يا غلام ؟ »

قال هذا وهو فى غاية التأثر ، ثم حبس نفسه فى المكتبة طول اليوم ، حيث أمكننى أن أراه من خلال النافذة مشغولا بالكتابة طول الوقت .

« حدث فى ذلك المساء ما لاح لى أنه فرج أى فرج ، إذ أخبرنا هدرسون بأنه سيتركنا . فدخل حجرة المائدة ونحن جالسون بعد العشاء ، وأعلن عن عزمه على الرحيل . أعلن ذلك بصوت أجش لرجل نصف سكران .

قال : « نلت ما يكفى من نورفولك . سأذهب الى المستر بيدوس فى هامشير . وأنه ليسرّه أن يرانى ، كما سرك من قبل . يمكننى أن أقول ذلك . »

فقال أبى : « أرجو ألا تكون راحلا عنا بنفس غاضبة ، يا هدرسون ! » قال أبى هذا بطريقة جعلت دمي يغلى فى عروقى . قال متجهما ، وهو ينظر ناحيتى : « لم احظ باعتذارى . » فقال أبى وهو يستدير نحوى : « هل لك أن تعلن أنك حاملت هذا الرجل العظيم بخشونة ، يافيكاتور ؟ »

كان جوابى هو : « على العكس . أرى أننا ، كلينا ، قد أبدينا نحوه صبرا غير عادى . »

فقال هدرسون ساخرا : « نعم ، فعلتما ذلك ، فعلتماه . حسنا جدا يا زميلى . سوف ننظر فى هذا الامر ! » وخرج من الحجرة . . وبعد نصف ساعة غادر البيت ، تاركا والدى فى حالة عصبية يرثى لها . وبعد ذلك ، كنت أسمع له ليلة تلو أخرى ، يذرع أرض الحجرة . وعندما بدأ يستعيد ثقته بنفسه واطمئنانه ، نزلت الضربة أخيرا . فسأله متلهفا : « كيف ؟ »

قال : « وصلنا خطاب باسم والدى ، بطريقة غير عادية على الإطلاق ، فى مساء أمس يحمل خاتم مكتب بريد فوردنجبريدج . فقرأه أبى وأمسك رأسه بكلتا يديه ، وأخذ يدور حول الحجرة فى دوائر صغيرة كرجل فقد عقله . وعندما أجلسته على الأريكة ، التوى فمه وأجفانه جميعا الى ناحية ، فأدركت أن ضربة أصابته . فجاء

الدكتور فورد هام على الفور ، وأرقدناه في السرير غير أن الشلل انتشر في كل جسمه ولم يبد أية أمارات للرجوع الى وعيه مرة أخرى . وأظننا قلما نجده حيا عند وصولنا . »

قلت صائحا : « انك لتفزعنى يا تريفور . ماذا يمكن أن يكون في ذلك الخطاب ليسبب مثل هذه النتيجة المفزعة ؟ »

« لا شيء . هذا هو الجزء غير المفهوم . كانت الرسالة غامضة وتافهة . ولكن ، رباه ! حدث ما كنت أخشاه ! »

وبينما هو يقول ذلك ، درنا حول منعطف الطريق وأبصرنا النور الخافت الدال على اقفال كل شيش النوافذ . وعندما هرعنا الى الباب ، تشنج وجه صديقى ، اذ برز من الباب رجل يرتدى حلة سوداء .

فقال تريفور : « متى حدث ذلك ، يا دكتور ؟ »

« بعد أن انصرفت مباشرة تقريبا . »

« هل استعاد وعيه ؟ »

« لحظة واحدة قبل أن تأتى النهاية . »

« هل من رسالة لى ؟ »

« لا ، باستثناء أن الاوراق في الدرج الخلفى للخزانة اليابانية . »

« صعد صديقى مع الطبيب الى الحجرة التى مات فيها والده ،

بينما بقيت في حجرة المكتب اقلب المسألة كلها فى رأسى ، وأشعر باكتئاب لم أشعر بمثله طوال حياتى . ماذا كان ماضى تريفور هذا ؟ كان ملاكما ،

وباحثا عن الذهب . ولكن كيف وضع نفسه تحت رحمة هذا البحار

الكئيب الوجه ؟ ولماذا أغمى عليه عند التلميح بالحروف الاولى

الموشومة على ذراعه ؟ ولماذا يموت خوفا عندما وصله خطاب من

فوردنجبريدج ؟ ثم تذكرت أن فورد فى هامشير ، وأن المستر بيدوس ،

الذى قال البحار أنه ذاهب اليه ، ليبتزّه على ما يبدو ، يعيش فى

هامشير . اذن ، فالخطاب اما من هدرسون البحار ، يقول أنه أفشى

السر الاثم الذى يبدو أنه موجود ، أو من بيدوس يحذر به زميلا

قديما بوقوع مثل هذه الخيانة . والى هنا يبدو الأمر واضحا . ولكن

كيف يكون الخطاب تافها وغامضا ، كما وصفه الابن ؟ لابد أنه أخطأ

فى قراءته . واذا كان الامر كذلك ، فلا بد أيضا أنه مكتوب بالشفرة

التى تبدو بمعنى بينما هى تقصد معنى آخر . يجب أن أرى ذلك

الخطاب . فلو كان فيه أى معنى خفى ، فمن المؤكد أننى سأعرفه .

جلست افكر فى الظلام لمدة ساعة حتى جاءتنى أخيرا احدى الخادومات

بمصباح ، وبعدها مباشرة جاء صديقي تريفور صاحب اللون ، ولكنه رابط الجأش ، ومعه هذه الأوراق ، التي على ركبتي ، وقد أمسكها في يده . فجلس قبالي وسحب المصباح الى حافة المائدة ، ناولني قطعة من الورق مكتوبة ، كما ترى ، على فرخ واحد من الورق الرمادي اللون ، مكتوب فيه : « يسير توريد طيور الصيد الى لندن سيرا متصلا . طلب من هدرسون ، رئيس الحرس أن يتسلم جميع طلبات أوراق الذباب ، وللمحافظة على حياة دجاجات الدراج الخاصة بك . »

« أعترف بأن الحيرة بدت على وجهي ، كما بدت على وجهك عندما قرأت هذه الرسالة لأول مرة . ثم قرأتها ثانية بعناية وامعان . من الجلي أنها كانت كما فكرت ، ولو أن هناك معنى ثانيا يكمن وراء مجموعة الكلمات هذه . أيمن ان يكونا قد اتفقا من قبل على معنى بعض العبارات ، مثل : « ورق الذباب » و « دجاجات الدراج » ؟ عادة ما تكون أمثال هذه العبارات عرفية يتفق عليها بين الطرفين ، ولا يمكن استنتاج معناها بأية وسيلة أخرى . ويبدو أن وضع اسم هدرسون يدل على أن مضمون الرسالة يتعلق بالموضوع الذي سبق أن خمنته . ومن المرجح أنها صادرة من بيدوس ، وليست من البحار . حاولت أن أقرأها من آخرها الا أن عبارة « حياة دجاجات الدراج » لم تكن مشجعة ، ثم حاولت أن أقرأ كلمة وأترك أخرى ، ولكن دون جدوى ، إذ لم تتفق الكلمات : « توريد طيور الصيد ولندن » مع المعنى . ولكن بعد لحظة صار مفتاح اللفظ في يدي ، إذ وجدت أنني لو قرأت كلمة وتركت اثنتين ، لاتضحت الرسالة وأدت معنى ، ساق تريفور العجوز الى حالة من القنوط .

« كانت رسالة قصيرة تتضمن تحذيرا ، كما قرأتها الآن لرقيقى :

« باح هدرسون بكل شيء ، اهرب وانج بحياتك . »
« وضع فيكتور تريفور وجهه بين يديه المرتجفتين ، وقال :
« أعتقد أنها لابد أن تكون كذلك . هذا أسوأ من الموت ، إذ يعنى المار أيضا ، ولكن ما معنى « رئيس الحرس » و « دجاجات الدراج ؟ »
« لا تعنى شيئا في الرسالة ، ولكنها تعنى الكثير لنا ، اذا لم تكن لدينا وسيلة أخرى لمعرفة شخصية مرسلها . فقد وضع الكلمات التي يريدنا تاركها بينها مسافات ، وأخيرا ملأ المسافات بأي كلمات

ليجعلها غامضة . هل تعرف أى شيء عن بيدوس هذا ؟ »
قال : « بما أنك ذكرت اسمه ، فأنا أتذكر أن والدى المسكين
تسلم ذات مرة دعوة منه لكى يذهب ويصيد فى أملاكه ، كل خريف . »
قلت : « اذن ، فلا بد أن هذا الخطاب جاء منه . وما بقى علينا
الا أن نعرف السر الذى يهدد به هدسون رأسى هذين الرجلين
الشريين المحترمين . »

فقال صديقى : « للأسف ، يا هولز . أخشى أن يكون سرا يجلب
الاثم والعار ، ولكنى لن أخفى عنك سرا . هالك الاعتراف الذى كتبته
عندما عرف أن الخطر أهدق به فعلا من هدسون . وجدته فى الخزانة
اليابانية كما أخبر الطبيب . خذ الورقة هذه واقراها لى ، اذ ليست
لدى القوة ولا الشجاعة لان اقراها بنفسى . »

« ها هى الاوراق نفسها ، يا واطسون ، التى أعطانيها تريفور .
وساقروها لك كما قرأتها له فى حجرة المكتب ، تلك الليلة ، وعليها
عنوان من الخارج كما ترى : « بعض تفاصيل رحلة السفينة
« جلوريا سكوت » منذ مفادرتها فالوث فى الثامن من أكتوبر سنة
١٨٥٥ الى أن تحطمت عند خط عرض ١٥ درجة وعشرين دقيقة
شمالا ، وخط طول ٢٥ درجة وأربع عشرة دقيقة غربا فى السادس من
نوفمبر . وهذه التفاصيل فى صورة خطاب يحكيها هكذا :

« ابنى العزيز العزيز - بما أن العار المقبل قد بدأ الآن يلقي
ظله القاتم على آخر سننى حياتى فبوسعى أن أكتب بكل صدق وأمانة .
وان أحزن ما يحزننى ، وينهش قلبى ، ليس هو الخوف من القانون
ولا فقدان مركزى فى المقاطعة ، ولا سقوطى فى عيون كل من عرفونى ،
ولكنه التفكير فى أنك ستخجل من أجلى - أنت ، يا من تحببى ، ويا من
لم تفعل شيئا غير احترامى . ولكن ، اذا نزلت الضربة التى كانت
مسلطة الى رأسى الى الأبد ، فأننى أريدك أن تقرا هذا حتى تعرف
منى مباشرة ، الى أى مدى يقع اللوم على . ومن ناحية أخرى ،
اذا سار كل شيء على ما يرام (عسى أن يمنحنيهِ الله الرحيم القادر
على كل شيء) . واذا لم تتلف هذه الورقة ، ووقعت فى يديك ، فانى
استحلفك بكل ما هو مقدس لديك وغال ، وبذكرى أمك العزيزة ،
وبالمحبة التى كانت بيننا ، أن تلقى بها فى النار ، والا تفكر فيها
بعد ذلك . »

« اذا ما وقعت عينك على هذا السطر ، فاعرف أننى انكشفت

وأخرجت من بيتي ، أو ما هو أكثر توقعا - الآنك تعرف أن قلبي ضعيف - يظل فمي مقفلا بالموت الى الأبد . وعلى أية حال ، فقد مضى زمن الشبهات وانقضى . وكل كلمة أقولها لك هي الحقيقة السافرة ، واني الأقسم على هذا ، كما آمل في الرحمة .

« ليس اسمي تريفور ، يا ولدي العزيز ، وإنما جيمس أرميتادج أيام شبابي ، ويمكنك أن تفهم الآن سبب الصدمة التي أصابتني منذ بضعة أسابيع عندما لمح صديقك في الكلية ، المستر هولمز ، بما يفيد أنه استنتج سري . وقد دخلت أحد مصارف لندن باسم أرميتادج ، وبه أيضا أدنت بخرق قوانين بلادي ، فحكم علي بالنفي الى خارج البلاد . لا تفكره في بقلظة يا بني كان ما يسمونه « دين شرف » هو الذي كان علي أن أدفعه ، فدفعته من نقود ليست ملكي ، أملا في أن أضع بدلها قبل أن يعرف أحد نقصها . غير أن حظي البالغ التعاسة طاردني . فلم تصلني قط النقود التي كنت اعتمد عليها ، وحدث جرد فجائي للعهد قبل الموعد المعتاد للجرد . فكشف العجز في عهدي ، وهو ما يسمونه بالاختلاس . وكان من الممكن تخفيف المحاكمة ، غير أن تطبيق القانون منذ ثلاثين عاما ، كان أقسى ، مما هو الآن . وفي عيد ميلادي الثالث والعشرين ، وجدت نفسي مكبلا بالسلاسل من أجل الاختلاس ، مع سبعة وثلاثين متهما آخرين ، وزج بنا في الطابق الأوسط من السفينة جلوريا سكوت المسافرة الى أستراليا . كان ذلك في سنة ٥٥ وحرب شبيه جزيرة القمر على أشدها . فاستعملت سفن نقل المساجين في النقل الحربي بالبحر الأسود . وعلى ذلك اضطرت الحكومة أن تستخدم سفنا أصغر وأقل ملائمة لنقل مساجينها . وكانت السفينة جلوريا سكوت تعمل في تجارة الشاي الصيني ، غير أنها كانت سفينة عتيقة الطراز ثقيلة الحيزوم عريضة الكتل المستعرضة وقد تفوقت عليها السفن الشراعية الحديثة . . كانت حمولتها . . ٥٠ طن . وعلاوة على الثمانية والثلاثين سجينا الذين بها ، كانت تحمل ٢٦ بحارا ، ١٨ جنديا ، وربانا وثلاثة ضباط ، وطبيبا وكاهنا . أي كان بها حوالي مائة شخص ، عندما أقلعت بنا من فالوث .

وبدلا من أن تكون الحواجز بين زنانات المساجين ، من خشب البلوط السميك كما هو الحال في السفن العادية المخصصة لنقل المساجين ، كانت رفيعة وهشة . . كان الرجل السجين الذي الى

جانب زنزانتي من ناحية مؤخرة السفينة ، هو من لاحظته بنوع خاص حينما قادونا الى رصيف الميناء . كان شابا ابلج الوجه لم يطر شاربه بعد ، ذا انف طويل رفيع وفكين بارزين ، يرفع رأسه دائما عاليا في الهواء ، ويترنح في مشيته . وفوق كل شيء كان فارغ الطول بطريقة ملحوظة . ولا اظن ان رأس أى واحد منا كان يصل الى كتفه . واننى لعلى يقين من ان طوله لا يقل عن ست اقدام ونصف . ومن الغريب ان ترى بين العديد من الوجوه الحزينة المكدودة ، وجهها مملوءا نشاطا وعزيمة مثل وجه ذلك الرجل . لاح لى وجهه كالنار في مهب العاصفة . لذا سرنى ان يكون بجارى ، وسرنى اكثر حينما سمعته في هداة الليل البهيم يهمس الى بجانب اذنى بعد ان ثقب فتحة في الالواح الفاصلة بيننا .

قال : « هالو ، أيها الزميل . ما اسمك ، ولماذا انت هنا ؟ »
« فأجبت على سؤاله ، وسألته بدورى عن اسمه »
قال : « انا جاك بندرجاست ، وأقسم بالله على انك ستبارك اسمى قبل ان تعمل معى ! »

« تذكرت اننى سمعت عن قضيتك ، اذ هزت البلاد كلها قبل القبض على بوقت ما . . انحدر هذا الرجل من اسرة طيبة ، وكان ذا كفاءة عالية ، الا ان عاداته الخبيثة الشريرة لم تكن قابلة للشفاء حصل بالتزييف البارع المتقن على مبالغ ضخمة من المال : من أشهر تجار لندن .

قال مزهوا « اتذكر قضيتى ؟ »

« أتذكرها جيدا جدا . »

« اذن ، فربما تذكرت شيئا غريبا فيها ؟ »

« وما ذلك الشيء الغريب فيها ؟ »

« اننى حصلت على ربع مليون تقريبا . اتعرف ذلك ؟ »

« هكذا قيل . »

« ولكنهم لم يستعيدوا منها شيئا . »

« هذا صحيح . »

قال : « اذن ، فأين تعتقد وجود الرصيد ؟ »

قلت : « ليست عندى أية فكرة عنه . »

قال : « انه بين اصبعيك السبابة والابهام . أقسم بالله على ان

لى باسمى عددا من الجنيهات اكثر مما فى رأسك من شعر . وطالما

معك نقود يا ولدى ، وتعرف كيف تديرها وتنفقها ، فبوسعك أن تفعل شيئا ! واثق لا تعتقد أن الرجل الذي بوسعك أن يفعل شيئا ، سيبلون بنظرونه جالسا داخل زنزانه العفنة الرائحة والمليئة بالجرذان والخنافس ، في نعش عتيق لسفينة صينية ؟ كلا يا سيدى . مثل هذا الرجل ، لابد أن ينظر في صالح نفسه وفي صالح زملائه أيضا . يمكنك الاعتماد على في ذلك . تمسك بهذا الرجل ، وسوف تقبل الكتاب المقدس ، لأنه سينتشلك من هذه الاستكانة . »

« هكذا كان أسلوب كلام ذلك الرجل ، وظننت كلامه ، في بادئ الأمر ، لا يعنى شيئا ، ولكن بعد فترة قصيرة ، وبعد أن أخبرني وضمني إليه بأن جعلني أقسم بأغلظ الإيمان ، على الولاء له ، أخبرني بأن هناك خطة للاستيلاء والسيطرة على السفينة . . دبر هذه الخطة اثنا عشر مسجونا قبل المجيء الى ظهر هذه السفينة . كان بندرجاست هو الزعيم ، ونقوده هي القوة المحركة لها .

قال : « لى شريك نادر المثال وأمين ووفى كالأواح الناجود . . الخطط معه ، ولكن أين تظنها موجودة في هذه اللحظة ؟ مع كاهن هذه السفينة - الكاهن ، ولا أقل منه ! جاء الى ظهر هذه السفينة مرتديا معطفا أسود ، ومعه الأوراق ، وما يكفى من النقود في صندوق ، ليشتري السفينة من قاعها الى أعلاها . كما أن البحارة ملء يديه جسما وروحا ، وقد اشتراهم فعلا قبل تعيين أى واحد منهم بالسفينة . ولديه اثنان من السجنانيين ، والضابط الثانى ميرسيه ، ويمكنه الحصول على الربان نفسه لو رأى ضرورة لذلك . »

قلت : « وماذا سنفعل ، اذا ؟ »

قال : « ماذا تظن ؟ سنجعل جاكات هؤلاء الجنود أشد حمرة مما جعلها الخياط . »

قلت : « ولكنهم مسلحون . »

« وهكذا سنكون نحن ، يابنى . هنا حزام مسدسات لكل ابن أنثى منا . واذا لم نستطع حمل هذه السفينة بتعصيد البحارة ، عندئذ يحين الوقت الذى نرسل فيه الى مدرسة الفتيات الصغيرات الداخلية . . تحدث الى جارك الذى على يسارك ، في هذه الليلة ، وانظر ما اذا يمكن الوثوق به . »

« فعلت حسب مشورته ، فوجدت جارى شابا صغير السن في نفس موقفى . كانت جريمته التزييف واسمه ايفانس ، ولكنه غير

اسمه فيما بعد ، مثلى . وهو الآن رجل غنى فى جنوب انجلترا .
كان على استعداد تام للانضمام الى تلك المؤامرة كوسيلة وحيدة
لانتقامنا . وقبل أن نعبّر الخليج لم يكن خارج هذه المؤامرة سوى
اثنين فقط ، أحدهما ضعيف العقل ، ولم نستطع المجازفة بالاعتماد
عليه . أما الآخر فكان مريضاً بالصفراء ولا يمكن أن يكون ذا فائدة لنا .
« الحقيقة أنه ، منذ البداية ، ما كان هناك عائق ليقف أمام
استيلائنا على السفينة . فالبحارة مجموعة من الفتوات الاقوياء
اختيروا لهذا الغرض وأما الكاهن المزيف ، فكان يأتى الى زناناتنا
يحمل حقيبة سوداء ، كان المفروض أن تكون مليئة بالنشرات الدينية .
وكان يزورنا كثيراً ، حتى أنه لم يأت اليوم الثالث الا وقد خبأ كل
واحد منا عند مؤخر سريره ، مبردا وحزام مسدسات ورطلا من
البارود وعشرين طلقة . وكان اثنان من حراس السجن من أتباع
برندرجاست ، وكان الضابط البحرى الثانى يده اليمنى . ولم يكن
ضدنا سوى الربان والضابطين البحرين الآخرين واثنين من حرس
السجن والملازم أول مارتين وجنوده الثمانية عشر والطبيب . ورغم
اطمئناننا لسلامة خططنا ، فأننا لم نهمل بأية احتياطات وعملنا ترتيبنا
على القيام بهجومنا فجأة اثناء الليل . بيد أن الهجوم جاء بأسرع ما كنا
نتوقع ، جاء بهذه الطريقة .

« ذات مساء ، بعد حوالى ثلاثة أسابيع من بدء رحلتنا ، جاء
الطبيب ليعود مسجوناً مريضاً . وبينما هو يفحصه ، وضع يده عند
مؤخر السرير فأحس بانبعاج الفراش فوق المسدسات . ولو سكت
الطبيب لكان من الممكن أن ينسف كل خططنا من أساسها ، ولكنه كان
شاباً صغير السن وعصبياً ، فأطلق صيحة الدهشة ، وامتقع لونه ،
فعرف الرجل من فوره ماذا سيحدث ، فقبض على الطبيب وكمم فمه
وربطه فى السرير قبل أن يرسل اذارا . وكان قد فتح قفل الباب
المؤدى الى ظهر السفينة ، فاندفعنا خلاله جميعاً وأطلقنا الرصاص
على الديدبانين فقتلناهما . وكذلك فعلنا بجندى برتبة عريف جاء
يجرى ليرى ماذا حدث ، ثم فعلنا نفس الشئ بجنديين آخرين عند
باب حجرة القيادة بدا أن قذافتيهما غير معبأتين بالرصاص ، اذ لم
يطلقا الرصاص علينا ، فقتلناهما وهما يحاولان تثبيت السنكى . ثم
اندفعنا الى داخل كابينة الربان . ولكن عندما دفعنا الباب لنفتحه
سمعنا انفجاراً من الداخل وقد انكفأ الربان برأسه فوق خريطة

الاطلنطى المصقة بالنضد ، وابصرتا الكاهن واقفا الى جانبه وفي يده مسدس ينبعث منه الدخان بجانب ذراع الربان . أما الضابطان البحريان كلاهما ، فقبض عليهما البحارة وهكذا بدا ان المؤامرة كلها قد نفذت تماما .

« كانت حجرة القيادة بجانب كابينة الربان ، فتجمعنا فيها وجلسنا على المقاعد نتحدث معا ، اذ كنا في غمرة جنون الاحساس بحريتنا مرة أخرى . وكان حول حوائط تلك الحجرة خزانات صغيرة ، ففتح ويلسون هو الكاهن المزيف ، خزانة منها وأخرج اثني عشرة زجاجة من نبيذ الشرى البنى اللون ، كسرنا اعناقها وأفرغنا محتوياتها في اكواب . وبينما نحن كذلك اذ بصوت اطلاق الرصاص يدوى ، دون سابق انذار ، أطلق الجنود رصاص قذافاتهم على زملائنا ، وامتلا الصالون بالدخان حتى تعذرت علينا الرؤية وراء النضد . وبعد ان انقشع الدخان شاهدنا المكان فوضى . كان ويلسون وثمانية آخرون يتلوون واحدا فوق الآخر على الارض ، واختلط الدم بالنبيذ البنى فوق النضد ، الأمر الذى يقشعر له بدنى كلما فكرت فيه بعد ذلك . . فخارت عزائمنا حتى خيل الى اننا لابد ان نستسلم ، لولا برندرجاست الذى أخذ يصرخ كالثور واندفع نحو الباب يتبعه كل من كان حيا منا . فجرينا خارجا حيث ابصرنا الملازم أول وعشرة من رجاله واقفين عند مؤخرة السفينة . وكانت فتحة التهوية التى فوق النضد مفتوحة قليلا . فأخذ الجنود يطلقون علينا الرصاص من خلالها . فانقضضنا عليهم قبل ان يعيدوا تعبئة قذافاتهم بالرصاص . غير انهم وقفوا وقفة الرجال رغم انتصارنا عليهم .

« انتهى كل شيء فى مدى خمس دقائق . يا الهى ! هل يوجد فى العالم كله مجزر مثل مجزر تلك السفينة ؟ كان برندرجاست أشبه بشيطان ثائر ، شرع يمسك الجنود بيديه ، كما لو كانوا أطفالا ، ويلقى بهم فى اليم ، أحياء أو أموات . وكان هناك جندى باسل برتبة عريف ، قد جرح جرحا بليغا ، ولكنه رغم هذا ، استمر يسبح عسى ان يأتى الوقت الملائم فيبقى على حياته ، غير ان أحد رجالنا أشفق عليه ونسف مخه . . وعندما انتهى القتال ، لم يبق هناك أحد من الاعداء سوى حارسى السجن والضباط البحريين ، والطبيب .

« دارت المعركة الكبرى مع هؤلاء ، وخرج كثير منا ونحن

نشعر باستعادة حريتنا . ومع ذلك ، فلم تكن لنا رغبة في أن توصم نفوسنا بالقتل . . يختلف قتل الجنود المسلحين بالقذائف عن قتل هؤلاء وهم عزل من السلاح . قال ثمانية منا : خمسة مساجين وثلاثة بحارة انهم لا يرون تنفيذ ذلك . ولكن ما من شيء كان يثنى برندرجاست ومن معه عن عزمهم . فقال برندرجاست : ليس هناك سوى طريق واحد للنجاة ، وهو التخلص من كل أعدائنا كيلا يبقى لسان واحد يشهد ضدنا . قال عليكم اما أن تقاسموا الباقين نصيبهم واما أن تأخذوا قارباً وتغادروا السفينة . فاخترنا العرض الأخير اذ برمنا بأعمال القتل هذه كلها ، ورأينا أن سيكون هناك ما هو أسوأ قبل تنفيذ ذلك . فزودنا بما يحتاج اليه البحارة في البحر : ناجود من الماء وصندوق من الحبال وآخر من البسكويت وبوصلة وخريطة . وأوصانا بأن نقول أننا الناجون من بحارة سفينة ركاب تحطمت في عرض البحر عند خط عرض ١٥ درجة شمالاً وخط طول ٢٥ درجة غرباً ، ثم أطلق القارب . وهكذا انفصلنا عن السفينة وعنهم .

« والآن أكتب أكثر أجزاء قصتي مدعاة الى الدهشة ، يا ولدى العزيز . كان البحارة قد طواوا الشراع الامامي وقت الثوران ، ولكنهم عادوا فنشروه ثانية . ولما كانت هناك ريح خفيفة آتية من الشمال والشرق ، أخذت السفينة تبتعد عنا ببطء ، وشرع قاربنا يرتفع ويهبط مع الامواج الطويلة . وكنت أنا وايفانز أكثر من في القارب تعلماً ، فجلسنا ندرس الخريطة لنعرف موضعنا عليها ونقرر الى أي شاطئ نتجه . كان هذا عملاً شاقاً اذ كان كاب دي فير يبعد عنا بحوالى ٥٠ ميل الى الشمال منا ، بينما كان الساحل الأقربى على مسافة ٧٠ ميل شرقينا . وعلى أية حال ، لما هبت الريح الى الشمال ، رأينا أن سيراليون قد تكون انسب ما نتجه نحوه ، فأدرنا مقدم قاربنا في ذلك الاتجاه . وكانت السفينة ، في ذلك الوقت قد بعدت عنا ومؤخرها عند جانبنا المواجه للريح . وفجأة ، ونحن ننظر اليها ، اذ بنا نبصر سحابة كثيفة من الدخان الاسود تنطلق منها وتخيم كشجرة عملاقة على أفق السماء . وبعد ذلك ببضع ثوان سمعنا صوت انفجار يدوى في آذاننا كالرعد . وبعد أن خفت حدة الدخان ، لم نر أي أثر للسفينة جلورياسكوت . وفي لحظة ، أدرنا مقدم القارب ثانية نحو مكان السفينة ونحن نجدف

بكل قوتنا ، بينما الضباب المنتشر هناك يبين لنا مسرح تلك الكارثة .

« بقينا ساعة طويلة قبل أن نصل الى ذلك المكان ، وخشينا أن يكون قد فات أوان انقاذ أى شخص . كان هناك قارب ممزق ، وبعض الصناديق ، وقطع من الأخشاب ، تعلو وتنخفض طاغية فوق الأمواج مبينة الموضع الذى غاصت فيه السفينة . غير أنه لم يكن هناك أى دليل على وجود حياة . فاستدرنا بعيدا يائسين ، فإذا بنا نسمع صرخة استفائة وأبصرنا على مسافة منا قطعة من الحطام يرقد فوقها رجل . ولما جذبناه الى داخل القارب ، رأيناه بحارا صغير السن اسمه هدرسون يعانى من الحروق وهو منهوك القوى لدرجة أنه لم يرو لنا ما حدث الا فى صباح اليوم التالى .

« يبدو أنه بعد أن غادرنا السفينة ، أخذ برندرجاست وعصابته يقتلون الأعداء الخمسة الباقين . فقتلوا حارسى السجن والضابط البحرى الثالث وألقوا بجثثهم فى البحر . ثم نزل برندرجاست بين السطحين وذبح بيده الطبيب السيء الحظ . لم يبق سوى الضابط البحرى الاول الذى كان جريئا ونشيطا . فعندما أبصر ذلك المسجون قادمًا نحوه وفى يده السكين القاتلة ، تخلص من قيوده التى خففها قبل ذلك بطريقة ما ، واندفع هابطا تحت السطح الى العنبر الخلفى .

« نزل خلفه اثنا عشر مسجونًا شاهرين مسدساتهم فوجدوه ممسكا فى يده علبة ثقاب وقد أخرج منها عودا ، وجالسا الى جانب ناجود بارود مفتوح ، كان واحدا من مائة ناجود بارود تحملها السفينة . فأقسم ذلك الضابط على أن ينسف السفينة بمن فيها وما فيها اذا تعرض له أى شخص بأية حال من الأحوال . وبعد لحظة حدث الانفجار . هذا ، ولو أن هدرسون كان يعتقد أن الانفجار حدث بسبب رصاصة طائشة أطلقها أحد المساجين على الضابط البحرى وليس من الثقاب الذى أشعله ذلك الضابط . ومهما يكن السبب ، فهكذا كانت نهاية جلورباسكوت وطائفة الطفلة الذين استولوا عليها .

« هذا ، باختصار ، يا ولدى العزيز ، هو تاريخ ذلك الممل

المريع الذى اشتركت فيه . وفى اليوم الثانى ، التقطتنا سفينة الركاب الكبيرة هوتسبير المتجهة الى استراليا ، والتي لم يجد ربانها مشقة فى تصديق اننا الاحياء من سفينة ركاب غرقت . . أما وزارة البحرية فسجلت سفينة النقل جلوريا سكوت على انها مفقودة فى البحر . ولم تتسرب أية كلمة عن مصيرها الحقيقى . وبعد رحلة موفقة ، رست السفينة هوتسبير على ميناء سيدنى حيث غيرت أنا وايفانز اسمينا وشققنا طريقنا الى مواضع الحفر بحثا عن الذهب وهناك لم نجد صعوبة فى تغيير اسمينا السابقين وسط كل تلك الحشود الكبيرة المجتمعة هناك والقادمة من جميع دول العالم .

« لا حاجة بى أن أحكى بقية القصة . . اثرينا وجمعنا ثروة طائلة من الحفر عن الذهب وسافرنا عائدين ثانية الى انجلترا كرجلين من أغنياء المستعمرات ، واشترينا مزارع ريفية . وقضينا أكثر من عشرين عاما فى حياة هادئة هائلة آملين فى نسيان ماضينا الى الأبد . ويمكنك أن تتصور مشاعرى عندما جاء إلينا ذلك البحار اللعين وتعرفت عليه فى الحال ، ذلك الذى انتشلناه من بين حطام السفينة وأنقذنا حياته ! لقد اقتفى أثرنا بطريقة ما ووطد نفسه على أن يعيش على مخاوفنا . ستفهم الآن ، يا ولدى ، كيف اجتهدت فى أكرامه وارضائه ولابد أنك سترثى من أجل الخوف الذى يملؤنى الآن بعد أن تركنى ذاهبا الى ضحيته الأخرى وهو يهدد ويتوعد .

« كتب فى آخر الخطاب عبارة بيد مرتجفة قلما تمكن قراءة كلماتها : « كتب لى بيدوس بالشفرة ، أن هـ باح بكل شيء . . ارحمنا ، أيها الإله الرحيم ! »

« هذه هى القصة التى قراتها فى تلك الليلة الى صديقى تريفور . وأعتقد ، يا واطسون ، أنها فى تلك الظروف قصة درامية . فأنكسر قلب ذلك الصديق الطيب ، ورحل الى مزارع الشاي فى تيراي حيث علمت أنه جمع ثروة كبيرة . أما عن أمر البحار وبيدوس ، فلم أسمع شيئا بعد ذلك اليوم الذى كتب فيه بيدوس خطاب التحذير . اختفى كل منهما تماما . ولم تقدم أية شكوى للبوليس . ويبدو أن بيدوس فهم التهديد خطأ على أنه سيفضحه

.. روى هـدسون يتسكع فى تلك المنطقة . ويعتقد البوليس أن هـدسون قتل بيدوس واستولى على أمواله . أما أنا شخصيا ، فأعتقد أن الحقيقة هى العكس تماما . أرى من المحتمل جدا ، أن بيدوس أثر الى درجة الهياج . واذا اعتقد أن هـدسون خانه فعلا وأفشى سره ، انتقم لنفسه منه ، وهرب من المنطقة بكل ما أمكن أن تقع عليه يده من أموال .

« هذه هى حقائق القضية ، يا دكتور واطسون ، واذا رأيت أنها تفيد مجموعتك ، فاعلم إنها تحت أمرك واذنك ، عن طيب خاطر . »

تراث عائلة مسجريف

لفت انتباهي نشاز في عادات صديقي شرلوك هولمز ، ورغم انه ، من حيث تفكيره ، أدق وأضبط البشر جميعا ، ورغم كونه يراعى رقة هادئة معينة في ملبسه ، فانه في ناحية عدم ترتيبه أدواته وأمتعته ، أكثر رجل لفت نظر رفيقه في المسكن . ولو أنني ، أنا نفسي ، لست مثاليا في هذه الناحية بالذات ، فان العمل المضطرب في أفغانستان ، الذي يأتي في قمة البوهيمية الطبيعية لتكون الخلقى ، جعلنى اتراخى بما لا يليق برجل الطب . ولكن هناك حدودا لكل شيء . فعندما أجد رجلا يضع السيجار في صندوق رسائله التي لم يرد عليها بسكين الخطابات في وسط رف الوطيس ، عندئذ أضفى على نفسي صفات حميدة . كذلك كنت أرى أن التمرين بالمسدس يجب أن يكون هواية تمارس في الخلاء . وعندما يجلس هولمز ، في إحدى نزعاته الغريبة ، على مقعده ذى المتاكىء ، ومعه مسدسه الدقيق ومائة خرطوشة ثم يشرع في تزيين الحائط المقابل له بالحروف الوطنية ، ينقشها بشقوب الرصاص ، فأننى أشعر شعورا قويا بأن جو حجرتنا ومنظرها لم يتحسنا بهسده الحروف اطلاقا .

تمتلئ حجراتنا دائما بالمواد الكيميائية ، وببقايا محرزات الجرائم التي دأبت على أن تنتقل الى أى موضع يعجبها ، كالدخول في طبق الزبد أو في الأماكن التي لا نحتاج اليها كثيرا ، غير أن أوراقه كانت شغلى الشاغل . كان يشمئز من اتلاف المستندات ولا سيما ما كان منها ذا صلة بقضاياه الماضية . ومع ذلك ، فمرة واحدة في كل سنة أو سنتين ، يخصص جزءا من نشاطه كى يجلس ويرتب هذه الأوراق فكما سبق أن قلت أنه اذا بذل مجهودا جبارا في قضية ما من قضاياها التي لمع اسمه فيها ، فانه يتبع ذلك الجهد بشيء من

التراخي والكسل . فتراه يستلقى على الأريكة أو الفراش ويمسك قيثارته وقلما تتحرك كتبه الا من الأريكة الى النضد . . وهكذا تتراكم أوراقه شهرا بعد شهر حتى يمتلئ كل ركن من أركان الحجرات بحزم المخطوطات التي لا يمكن أن تحرق مهما تكن الأسباب والتي لا يمكن أن تنتقل من موضعها الا بيد صاحبها .

بينما كنا جالسين معا في احدى ليالى الشتاء ، نصطلى نار الوطيس ، اقترحت عليه ، بما انه قد انتهى من الصاق المقتطفات في دفتره العادى . فمن الممكن ان يقضى الساعتين التاليتين في ترتيب حجرتنا وجعلها اكثر صلاحية للسكنى . فلم يستطع انكار عدالة مطلبى . وهكذا ذهب الى حجرة نومه بوجه مكتئب ثم رجع منها يجبر خلفه صندوقا ضخما من المعدن الى ان وضعه في وسط الحجرة . وجلس القرفصاء امام الصندوق ، على مقعد منخفض ، وفتح غطاءه الى الخلف . وكان بوسعى ان ارى الصندوق مملوءا الى ثلثه بحزم من الأوراق مربوطة بشريط أحمر ، في حزم متفرقة . قال وهو ينظر الى بعينين فيهما بعض الدهاء : « هنا ما يكفي من القضايا ، يا واطسون . اعتقد انك اذا عرفت كل ما لدى في هذا الصندوق ، لطلبت منى اخراج بعضه بدلا من وضع حزم أخرى فيه .

قلت : « اذن ، فهل فيه سجلات اولى قضاياك ؟ كم اُرجب في تدوين مذكرات عن تلك القضايا ! »

قال وهو يرفع حزمة بعد أخرى بعناية ورفق : « نعم ، يا ولدى ، عملت هذه كلها في أوليات مدد اشتغالى بهذه المهنة ، وقبل أن يمجدنى كاتب تاريخ حياتى . . لم تكمل جميع هذه القضايا بالنجاح يا واطسون بل يوجد بينها بعض مشاكل بسيطة : فهذه الحزمة سجل مقتل تارليتون . وهذه قضية فامبرى تاجر الخمر ، وهذه مغامرة المعجوز الروسية ، وهذه القضية الفريدة للعكاز المصنوع من الالومنيوم ، وهذه الحزمة سجل كامل لعامل النادى ريكوليتى وزوجته المقيمة . وهذه - آه ! هذه حقا ، شىء عبارة عن بحث صغير . »

ادخل هولمز ذراعه الى قاع الصندوق ، وأخرج صندوقا خشبيا صغيرا ذا غطاء منزلق كالصناديق التى تحفظ فيها لعب الاطفال . وأخرج قطعة ورق مفضنة ومفتاحا من النحاس الاصفر عتيق الطراز ، واصبعا خشبية تتصل بكرة من الدوبارة ، وثلاثة أقراص معدنية عتيقة صدئة .

سألنى هولمز وهو يبتسم لما رآه فى وجهى من ملامح معبرة ،
فقال : « والآن ، يا غلامى ، ماذا تستنتج من هذه المجموعة ؟ »
« انها مجموعة غريبة . »
« غريبة جدا ، واغرب منها قصتها التى لابد ان تذهلك اكثر
منها . »

« اذن ، فلهذه البقايا تاريخ ؟ »
« نعم ، لها تاريخ أى تاريخ ، جعلها هى نفسها ، تاريخا . »
« ماذا تعنى بذلك ؟ »
أخرج شرلوك هولمز تلك البقايا ووضعها عند حافة النضد ، ثم
نهض فجلس على كرسية وأعاد النظر اليها ، وفى عينيه بريق الرضا .
قال : « هذه هى كل ما تبقى عندى ليذكرنى بحلقة » تراث
عائلة مسجريف . »

سبق لى ان سمعت هولمز يذكر هذه القضية اكثر من مرة ،
ولو اننى لم أتمكن من معرفة التفاصيل
قلت : « يسرنى أن ترويها لى . »
قال بخبث : « وتترك القمامة لى ؟ لن يتطلب الترتيب جهدا
كبيرا ، يا واطسون . . ولكن يسرنى أن تضيف هذه القضية الى
مذكراتك اذ فيها بعض نقاط تجعلها طريفة جدا فى تاريخ الجريمة
لهذه المملكة ، أو كما أعتقد لجميع دول العالم . فمجموعة أعمالى
التافهة لا تكون كاملة الا اذا تضمنت هذه القضية البالغة الفرافة .
» قد تتذكر قضية السفينة جلوريا سكوت ، وحديثى الى
الرجل التمس الذى أخبرتك بمصيره الذى حول اتجاهى الى هذه
المهنة فصارت كل عمل حياتى . ترانى الآن وقد صار اسمى ذائع
الصيت فى طول البلاد وعرضها . وعندما صار الجمهور والقوات
الحكومية يعرفوننى بأننى محكمة الاستئناف الاخيرة فى القضايا
المشكوك فيها . وحتى عندما عرفتنى فى بادئ الأمر فى القضية التى
تعرفها بموضوع « دراسة بالدم » ، كونت علاقات كثيرة ، ولو انها
ليست ممتازة . قلما يمكنك أن تدرك كيف وجدتتها أولا ، وكم كان
على أن أنتظر قبل أن نجحت فى تقديمى .

« عندما جئت الى لندن لأول مرة ، اقامت فى شقة بشارع
مونتاج عند منعطف الطريق المؤدى الى المتحف البريطانى ، وبقيت
هناك املا أوقات فراغى أدرس جميع فروع تلك العلوم التى قد

تجعلنى أكثر كفاءة . ومن آن الى آخر ، كانت تقابلنى قضايا يأتينى بها زملائى الطلبة اذ كثر الحديث عنى وعن طرق تفكيرى وأنا فى السنة النهائية بالجامعة . وثالث هذه القضايا هى قضية « تراث عائلة مسجريف . » وبفضل المتعة التى أثارتها سلسلة الاحداث الطريفة والنتائج العظمى التى ثبت أنها فى خطر ، تقدمت نحو المركز الذى أحظى به الآن .

« كان ريجينالد مسجريف ، طالبا بنفس كليتى وكانت تربطنى به صداقة بسيطة ، ولم يكن هو ، على العموم ، ذائع الصيت بين زملائه ، ولو أنه بدا لى دائما ، أن ما يعتبره الإنسان فخرا ، ليس فى الحقيقة سوى محاولة لتفطية منتهى عدم الثقة بالنفس الطبيعية . كان فى مظهره رجلا من النوع البالغ الارستوقراطية ، نحيل الجسم ، شامخ الأنف ، واسع العينين ، يتحلى بأخلاق عالية . كان فى الحقيقة سليل أسرة من أغرق الاسر فى المملكة ، ولو أن الفرع الذى نبت منه انفصل عن الجذع الاصلى الأسرة مسجريف الشمالية فى وقت ما من القرن السادس عشر ، وركز نفسه فى وسترن ساسكس ، حيث يجتمل أن يكون بيت هيرلستون هو أقدم البيوت المسكونة فى المملكة يبدو أن شيئا عن مسقط رأس هذا الرجل قد التصق به . ولم انظر قط الى وجهه الحاد الممتقع اللون ، ولا الى وضعة رأسه ، دون أن افكر فى وجود علاقة بينه وبين البواكى الرمادية ، والنوافذ المقسمة بحواجز ، وكل الحطام المحترم لعهد الاقطاع . كنا نتحدث بين آونة وأخرى ، وبوسعى أن اذكر أنه عبر ، ذات مرة ، عن اعجابه البالغ بطرق ملاحظاتى واستدلالى .

« لم أره مدة أربع سنوات ، الى أن جاء ذات صباح الى حجرتى فى شارع مونتاج . لم يتغير الا تفيرا طفيفا ، فى ملابس شاب انيق ، والحق يقال أنه كان انيقا فى ملبسه دائما — ويحتفظ بنفس الأخلاق الهادئة التى كانت تميزه من قبل .

وبعد أن حييته بىدى ورحبت به ترحيبا حارا ، قلت له :
« كيف الأحوال معك يا مسجريف ؟ »

قال : « من المحتمل أنك سمعت عن مقتل والدى المسكين . مات منذ سنتين ومنذ ذلك الوقت تحملت مسئولية ممتلكات هيرلستون وأنا عضو نائب عن منطقتي ، لذا تجد حياتى مشغولة باستمرار . ولكنى أفهم ، يا هولز أنك استخدمت تلك المواهب التى طالما أدهشتنا بها ، فى أغراض عملية . »

قلت : « نعم ، أعيش الآن بواسطة ذكائى . »
« يسرنى أن أسمع ذلك ، وستكون نصيحتك لى الآن عظيمة
القيمة . . حدثت أمور غريبة جدا فى هيرلستون ، ولم يستطع البوليس
القاء أى ضوء على الموضوع . الحقيقة أنها مسألة غريبة جدا ومتعذرة
التفسير . »

« يمكنك أن تتصور ، يا واطسون ، مبلغ شوقى ولهفتى الى
الاستماع اليه ، الآن الفرصة الوحيدة التى كنت أنتظرها طوال شهور
راحتى ، قد جاءتنى تسعى وصارت فى متناول يدى . كنت اومن
فى أعماق قلبى بأننى سأنجح حيث أخفق غيرى ، وها هى فرصة
اختبار نفسى ماثلة أمامى . »

« جلس ريجينالد مسجريف قبالتى ، واشعل سيجارة قدمتها
اليه . »

قال : « يجب أن تعلم اننى رغم كونى أعزب ، فأننى ملزم
بالاحتفاظ بعدد كبير من الخدم فى هيرلستون لأنه قصر قديم مترامى
الأطراف ويحتاج الى عناية كبيرة . كما اننى أقيم دائما حفلات منزلية
فى شهور صيد الدراج . لذا عندى باستمرار ثمانى خادمت وطاه
وسفرجى وخادمان وغلّام صغير . وهذا ، بالطبع ، بخلاف خدم
الاسطبل والحديقة . »

« ومن بين خدمنا رجل يدعى برنتون يعمل سفرجيا ، وله عندنا
اطول مدة . كان مدرسا شابا صغير السن . فلما تعطل عن العمل
أخذه والدى سفرجيا عنده . والحقيقة أنه رجل عظيم النشاط
والشخصية . وسرعان ما صار رجلا بالغ القيمة ونسط الخدم فى
منزلنا . وكان كامل الرجولة أتيق الهندام ذا جبين شامخ . ورغم
كونه معنا لمدة عشرين سنة فإن عمره الآن لا يزيد على أربعين سنة
ويتحلى بميزات شخصية ومواهب خارقة . فيستطيع أن يتكلم عدة
لغات ويعرف على جميع الآلات الموسيقية تقريبا . ومن الغريب أنه
قانع بمثل هذا العمل طوال العشرين سنة ، ولكنى أعتقد أنه مرتاح
ولا يفكر فى تغيير عمله . وان سفرجى هيرلستون هذا شخصية لا
ينساها كل من زارنا . »

« غير أن هناك عيبا واحدا فى ذلك الشخص المثالى . فهو زير
نساء (دون جوان) وبوسعك أن تتصور أن دورا كهذا ليس من الصعب
القيام به فى منطقة ريفية هادئة . »

« لما كان متزوجا ، كان حسن السير والسلوك فى هذه الناحية . »

ولكنه منذ ان ترمّل سبب لنا متاعب لا حد لها . فمنذ بضعة شهور ، راودنا الامل في أنه سيستقر مرة أخرى اذ خطب راشيل هويل ، خادمتنا الثانية . غير انه تركها وخطب جانيت تريجالا ابنة رئيس شئون الصيد . وراشيل هذه فتاة طيبة جدا رغم مزاجها السريع الاثارة الخاص بأهل ويلز . وأخيرا أصيبت بلمسة حادة من الحمى المخية فأخذت تدور في أنحاء البيت — وظلت كذلك حتى أمس — كانت هذه أول دراما في هيرلستون . ولكن حدثت دراما أخرى محت الدراما الاولى من عقولنا ، مقدمتها عار برنتون السفرجى بمنزلنا ، وفصله من الخدمة .

« حدث هذا كما يأتى : قلت ان ذلك الرجل بالغ الذكاء ، وان هذا الذكاء المفرط نفسه ، هو الذى كان سبب خرابه ، اذ يبدو انه ساقه الى فضول لا يمكن اشباعه ، عن أشياء لا تخصه أو تهمة في كثير أو قليل . لم تكن عندي أية فكرة عن أى مدى سيحمله هذا ، حتى فتحت عيني الى ذلك بمحض الصدفة .

« قلت ان البيت واسع . وفي احدى ليالى الاسبوع الماضى — فى ليلة الخميس ، لأكون أكثر دقة — انتابنى أرق أقض مضجعى ونفى النوم عن عيني ، اذ تناولت ، بغباء ، فنجانة من القهوة السوداء (الثقيلة) بعد العشاء . وبعد ان ناضلت ضد ذلك الأرق حتى الساعة الثانية صباحا ، لم أجد فائدة من محاولة النوم . ولذا ، نهضت وأوقدت شمعة بهدف اكمال رواية كنت بدأت قراءتها . وكان الكتاب فى حجرة البلياردو . وعلى هذا ، لبست الروب وخرجت لاختضاره . « لكى أصل الى حجرة البلياردو كان على أن أهبط سلما ، ثم أعبر ممرا يؤدي الى المكتبة والى حجرة الاسلحة . وبوسعك أن تتصور دهشتى حينما نظرت خلال الممر ورأيت وميض نور ينبعث من باب المكتبة المفتوح . . . وكنت قد أطفأت المصباح بنفسى ، وأقفلت الباب قبل ذهابى الى الفراش . وبطبيعة الحال ، اتجه أول تفكيرى الى وجود لصوص . فان حوائط هيرلستون مزينة بالكثير من التحف والاسلحة الاثرية . فتناولت بلطة حربية من بين تلك الاسلحة ، وتركت شمعتى خلفى وتسلفت على أطراف أصابع قدمى خلال الممر حتى وصلت الى الباب المفتوح .

« لشد ما كانت دهشتى عظيمة عندما أبصرت برنتون السفرجى جالسا فى المكتبة وقد ارتدى ثيابه كاملة ، ومعه قطعة ورق تبدو كالخريطة نشرها فوق ركبتيه وأمال جبهته الى الامام فوق يده فى تفكر

عميق .. وقفت وقد أخرس لساني من فرط الدهشة وأنا أراقبه خلال الظلام . وكان على طرف النضد شمعة رفيعة تلقى ضوءاً ضعيفاً يكفي لأن يريني أنه كان مرتدياً كامل ملبسه . وفجأة عندما نظرت إليه نهض من على مقعده ، وسار الى مكتب في أحد جوانب المكتبة ففتحه وجذب أحد الأدراج فأخرج منه ورقة بيضاء ، ثم عاد الى مقعده وبسط الورقة بجانب الشمعة على حافة النضد وأخذ يدرسها بامعان كبير . فثارت كرامتي للعبث بأوراق الاسرة على هذا النحو ، فتقدمت خطوة الى الامام ، فأحس بي برنتون ورفع بصره الى أعلى ، فأبصرني واقفاً في مدخل المكتبة ، فهب واقفاً على قدميه ، وقد شحبت لون وجهه خوفاً وهلعاً ، فـدس الورقة ، التي كان يدرسها ، في صدره .

قلت : « اذن ، فهل هكذا تجازينا على ثقتنا بك ؟ ستترك خدمتي غداً . »

فأنحني ونظر الى نظرة رجل سحق تماماً ، ومر بجانبى دون أن يتفوه بكلمة واحدة . وكانت الشمعة لا تزال على النضد ، فتطلعت على ضوءها الأرى الورقة التي أخذها برنتون من الدرج . ولشد ما كانت دهشتي بالفة عندما رأيت أنها شيء عديم القيمة بل هي نسخة من قائمة أسئلة وأجوبة من قديم الزمان تعرف باسم « تراث عائلة مسجريف . » أنها نوع من تقاليد أسرتنا يجب أن يعرفها كل فرد في أسرة مسجريف عندما يبلغ سن الرشد - أنها شيء ذو أهمية خاصة لا يفيد منها كثيراً علماء الآثار ، مما يكتب على الحلل الحربية والدروع ، ولكنها ليست ذات قيمة عملية على الإطلاق .

قلت : « من الخير أن نرجع الى الورقة فيما بعد . »

قال في شيء من التردد : « اذا رأيت ضرورة لها . ولكي استطرد في حديثي ، أقفلت المكتب بالمفتاح الذى تركه فيه برنتون ، ثم استدرت لانصرف فاذا بي أفاجأ بالسفرجى برنتون يعود ويقف أمامى . »

قال في صوت يح من عواطفه الثائرة : « سيدى ، يا مستر مسجريف ! لا يمكننى احتمال العار ، يا سيدى ، أنا الذى كنت أفخر بما يزيد على مركزى في الحياة . سيقتلنى العار ، وسيكون دمي على رأسك - سيكون كذلك اذا دفعتنى الى اليأس - فاذا لم يمكنك الاحتفاظ بى بعد ما حدث ، اذن ، فاكراما لخاطر الله ، أسمع لى بأن أقدم لك اخطاراً بأننى سأترك العمل من تلقاء نفسى بعد شهر ، كما لو كنت أنا الذى اطلب ذلك . يمكننى أن أحتمل هذا ،

يا مستر مسجريف ، ولكن لا يمكننى احتمال أن أطرده أمام جميع
من أعرفهم جيدا ، ويعرفوننى حق المعرفة . »

قلت : « انك لاتستحق أى اعتبار ، يا برنتون . كان مسلكك
شائنا جدا . ومع ذلك ، فيما أن لك مدة طويلة فى أسرتى ، فلا أرغب
فى أن أعلن عارك على رءوس الاشهاد . ولكن شهرا كثير . اترك العمل
بعد اسبوع ، وقدم أى سبب تراه . »

صاح فى صوت ينم عن اليأس : « اسبوع واحد ، هذا قليل
جدا ، ياسيدى ! اجعله اسبوعين على الاقل . »
كررت قولى : « اسبوع واحد فحسب ، وبذا تعتبر نفسك
قد عوملت بمنتهى الرحمة واللين . »

« انصرف برنتون ، وقد طأطأ رأسه حتى بلغ صدره ، كرجل
محطم ، بينما أطفأت النور وقفلت راجعا الى حجرتى . »

« ظل برنتون مواظبا تماما على عمله طوال اليومين التاليين .
ولم ألمح قط الى ماحدث منتظرا فى شئ من الفضول لأرى كيف سيفطى
عاره . غير أنه لم يظهر فى الصباح الثالث كمادته بعد الفطور ليتلقى
تعليماتى لذلك اليوم . واثناء مغادرتى حجرة المائدة ، التقيت
بالخادمة راشيل هويل . وقد أخبرتك بأنها شفيت حديثا من مرضها ،
وكانت شاحبة اللون جدا وذابلة . فاعترضت على رجوعها الى
العمل قائلا : « يجب أن تذهبى الى الفراش ، ياراشيل ، ولا تعودى
الى العمل الا بعد أن تستعيدى قوتك . »

« نظرت الى نظرة غريبة حتى اننى بدات اشك فى أن عقلها
مازال متأثرا . »

قالت : « انا قوية جدا ، يامستر مسجريف . »

قلت : « سنرى ماذا يقول الطبيب . يجب أن تكفى عن العمل
الان . وعندما تهبطين الى الدور الارضى ، أخبرى برنتون بأننى أود
رؤيته . »

قالت : « السفرجى انصرف ! »

« انصرف ! الى أين انصرف ؟ »

« انصرف دون أن يراه أحد ، وليس موجودا فى حجرتى . نعم ،
انصرف ! » قالت هذا وارتمت على الحائط تطلق صرخة اثر صرخة
من الضحك ، بينما اعترائنى الدعر لتلك النوبات الهستيرية المفاجئة
فاندفعت نحو الجرس اطلب النجدة . ثم حملت الفتاة الى حجرتها
وهى مازالت تصرخ وتنتحب ، بينما اخذت أستفسر عن برنتون .
لاشك فى اختفائه على الاطلاق . فسريره لم يتم فيه ، ولم ير برفقة

أى فرد منذ أن ذهب الى حجرتة فى الليلة الماضية . ومع هذا ، فمن الصعب معرفة كيف يمكن أن يكون قد غادر البيت ، أذ وجدت النافذتان مفلقتين ، كما وجد الباب مغلقا كذلك ، فى الصباح . وكانت ملابسه وساعته ، وحتى نقوده نفسها ، موجودة فى الحجرة — غير أن الحلة السوداء التى اعتاد ارتداها ، لم تكن فى الحجرة وكذلك اختفى خفاه ، بيد أن حذاءه كان موجودا . إذن ، فالى أين يمكن أن يكون ذلك السفرجى برنتون ، قد ذهب اثناء الليل . وماذا عن مصيره الآن ؟

« وبالطبع ، فتشنا البيت وخارجة دون أن نعثر له على أثر . والبيت ، كما قلت ، بيت قديم ، عبارة عن متاهة متعددة الممرات ، ولا سيما الجناح الاصلى غير المسكون الآن . . . وفتشنا كل حجرة وكل ركن ، حتى السطح ، دون أن نكتشف اقل علامة تدل على ذلك الرجل المختفى . لا اصدق أبدا أنه انصرف تاركا أمتعته بالحجرة . وبناء عليه ، أين يمكن أن يكون ؟ استدعيت البوليس المحلى ولكن دون فائدة . وكان المطر قد نزل فى الليلة السابقة . ففحصنا الأرض المقطاة بالحشيش والممرات التى حول البيت من جميع الجهات . . . ظلت الحال على ذلك النحو حتى وقع حادث جديد ذهب بآتباها بعيدها عن اللغز الاصلى .

« ظلت راشيل هويل مريضة لمدة يومين واشتد بهسا المرض حتى اعترتها نوبات هستيرية جعلتنا نستخدم ممرضة لتجلس معها ليلا . وفى الليلة الثالثة بعد اختفاء برنتون ، لما وجدت الممرضة أن مريضتها نائمة جدا ، اغفت قليلا وهى جالسة على المقعد . وعندما استيقظت فى الصباح الباكر ، وجدت الفراش خاليا ، ولا أثر للمريضة . فأيقظونى فى الحال ، فخرجت على الفور مع الخادمين نبحث عن الفتاة الفاتية . لم يكن من الصعب معرفة الاتجاه الذى سارت فيه . فبدأنا من تحت نافذتها مقتفين آثار أقدامها فوق الحشيش الى حافة الطين حيث اختفت الآثار بجانب الممر المبلط بالحصى ، والمؤدى الى الفناء . وان عمق البحيرة فى هذه النقطة ثمانى أقدام ، وبوسعك أن تتصور مشاعرنا عندما رأينا أن آثار أقدام الفتاة المخبولة المسكينة ، قد انتهت عند حافة البحيرة ، وبالطبع فتشنا البحيرة على الفور وبدأنا العمل لاستعادة بقايا الجثة ولكننا لم نستطع العثور على أى أثر للجثة ، إلا أننا أخرجنا الى السطح شيئا ما كنا نتوقع وجوده هناك على الإطلاق . وجدنا كيسا من القماش بداخله

كتلة من المعدن صدئة وعديمة اللون ، وعدة قطع من الحصى أو الزجاج الباهت اللون . وهذا الشيء الغريب هو كل ما إمكننا العثور عليه من الطين . وعلى الرغم من قيامنا بالامس ، بالبحث في كل موضع ممكن ، وبسؤال كل من إمكننا سؤاله ، فإننا لم نعرف مصير رانشيل هويل ولا ريتشارد برنتون . هذا وإن بوليس المقاطعة حائر تماما . لذا جئت اليك ، يامستر هولز ، كآخر ملجأ . »

« يمكنك أن تتصور لهفتي ، ياواطسون ، وأنا أصفى الى تسلسل الاحداث الغريبة هذه . وحاولت ربط كل حادث منها بالآخر ، وإيجاد خط سير يمكن أن يقودنا الى شيء . »

« اختفى السفرجى ، واختفت الخادمة . . احبت الخادمة السفرجى ، ولكن نشأ بعد ذلك سبب جعلها تمقته . كان يجرى في عروقها دم أهل ويلز العصبيين والسريعى الانفعال . . ثارت بعنف بعد اختفائه مباشرة . والقت في البحيرة كيسا يحتوى على بعض الاشياء الغريبة كل هذه عوامل يجب أن ينظر اليها بعين الاعتبار . ومع ذلك ، فما من عامل منها يصل الى لب الموضوع . ما هى نقطة الابتداء فى سلسلة الاحداث هذه ؟ وهنا نهاية هذا الخط الشائك . » قلت : « يجب أن أرى ، يامسجريف ، تلك الورقة التى ظن خادمتك السفرجى أنها جديرة بدراسته لها ، والمخاطرة بوظيفته من أجلها . »

قال : « ان ترائنا هذا عمل لا معنى له ، ولكن ، على الأقل ، له قيمته كتراث للأسرة يجب الاحتفاظ به . ولدى هنا نسخة من هذا التراث ، وهو عبارة عن قائمة من الاسئلة والاجابات عليها ، ربما يروق لك أن تلقى عليها نظرة . »

« ناولنى مسجريف هذه الورقة الغريبة ، التى معى هنا الان ، ياواطسون ، وهى الاثار القديمة والتراث العتيق ، الذى يجب على كل شخص ينحدر من أسرة مسجريف أن يدرسه بامعان عندما تؤول اليه ممتلكات العائلة . ساقرا لك الاسئلة واجوبتها كما هى بالضبط : -

« ملك من هى ؟

« ملك من ذهب .

« من سينالها ؟

« من سيأتى .

« ماذا كان الشهر ؟

« السادس من البداية .

« أين كانت الشمس ؟
« فوق أشجار البلوط
« أين كان الظل ؟
تحت أشجار الدردار .
« كيف قيسست ؟
« شمالا بعشرة وبعشرة ، وشرقا بخمسة وبخمسة وجنوبا
بأثنين وبأثنين ، وغربا بواحد وواحد . وهكذا أسفل .
« ماذا ندفع فيه ؟
« كل ما نملك .
« لماذا ندفعه ؟
« من أجل خاطر الثقة .
وقد أبدى مسجريف ملاحظته قائلا : « لا تحمل النسخة
الأصلية أى تاريخ ، ولكنه فى هجاء القرن السابع عشر . ومع ذلك ،
فأنى أخشى أن تكون قليلة العون فى حل هذا اللغز . »
قلت : « انها ، على الأقل ، تعطينا لفزا آخر أكثر امتاعا من
اللفز الاول . وقد يكون حل أحد اللغزين مفتاحا لحل اللغز الآخر .
وأرجو أن تعذرنى يامسجريف ان قلت ان خادمك السفرجى هذا
يبدو لى رجلا بالغ المهارة وذا بصيرة اوضح من بصيرة عشرة أجيال
من سادته . »
قال مسجريف : « قلما أستطيع متابعتك ، فلا تبدو لهذه
الورقة أية أهمية عملية . »
« ولكنها تبدو لى عملية جدا ، ويخيل الى أن برنتون كانت له
نفس النظرة . من المحتمل أنه رأى تلك الورقة قبل الليلة التى
أمسكته فيها . »
« هذا ممكن جدا . لم نعمل أى احتياطات لاختفائها . »
« الامر ببساطة ، انه أراد ، كما يخيل الى ، أن يراجع النظرة
الآخيرة فى ذاكرته ، فى تلك الليلة . كان معه ، كما أفهم ، نوع من
الخرائط أو الرسوم وأخذ يقارنها بذلك المخطوط ، فدسسه فى
جيبه عندما بافته . »
« هذا صحيح . ولكن ماذا بوسنعه ان يفعل بهذا التراث العتيق
لاسرتنا ، وما معنى هذه الخزعبلات غير المفهومة ؟ »
قلت : « لا أعتقد اننا سنجد صعوبة كبيرة فى معرفة ذلك .
ومن بعد اذنك . نستقل اول قطار الى سسيكس ، ونتعمق أكثر ، »

في هذه المسألة على الطبيعة . »

« بعد ظهر ذلك اليوم نفسه ، كنا كلانا ، في هيرلستون . من المحتمل أنك رأيت صوراً وقرأت أوصافاً لذلك المبنى العتيق الشهير ، لذا سأحصر كلامي على أنه مبنى على شكل الحرف ، ل ، تمثل الذراع الطويلة فيه المبنى الحديث ، أما الذراع القصيرة فتمثل النواة العتيقة لهذا القصر ، وهي التي نشأ منها الجزء الحديث . وقد نقش التاريخ ١٦٠٧ في وسط الباب ذي الزخرف العلوي الثقيل . غير أن الخبراء اتفقوا أن الكتل الخشبية والحوائط المبنية بالحجارة ، من تاريخ أقدم من هذا التاريخ بكثير . وبسبب الحوائط البالغة السمك والنوافذ الصغيرة جداً ، قامت الأسرة في القرن الماضي ببناء الجناح الجديد . ويستعمل القسم العتيق الآن كمخازن وأقبية ، في حالة استعماله ، وأحياناً كان يترك بغير استعمال . ويحيط بالبيت متنزه جميل ذو أعمال خشبية دقيقة . أما البحيرة التي أشار إليها زبوني فتقع بجوار الطريق ، على مسافة مائتي ياردة من هذا المبنى .

« كنت مقتنعاً تماماً ، من قبل ، يا واطسون ، أنه لا توجد هنا ثلاثة ألغاز منفصلة ، بل لفز واحد . وإذا ما قرأت تراث أسرة مسجريف قراءة صحيحة ، أمسكت في يدي المفتاح الذي سيقودني إلى الحقيقة فيما يختص بكل من السفرجي برنتون والخادمة راشيل هويل . فركزت كل نشاطي في فهم ذلك التراث . لماذا تلهف ذلك الخادم إلى معرفة كنه تلك الصيغة ؟ من الجلي أنه تلهف لأنه رأى فيها شيئاً فات كل تلك الأجيال من النبلاء الريفيين ، كمسا توقع الحصول منها على منفعة شخصية . ماذا كان ذلك التراث ، وكيف أثر في مصيره ؟

« ظهر لي بوضوح ، من قراءة هذا التراث ، أن تلك المقاسات لابد أن تصل إلى بقعة بعينها تتعلق بها بقية ماجاء بهذا التراث . فإذا استطعنا معرفة هذه البقعة صرنا في مركز يوصلنا إلى معرفة السر ، الذي وجد مسجريف العجوز أن من الضروري وضعه في مثل هذه الصورة الغريبة . . هناك دليلان يمكننا الابتداء بهما : شجرة بلوط ، وشجرة دردار . أما شجرة البلوط فلا جدال فيها البتة ، لأنها أمام البيت مباشرة ، وعلى الجانب الأيسر من الطريق ، وسط أشجار البلوط . أنها من أجمل وأروع الأشجار التي رأيتها في حياتي .

فقلت ونحن نمر الى جانبها بالعربة : « هل كانت هذه الشجرة موجودة عندما خطط تراثكم ؟ »
قال : « كانت هناك أيام الغزو النورماندى ويبلغ محيطها ثلاثة وعشرين قدما . »

« اذن ، فقد تأكد موضع احدى النقطتين الثابتتين . »
قلت : « هل عندكم أشجار دردار قديمة ؟ »
« كانت هناك شجرة عتيقة جدا ، غير أن صاعقة أحرقتها منذ عشر سنين ، فقطعنا ماتبقى من جذوعها . »
« أيمكنك معرفة مكانها ؟ »

« نعم ، بكل تأكيد . »
« هل هناك أشجار دردار أخرى ؟ »
« لا أشجار دردار قديمة ، لكن عندنا كثيرا من أشجار الزان . »

« أريد أن أرى أين كانت . »
« كنا راكبين عربة بعجلتين ، فقادنى إليها مضيفى ، فى الحال ، قبل أن نذهب الى البيت . رأيت آثار شجرة وسط الحشيش حيث كانت شجرة الدردار ، وكانت فى منتصف المسافة ، تقريبا ، بين شجرة البلوط والبيت . ويبدو أن تحقيقى يتقدم . »
فقلت : « أظن من المستحيل معرفة ارتفاع شجرة الدردار . »
قال : « يمكننى أن أذكره لك من فورى . كان ارتفاعها أربعا وستين قدما . »

فقلت مدهوشا : « وكيف عرفته ؟ »
« اعتاد مدرسى العجوز أن يعطينى تمرينات فى حساب المثلثات تلزمنى بقياس الارتفاعات . فعندما كنت صبيا ، قست ارتفاع كل شجرة وكل مبنى فى ضيقتنا . »
« هذه نقطة حظ لم أكن أتوقعها . فان المعلومات التى أحتاج إليها تصلنى بسرعة أكثر مما أتوقع . »
قلت : « أخبرنى ، ألم يسألك برنتون ، فى يوم ما ، هذا السؤال ؟ »

نظر الى ريجينالد مسجريف مدهوشا ، وقال : « انك تذكرنى الان بهذا الشيء . فمئذ بضعة أشهر ، سألتنى عن ارتفاع تلك الشجرة ، اذ حدث جدال بسيط بينه وبين الساينس . »
« كان هذا خبرا رائعا ، ياواطسون . اذ أوضح لى اننى أسير

في الطريق الصحيح . فنظرت الى الشمس فكانت منخفضة في السماء ، فقدرت أنها في أقل من ساعة ستكون فوق أعلى أغصان شجرة البلوط العتيقة . وبدا أمكن تحقيق شرط من الشروط التي تضمنتها قائمة التراث . وأن ظل شجرة الدردار يجب أن يعني الطرف البعيد للظل ، والا فلماذا اختير الجدع لأن يكون مرشدنا ؟ كان على في ذلك الوقت أن أجد موضع نهاية الظل عندما تظهر الشمس من شجرة البلوط . «

« لا بد أن كانت هذه عملية صعبة ياهولز لاسيما وأن شجرة الدردار ليست هناك . »

« على الأقل ، كنت أعلم أنه طالما استطاع برنتون معرفة ذلك ، فمن المؤكد أنني سأعرفه أنا أيضا . وعلى أية حال ، لم تكن هناك أية صعوبة . . فذهبت مع مسجريف الى حجرة مكتبه وقطعت لنفسى وتدا من الخشب ، ربطت فيه قطعة طويلة من الدوبارة ، جعلت بها عقدة عند كل ياردة وأخذت قصبة صيد سمك طولها ست أقدام بالضبط ، ورجعت مع زبونى الى الموضع الذى كانت فيه شجرة الدردار . وكانت الشمس تكاد تلمس قمة شجرة البلوط . فثبتت القصبة من طرفها وحددت اتجاه الظل ، وقسته فكان تسع أقدام . « وبالطبع صار القياس سهلا . فإذا كان عود طوله ست أقدام يحدث ظل طوله تسع أقدام فإن شجرة ارتفاعها أربع وستون قدما تحدث ظل طوله ست وتسعون قدما في نفس الاتجاه . فقيست المسافة التي بلغت حائط البيت تقريبا حيث غرست وتدا في تلك النقطة التي تحدد نهاية الظل . ويمكنك أن تتخيل فرحى ، ياواطسون ، عندما أبصرت انخفاضا في الأرض على مسافة بوصتين من وتدى ، فعرفت أن هذه هي العلامة التي وضعها برنتون عندما قاس المسافة ، وأنى مازلت أجد حذوه .

« أخذت أخطو من نقطة الابتداء هذه بعد أن حددت الجهات الأصلية ببوصلة أحملها دائما في جيبى ف عشر خطوات لكل قدم الى الشمال أخذتني الى اتجاه مواز لحائط البيت ، فعينت هذه النقطة بوتد ، ثم خطوات بعناية خمس خطوات الى الشرق ، واثنتين الى الجنوب فصرت عند عتبة الباب القديم نفسها . وتقدمت خطوتين غربا لأصل الى الممر المبلط بالحجارة . أذن ، فهذا هو المكان الذى حدده التراث .

« لم أشعر في حياتى بمثل قشعريرة الاخفاق هذه ، ياواطسون .

فلمدة لحظة بدا لي أن هناك خطأ في حساباتي . سقطت أشعة الشمس القارية على أرض الممر تماما ، وامكنتني أن أرى الحجارة الرمادية العتيقة البالية بفعل الاقدام . كانت ملتحمة معا تماما ، وبالطبع لم تحرك لعدة سنين طوال . لم يعمل برنتون هنا . فطرقت الأرض فأحدثت رنينا بطولها كله . ولم يكن هناك أى علامة لشرح أو شق . غير أنه ، لحسن الحظ ، أخرج مسجريف الذي بدا يقدر معنى عملي ، والذي كان وقتئذ متحمسا مثلي ، أخرج المخطوط من جيبه ليراجع حساباتي .

صاح مسجريف يقول : « لقد نسيت عبارة » وهكذا أسفل . »
« ظننت أننا يجب أن نحفر ، ولكنني عرفت لتوى أنني أخطأت فهم معناها ، فصحت أقول : « إذا فهناك بدروم تحت هذا المكان . »
« نعم ، يوجد بدروم قديم قدم البيت أسفل هذا الممر نصل اليه بهذا الباب . »

« هبطنا سلما حجريا حلزونيا ، واشعل رفيقي عود ثقاب أوقد به فانوسا كان فوق ناجود في الركن . وفي لحظة ، اتضح لنا أننا أمام المكان الحقيقي ، وأنا لم تكن الوحيدين اللذين زارا هذا المكان حديثا .

« استعمل هذا البدروم لتخزين الاخشاب ، ولكن الاوراق المهمة التي ألقيت هناك متناثرة على أرض البدروم ، ازيحت جانبا وكومت لتترك موضعا في الوسط حيث وجدنا غطاء ضخما من الحجر بوسطه حلقة حديدية صدئة ربطت فيها كوفية راع .

« صاح زبونى يقول : « أقسم بجوف على أن هذه كوفية برنتون . رأيتها عليه مرارا . ماذا كان يفعل هنا ذلك الوغد ؟ »

« وتبعنا لاقتراحي ، استدعى اثنان من بوليس المقاطعة ليحضرا معنا . وعندئذ حاولت رفع الغطاء بالكوفية ، ولكنى لم أستطع سوى زحزحته قليلا ، فساعدنى أحد الكونستابلين ، ورفعنا الغطاء أخيرا ، ووضعناه جانبا . فاذا بجب مظلم تحته ، نظرنا فيه جميعنا بينما ركع مسجريف بجانبه وادلى الفانوس الى أسفل الجب .

« كان ذلك الجب عبارة عن حجرة صغيرة عمقها حوالى سبع اقدام ، مربعة الشكل طول ضلعها أربع اقدام ، في أحد جوانبها صندوق خشبي مصفح بالنحاس الأصفر ، وقد فتح غطاؤه ذو المفصلات ، وبه هذا المفتاح العتيق الطراز بارزا من القفل . ويحيط بالصندوق من الخارج طبقة من التراب والطين ، وقد أكل السوس

الخشب حتى نما بداخله بعض الاشنة . وجدنا على قاع الصندوق عدة اقراص معدنية متناثرة - من الحلى انها تقود قديمة - تشبه الاقراص التى معى هنا . لكن الصندوق لم يحو شيئا آخر .

« الى تلك اللحظة ، لم تكن لدينا فكرة عن ذلك الصندوق العتيق ، اذ تسمرت عيوننا على الهيكل القابع الى جانبه . كان جسم رجل يرتدى حلة سوداء ، وقد جثا على ركبتيه وجبهته داخل الصندوق ، وذراعا على جانبي الصندوق . سمحت هذه الوضعة كل الدم الراكد الى وجهه . وما كان لاي فرد ان يتعرف عليه بملامحه التى فى لون الكبد ، الا من طوله وثيابه وشعره التى كانت كافية ، عندما رفعت الجثة خارجا ، لكى يعرف مسجريف انها جثة السفرجى الغائب كان ميتا منذ بضعة ايام ، ولكن لم يكن به اى خروج او كدمات لتبين كيف لقي حتفه الفظيع . وبعد ان نقلت الجثة من البدروم ، كنا لانزال نواجه مشكلة لا تقل فظاعة عن هذه .

« اعترف ، ياواطسون ، باننى الى هذا الحد ، اعتبر نفسى قد اخفقت فى التحقيق . كنت اعتمد على حل المسألة بمجرد ان اكتشفت الموضع المبين فى التراث . لكنى مازلت جاهلا ماكانت الاسرة تخفيه بمثل هذا الاحتياط البارع . صحيح اننى القيت ضوءا على مصر برنتون . ولكن يجب ان ابين كيف لقي هذا المصير الشنيع ، واى دور لعبته تلك المرأة ، التى اختفت ، فى هذا الموضوع . فجلست على ناجود فى الركن وفكرت فى الامر كله بامعان .

« وانك لتعرف طرقي فى مثل هذه القضايا ، ياواطسون . اضع نفسى فى مكان ذلك الرجل ، واتخذ لنفسى مبلغ ذكائه ، واحاول ان اتخيل كيف كنت اتصرف فى مثل تلك الظروف . بسط برنتون الامور بذكائه الممتاز . فلم تكن هناك حاجة الى فرض اى فروض للمعادلة الشخصية كما تكونها الفلكيون . عرف برنتون ان الفطشاء الحجرى ثقيل فلا يقدر على رفعه شخص واحد بمفرده . لم يستطع الحصول على مساعدة من الخارج ، حتى ولو كان هناك شخص يثق فيه ، دون فتح الابواب والتعرض لخطر اكتشاف امره . اذن ، فلو استطاع الحصول على هذه المساعدة من شخص داخل البيت . ولكن ممن يطلب هذه المساعدة ؟ كانت تلك الفتاة راشيل هويل مخلصة له . وان الرجل ليجد دائما انه من الصعب عليه ادراك انه خسر محبة امرأة مهما يكن قد أساء معاملتها . . فليحاول اصلاح ذات البين مع راشيل هويل ، بقليل من المداعبة ، ثم يستخدمها شريكة له . فيأتيان

معا اثناء الليل الى البدروم ، وتكفى قوتاهما المتحدتان لرفع ذلك الفطاء الثقيل . والى هنا يمكننى أن أتابع أفعالها كما لو كنت قد رأيتها فعلا .

« ولكن رفع ذلك الحجر كان ثقيلا عليهما ، واحدهما رجل والاخرى امرأة . فماذا يفعلان لكى يتمكننا من انجاز ذلك العمل ؟ وماذا كنت افعل انا نفسى ؟ فنهضت من مقعدى وأخذت افتش جيدا فى ذلك المكان خلف الاوراق المهمة المبعثرة على الارض . وفى الحال ، عثرت على ضالتي المنشودة قطعة من الخشب طولها حوالى ثلاث اقدام وفى أحد اطرافها تسنين بسيط ، بينما ضغطت عدة قطع على الجوانب وعلقت بها كما التحمت بها بقوة . ومن الجلى انهم عندما سحبوا الحجر الى أعلى ، وضعوا بعض الشظايا الخشبية فى الشق حتى صارت الفتحة كبيرة لكى يزحف خلالها شخص ، ثم حافظوا على بقائها مفتوحة بقطعة من الخشب وضعوها بالطول ، فضغط عليها الفطاء الحجري فأحدث بها تسنينا عند الطرف السفلى . والى هذا الحد ، كان تخيلي صحيحا أيضا .

« والان ، كيف يتسنى لى أن أبدا فى تصور هذه الدراما التى حدثت وقائعها فى منتصف الليل ؟ ومن الجلى أن شخصا واحدا هو الذى نزل من الفتحة الى الجب ، وهو برنتون ، ولا بد أن الفتاة بقيت خارج الفتحة . بعد ذلك فتح برنتون الصندوق ، ومن المعقول أنه أعطاها محتويات الصندوق ، إذ لم نجد به تلك المحتويات - ثم - ماذا حدث ؟

« أية نار انتقام متأججة تلك التى اشتعلت فجأة فى نفس تلك المرأة الكلتية السريعة الانفعال عندما أبصرت الرجل الذى داس على كرامتها وظلمها - وربما ظلمها بأكثر مما نعلم - فى قواها ؟ أم هسل قطعة الخشب انكسرت صدفة فوق الفطاء فى مكانه وحبس برنتون داخل الجب الذى صار قبره ؟ هل هى مذنبه بعدم اعلان مصيره ؟ أم هل ضربة من يدها هى التى أزاحت الخشبة فأرسلت الفطاء هابطا الى مكانه ؟ ليكن ما كان ، فأننى لأزال اتصور صورة تلك المرأة ممسكة بكنوزها وتجرى بجنون صاعدة السلم الحلزونى والصرخات المكتومة تدوى فى أذنيها ، وكذلك صوت طرق اليدين على الفطاء الحجري الذى خنق حبيبها قلفظ روحه .

« هذا هو السر فى وجهها الممتقع وأعصابها المضطربة ونوبات ضحكاتها الهستيرية فى الصباح التالى ولكن ماذا كان فى الصندوق ؟

وماذا فعلت به ؟ بالطبع ، لابد ان كانت به قطعة من المعدن العتيقة ،
والحصي الذي اخرجته زبونى من الطين . رمت كل ذلك فى البحيرة ،
فى اول فرصة ، لتزيل آخر اثر لجريمتها .

« جلست لا اتحرك مدة عشرين دقيقة ، وأنا افكر فى الامر .
ومازال مسجريف واقفا بوجهه شاحب جدا ، يهز فانوسه وينظر
الى اسفل داخل ذلك الجب .

« امسك مسجريف بعض الاقراص التى كانت فى الصندوق ،
وقال : « هذه هى العملة التى سكها تشارلز الاول ، وبذا ترى اننا كنا
على حق فى تحديد تاريخ التراث ! »

« طرأ على بالى معنى محتمل للسؤالين الاولين من ذلك التراث ،
فقلت : « قد نجد شيئا آخر لتشارلز الاول . ارنى محتويات الكيس
الذى اخرجته من الطين . »

« صعدنا الى حجرة مكتب مسجريف ، فوضع امامى تلك
الانتقاض التى كانت بالكيس . وكان بوسعى ان افهم السبب فى انه
اعتبرها عديمة الاهمية عندما نظر اليها اذ كان المعدن اسود اللون
تقريبا ، والاحجار عديمة البريق ومعتمة . ولكن عندما دلت احداها
فى كفى تألفت فى تجويف يدي المظلم كأنها شرارة . وكانت قطعة المعدن
على هيئة حلقة مزدوجة ، ولكنها التوت وتغير شكلها .

قلت : « يجب ان تضع فى ذهنك ان الحفل الملكى الذى اقيم
فى انجلترا بعد موت الملك وهرب الموجودون بعده مباشرة ، ربما دفنوا
كثيرا من اشياهم الثمينة مدفونة فى مكان ما بهدف العودة لاختها
وقت السلم . »

فقال صديقى : « كان سلفى السير رالف مسجريف فارسا
شهيرا ، وكان اليد اليمنى للملك تشارلز الثانى فى تجوالاته . »
قلت : « احقيقى هذا ! اذن ، اعتقد ان هذا يمدنا بآخر
حلقة كنا بحاجة اليها . والان ، لابد ان اهنئك على امتلاكك لاثار
بالغة القيمة الحقيقية ، وذات قيمة اعظم كعاديات تاريخية ، ولو
ان هذا حدث بمأساة . »

فقال مدهوشا : « وما هى اذا هذه الاثار ؟ »

« انها ليست اقل من تاج ملوك انجلترا القديم . »

« التاج ! »

« بالضبط . تمنع فيما يقوله التراث : « ملك من هذا ؟
ملك من ذهب . كان هذا بعد اعدام الملك تشارلز . ومن سينالها ؟ »

من سيأتي . وهذا هو تشارلز الثاني ، الذي تنبىء بمجيئه . واعتقد انه لاشك في أن هذا التاج المحطم والمعوج قد أحاط ، فيما مضى ، بجباه ملوك انجلترا . «

« وكيف جاء الى البركة ؟ »

« هذا سؤال تحتاج الاجابة عليه الى وقت طويل .. وبهذا حررت قائمة بسلسلة الادلة والنتائج الكثيرة التي كونتها . وجاء الشفق ، وأخذ القمر ينير متألقا في السماء قبل أن تنتهى روايتى . « فقال مسجريف : « اذن ، فكيف حدث أن تشارلز لم يحصل على تاجه عندما رجع ؟ » ثم وضع هذه البقايا في الكيس .

« هانتدا تضع اصبعك على النقطة الوحيدة التي ربما لا نستطيع توضيحها اطلاقا . من المعقول أن يكون مسجريف ، المحتفظ بالسر ، قد مات في تلك المدة ، ثم ترك هذا المرشد لخلفه دون أن يفسر له معناه . ومنذ ذلك اليوم الى الآن ، يسلم الاب هذا المرشد لابنه ، حتى وقع أخيرا في يد رجل كشف سره وفقد حياته في هذه المغامرة . «

« هذه هي قصة « تراث مسجريف » ، يا واطسون . ولدى أسرة مسجريف التاج ، الآن ، في هيرلستون ، ولو أن هناك اشكالا قانونيا ، وسيدفع مبلغ ضخيم قبل السماح لهم باستعادة هذا التاج . وأنا على يقين من أنك اذا ذكرت لهم اسمى ، فسيصرهم أن يطلعوك عليه ..

« أما عن تلك المرأة فلم يسمع شيء ، ومن المحتمل أنها غادرت انجلترا ، حاملة نفسها وذكرى جريمتها الى بلد ما فيما وراء البحار . «

قضية ريجيت

حدثت وقائع هذه القضية قبل ان يشفى صديقى شرلوك هولمز ، تماما ، من الاجهاد البالغ فى ربيع سنة ١٨٨٧ فان قضية شركة سومطرة بالاراضى المنخفضة ، والخطط الضخمة للبارون موبرويس ، مازالت عالقة بأذهان الجمهور ، وتتصل من قرب بالشئون السياسية والمالية . وبدأ كانت موضوعا ملائما لمجموعة القصص هذه . ورغم هذا ، فقد أدت بطريق غير مباشر الى مسألة فريدة ومعقدة هيأت لصديقى فرصة عرض قيمة سلاح جديد من بين الاسلحة الكثيرة التى شن بها معركته ضد الجريمة طوال حياته .

بالرجوع الى مذكراتى ، وجدت اننى فى الرابع عشر من ابريل تلقيت برقية من ليون تقول ان هولمز راقد فى السرير مريضا بفندق دبلونج . ولم تمض اربع وعشرون ساعة حتى كنت فى حجرته بالفندق . واطمأنت نفسى عندما علمت انه ليس فى اعراض مرضه ما يندر بالخطر . الا ان بنيتة الحديدية قد تداعت تحت ضغط التحقيق الذى امتد الى أكثر من شهرين عمل خلالها ما لا يقل عن ١٥ ساعة فى اليوم . وفى أكثر من مرة استمر يعمل لمدة خمسة ايام متواصلة ليلا ونهارا ، كما اكد لى . ولكن انتصاره فى عمله لم ينقذه من رد فعل ذلك الاجهاد الفظيع . وبينما كانت أوروبا تدوى باسمه ، وحجرته مملوءة الى نصفها ببرقيات التهنية ، وجدته فريسة لأسوأ انهيار عصبى . وحتى علمه بأنه نجح حيث أخفق البوليس فى ثلاث دول ، وأنه تغلب على أعظم نصاب مثقف فى أوروبا ، حتى ذلك العلم لم يكن كافيا ليوقظه من ذلك الانهيار .

بعد ذلك بثلاثة ايام كنا معا ثانية فى شارع بيكر . ولكن كان من الجلى ان صحة زميلى ستتحسن ان قضى فترة ما فى جو غير جو لندن . كما ان فكرة قضاء اسبوع فى الريف وقت فصل الربيع ، ستكون ذات فائدة لى انا شخصيا . فان صديقى الكولونيل هايتز الذى اشرفت على علاجه فى أفغانستان ، قد اشترى بيتا قرب ريجيت

بمقاطعة صرى . وكثيرا ما وجه الى الدعوة لزيارته في ذلك البيت .
وذكر في آخر دعوة منه انه يسره جدا ان اصحب معى صديقى شرلوك
هولز في زيارتي له . احتاج الامر الى قليل من الدبلوماسية . غير انه
لما علم هولز بان صديقى اعزب وانه ستكون له مطلق الحرية هناك ،
وافق على خطتى . وبعد اسبوع من عودتنا من ليون ، كنا تحت سقف
بيت الكولونيل في ريجيت . وكان هايتز هذا جنديا مسننا لطيف
المعشر شاهد الكثير في الدنيا . وسرعان ما وجد ، كما كنت اتوقع ،
ان بينه وبين هولز كثيرا من الصفات المشتركة .

جلسنا مساء يوم ذهابنا ، في حجرة أسلحة الكولونيل ، وقد
تمدد هولز على أريكة ، بينما أنا وهايتز نتفرج على مجموعة أسلحته .
فقال هايتز فجأة ، على فكرة ، يادكتور واطسون سأخذ معى
أحد هذه المسدسات الى الدور العلوى فربما استدعى الامر استعماله
في حالة الخطر .

قلت : « خطر ! »

« نعم ، وقع حادث سرقة روع المنطقة كلها أخيرا ، اذ دخل
الصوص بيت المستر اکتون المعجوز ، أحد قضاة مقاطعتنا ، يوم
الاثنين الماضى . ورغم عدم حدوث خسائر كبيرة ، فان اللصوص
مازالوا طليقين . »

أدار هولز عينه نحو الكولونيل ، وقال : « اما من قرينة او
دليل ؟ »

« لا شيء حتى الان . ولكن المسألة تافهة . انها احدى الجرائم
الصغيرة التى تبدو تافهة جدا فلا تستحق انتباهك ، يا مستر هولز ،
بعد تلك القضية الدولية العظمى . »

لم يهتم هولز بهذا الاطراء ، ولو ان ثغره افتر عن ابتسامة
عبوت عن سروره .

« هل صاحبت السرقة ظاهرة هامة ؟ »

« كلا . وإنما فتش اللصوص المكتبة ولم يسرقوا الا القليل جدا
نظير مجهودهم الكبير ذاك . قلبوا المكتبة كلها رأسا على عقب . فتحوا
الادراج وألقوا محتويات الخزانات على الارض ، فكان كل ما سرقوه
هو نسخة قديمة من « هوميروس » من تأليف البابا وشمعدانين
مظليين بالفضة ، وثقل خطايا تسمى العاج ، وبارومتر صغير من
خشب البلوط ، وكرة دوبارة . »

قلت مستغربا : « يالها من تشكيلة غريبة ! »

« من الواضح جدا أن اللصوص أخذوا كل ما استطاعت أيديهم أن تقع عليه . »

تمتم هولمز ببضع كلمات وهو مستلق على الأريكة .
قال : « يجب على بوليس المقاطعة أن يستنتج شيئا من هذا .. من الجلى أن ... »

لكنى رفعت أصبعى محذرا .
« أنت هنا للراحة ، يازميلي العزيز ، اكراما للسيماء . لا تبدأ بمسألة جديدة ، ومازالت أعصابك محطمة . »
هز هولمز كتفيه ، ونظر الى الكولونيل نظرة اذعان .. وتحول مجرى الحديث الى موضوعات أقل خطرا .

ومع ذلك ، فقد قدر لكل جهودي واحتياطاتي المهنية أن تضيق هباء . ففي الصباح التالي فرضت المسألة نفسها علينا بطريقة لم نستطع معها تجاهلها واتخذت زيارتنا الريفية طابعا لم يتوقعه- أى واحد منا . فبينما نحن نتناول طعام الافطار ، اذ بسفرجى الكولونيل يندفع داخلا وهو يرتجف هلعا .

قال وهو يلهث : « هل سمعت الخبر الجديد ياسيدى ؟ عن اسرة كنجهام ؟ »
قال الكولونيل ، وفنجان القهوة بيده في الهواء : « سرقة ؟ »
« قتل ! »

صفر الكولونيل ، وقال : « بحق جوف ! من الذى قتل ، اذن ؟ أهو القاضى أم ابنه ؟ »
« لا هذا ، ولا ذاك ، ياسيدى . انه وليم سائق عربتهما . اطلقت عليه رصاصة أصابت قلبه ، فلم يتكلم بعد ذلك . »
« من أطلق عليه الرصاص ؟ »

« اللص ، ياسيدى ، وهرب كالبحم ، اختفى تماما . دخل من نافذة البهو ، فانقض عليه وليم ، فلقى حتفه ، حفاظا على املاك سيده . »

« متى ؟ »
« فى الليلة الماضية ، ياسيدى ، فى حوالى الساعة الثانية عشرة مساء . »

فقال الكولونيل بيرود وهو يجلس لاكمال طعام افطاره :
« سينذهب الى هناك حالا . » وعندما انصرف السفرجى ، استأنف الكولونيل كلامه يقول : « ياله من عمل شنيع ! انه خادم القاضى

العجوز كتنجها ، وهو شخص بالغ الادب ، سيحزن عليه القاضى
حزنا عميقا ، اذ كان فى خدمته منذ عدة سنوات ، وكان أمينا . ومن
الجلّى أن القاتل هو نفس اللص الذى سرق بيت اكترون . «
وقال هولمز وهو يفكر : « وسرق تلك المجموعة الفريدة ؟ »
« بالضبط . »

« باللعجب ! سستمخض هذه القضية عن كونها أبسط مسألة
فى الدنيا ، ولكنها على أية حال غريبة بعض الشيء ، أليس كذلك ؟
فإن عصابة من اللصوص تعمل فى مقسطة ، لابد أن تغير مسرح
عملياتها ، فلا تقوم بعمليتين فى نفس المنطقة فى خلال بضعة أيام .
فعندما تكلمت عن الاحتياط فى الليلة الماضية ، مر بخاطرى أنه من
المحتمل أن تكون هذه آخر أبروشية فى انجلترا كلها يهتم بها لص أو
لصوص . وهذا يعنى اننى سأعلم الكثير فيما بعد . »
فقال الكولونيل : « يخيل الى أن هذا عمل شخص من المنطقة
نفسها . وفى هذه الحال ، يكون بيت اكترون وبيت كتنجها هما
الاماكن التى يقصدها السارق ، لانهما اضعف مبنين فى هذه
الجهة . »

« وأغناها ؟ »

« نعم ، يجب أن يكونا كذلك ، ولكن توجد بينهما قضية منذ
عدة سنوات ، امتصت دم كليهما ، على ما أظن . يطالب اكترون العجوز
بملكيتة لنصف مزرعة كتنجها ، وظل المحامون يعملون فى تلك القضية
بكل ما أوتوا من جهد . »

فقال هولمز وهو يتشاءب : « اذا كان اللص أحد الاوغاد المحليين ،
فلن تكون هناك صعوبة فى القبض عليه . حسنا ، يا واطسون ، لا أنوى
أن أتدخل . »

فتح السفرجى الباب وقال : « المفتش فورستر ، ياسيدى .
ومفتش البوليس هذا ، رجل صغير السن ، أتيق الهندام حاد
الوجه ، قال وهو يدخل الحجرة : « صباح الخير يا كولونيل هايتز .
آمل فى ألا أكون متطفلا ، ولكننا سمعنا أن المستر هولمز القاطن فى
شارع بيكر ، موجود فى ضيافتك هنا . »

أشار الكولونيل بيده نحو صديقى ، فأنحنى له المفتش
فورستر .

« فكرنا فى أنك ربما تتدخل فى هذه القضية ، يامستر
هولمز . »

فضحك هولمز وقال : « الاقدار ضدك ، يا واطسون ، كننا نتحدث عن هذا الامر قبيل أن تأتي ، أيها المفتش . ربما أمكنك أن تخبرنا ببعض التفاصيل . »

اتجه هولمز بظهره الى الخلف في مقعده بطريقته المعهودة ، فعرفت أنه لا أمل في هذه القضية .

قال المفتش : « ليس لدينا أى دليل في مسألة سرقة اكترون ، ولكن لدينا كثيرا من الادلة في هذه القضية الاخيرة ، ربما تقودنا الى شيء . ولا شك في أن اللص واحد في الحالتين . وقد رأى اللص القاتل وهو يهرب . »

« مرحى ! »

« نعم ، ياسيدى ، ولكنه هرب كالظبي بعد أن أطلق الرصاصة التى قتلت وليم كيروان المسكين . أبصره المستر كتنجهام من نافذة حجرة النوم ، كما رآه المستر اليك كتنجهام من الممر الخلفى . وكانت الساعة الثانية عشرة الا ربعا ، عندما انتشر الخبر . كان المستر كتنجهام قد أوى الى فراشه منذ لحظة بينما كان ابنه اليك يدخن غليوننا وهو لابس الروب . وقد سمع كلاهما الحوذى وليم وهو يصرخ مستغيثا . فجرى المستر اليك الى الدور الارضى ليرى ماذا حدث . وكان الباب الخلفى مفتوحا . وعندما وصل الى قاعدة السلم رأى رجلين يتصارعان معا خارج الباب ، وأطلق أحدهما رصاصة على الآخر ، فسقط هذا ميتا ، واندفع القاتل عبر الحديقة ، وقفز فوق السور النباتى . . وأطل المستر كتنجهام العجوز من نافذة حجرة نومه فأبصر القاتل يجرى ويصل الى الطريق ، ولكنه اختفى في الحال من أمام ناظريه . ووقف المستر اليك ليرى ما اذا كان بوسعه أن يسعف الرجل المحتضر ، وهكذا هرب ذلك الوغد بعيدا . وزيادة على كونه رجلا متوسط الحجم ويرتدى ملابس دكناء ، فليس لدينا أى دليل شخصى . ولكن تحرياتنا تجرى على قدم وساق ، فإذا كان ذلك اللص القاتل غريبا عن المنطقة ، فسرعان ماسنعثر عليه . »

« ووليم هذا ، ماذا كان يعمل هناك ؟ هل قال شيئا قبل

أن يموت ؟ »

« ولا كلمة . انه يعيش في كوخ مع امه . ولما كان شخصا يتفانى في خدمة سيده ، فيخيل الينا انه سار الى البيت بهدف الاطمئنان عليه . اذ بالطبع ، جعلت مسألة اكترون هذه ، كل شخص يلزم الحذر . لا بد أن السارق فتح الباب عنوة - كسر القفل - عندما باغته وليم . »

« هل قال وليم شيئا لامه قبل أن يخرج ؟ »

« أنها هجوز دردييس وصماء ، ولم نستطع الحصول منها على أية معلومات . وقد اطارَت هذه الصدمة نصف عقلها ، ولكنى أعلم أنها لم تكن فى أى وقت على شيء من الذكاء . ومع ذلك ، فهناك دليل بالغ الأهمية . انظر الى هذه ! »

أخذ المفتش قطعة ورق صغيرة ، انتزعت من دفتر مذكرات وبسطها على ركبته .

« وجدت هذه الورقة بين سبابة القتل وابهامه . يبدو أنها قطعة من ورقة اكبر . وتلاحظ أن الساعة المذكورة بها هي نفس الساعة التى لقي فيها ذلك المسكين حتفه . كما ترى أن قاتله قد يكون خطف منه بقية الورقة ، أو أنه خطف هذه القطعة من يد المقاتل . يبدو من قراءتها أنها موعد . »

أخذ هولمز قطعة الورق التى ترى هنا صورة طبق الاصل منها .

« استطرد المفتش يقول : لنفرض انها كانت موعدا ، فبالطبع تكون النظرية المعقولة ، أنه على الرغم من سمعة وليم كيروان هسلدا وشهرته بالأمانة فربما كان على اتفاق مع اللص . ربما قابله هناك ، وربما ساعده فى كسر الباب . وبعد ذلك قد يكونا اختلعا فيما بينهما . »

قال هولمز الذى كان يفحص الورقة بتركيز بالغ :
« هذا الخط ذو أهمية خارقة هناك أمور أعمق مما كنت أعتقد . » ثم وضع رأسه على يديه بينما ابتسم المفتش لذلك الاثر الذى أحدثته قضيته على أخصائى لندن الشهير .

قال هولمز فى الحال : « ملاحظتك الأخيرة فى امكان وجود تفاهم بين اللص والخادم وأن هذه الورقة قد تكون موعدا من أحدهما للآخر ، ملاحظة وليدة الذكاء البالغ ، وليست غير ممكنة . غير أن هذه الكتابة تبدأ ... »

وضع هولمز رأسه على يديه مرة أخرى ، وبقي كذلك لبضع دقائق يفكر تفكيرا عميقا . وعندما رفع رأسه ، أدهشنى أن أرى خده ملونا بالحمرة ، وعينه تتألقان كما كان قبل مرضه . ونهض واقفا على قدميه بخفته ونشاطه القديمين .

قال : « أقول لك ماذا ! أريد أن ألقى لمحة هادئة على تفاصيل هذه القضية . هناك شيء يشير تفكيرى كثيرا . فلو سمحت سأترك صديقى واطسون هنا معك ، وسأذهب مع المفتش لاختبار حقيقة

واحدة أو اثنتين من تخيلاتى الصغيرة . سأعود اليكما بعد نصف ساعة . «

مرت ساعة ونصف قبل أن يعود المفتش وحده .
قال المفتش : « المستر هولز يذرع أرض الحقل جيئة وذهابا فى الخارج ، ويريدنا نحن الاربعة أن نذهب الى البيت معا . «
« الى بيت المستر كنجهام ؟ »
« نعم ، ياسيدى . «
« لماذا ؟ »

هز المفتش كتفيه ، وقال : لا أعلم بالضبط ، يا سيدى .
وفيما بيننا ، اعتقد أن المستر هولز لم يتغلب على مرضه بعد . بدا منه مسلك غريب وهو منفعّل غاية الانفعال . «
قلت : « لا اعتقد أن هناك ما يدعو الى القلق . فقد جرت العادة على اننى أجد طريقة تفكير فى ذلك الجنون الذى يبدو عليه . «
فتمتم المفتش يقول : « قد يقول بعض الناس أن هناك جنونا فى طريقته . ولكنه متلف الى أن يبدأ تحقيقه . فمن الخير أن نلحق به اذا كنتما مستعدين . «

وجدنا هولز فى الحقل يسير ذهابا وايابا وذقنه مفروس فى صدره ، ويداه فى جيوب بنطلونه .
قال : « ما أعظم ماتزيد متعة هذه القضية ! الحقيقة ياوطسون ، ان رحلتك هذه قد نجحت نجاحا واضحا . سعدت بصباح بهيج . «
قال الكولونيل : « علمت أنك ذهبت الى مسرح الجريمة . «
« نعم ، قمت أنا والمفتش بقليل من الاستكشاف . «
« هل من نجاح ؟ »

« نعم ، رأينا بعض الاشياء الممتعة . سأخبرك ماذا فعلنا ونحن سائرون . رأينا أولا جثة ذلك الرجل المنكود الحظ . ومن المؤكد أنه مات من رصاصة كما ذكر . «
« وهل شككت فى ذلك ؟ »

« من الخير أن نفحص كل شيء ، ففحصنا أشياء كثيرة ، ولم يضع فحصنا سدى . ثم التقينا بالمستر كنجهام وابنه اللذين أمكنهما تحديد النقطة التى انطلق منها القاتل خلال الحديقة أثناء فراره . وكانت هذه بالغة الاهمية . «
« بطبيعة الحال . «

« ثم ألقينا نظرة على والدته وليم المسكين . ولم نستطع الحصول

منها على أية معلومات بسبب شيخوختها وضعفها . «
« وما نتيجة تحقيقك ؟ »

« عرفت أن الجريمة فيها الكثير من الفراية ، وربما جعلتها
زيارتنا هذه ، أقل غموضا . أظننا متفقين ، يسيادة المفتش ، على
أن قصاصة الورق التي وجدت في يد القتيل وقد كتب عليها موعد
موته بالضبط ، بالغة الأهمية . »

« هي دليل ، يامستر هولز . »

« إنها دليل بالفعل . فالشخص الذي كتب هذه المذكرة ، هو
الذي أخرج وليم كيروان من فراشه في تلك الساعة المتأخرة . ولكن ،
أين بقية هذه الورقة ؟ »

فقال المفتش : « فحصت الأرض بعناية بهدف العثور عليها ،
ولكني لم أجدها . »

« لقد انتزعت من يد القتيل وهو متشبث بها فتمزقت وبقي
جزء منها في يده . لماذا تلهف شخص ما الى الحصول عليها ؟ لأنها
ثبتت التهمة عليه . وماذا سيفعل بها ؟ المعقول أنه وضعها في جيبه
دون أن يفطن الى أن أحد أركانها بقي في يد القتيل . فلو أمكننا
الحصول على بقية هذه الورقة ، فمن الجلى اننا نكون قد قطعنا
شوطا طويلا نحو حل هذا اللغز . »

« هذا صحيح . لكن كيف نصل الى جيب القاتل قبل ان نقبض
عليه ؟ »

« حسنا ، حسنا ! هذا جدير بالتفكير . هناك نقطة واضحة
أخرى . أرسلت هذه المذكرة الى وليم ولا يمكن أن يكون الرجل الذي
كتبها قد أخذها اليه بنفسه والا كان بوسعنا أن نخبره بمضمون
الرسالة شفويا . فمن أحضر هذه المذكرة ، إذن ؟ وهل جاءت
بالبريد ؟ »

قال المفتش : « عملت تحقيقا ، فعلمت ان وليم تسلم خطابا
بالبريد بعد ظهر أمس . ولكنه مزق مظروف الخطاب . »

فصاح هولز وهو يربت على ظهر المفتش : « رائع ! هل رايت
ساعي البريد ؟ انه لما يسرنى أن أعمل معك يسيادة المفتش .
حسنا ، هاهو الكوخ ، هل تأتي معي يا كولونيل ، فأريك مسرح
الجريمة ؟ »

مررنا بالكوخ الجميل ، الذي كان القتيل يعيش فيه . وسرنا
في طريق تحف بجانيه أشجار البلوط ، ومنه الى بيت الملكة آن

القديم الجميل ، الذى يحمل تاريخ مالبلاكيه على الزخرف المثلث الشكل فوق بابه . فقادنا هولمز والمفتش حوله حتى وصلنا الى البوابة الجانبية التى يفصلها جزء من الحديقة عن سور النباتات المتسلقة المجاور للطريق وكان هناك كونستابل واقف عند باب المطبخ .

فقال هولمز : « افتح الباب ، أيها الضابط ! » « وكان المستر اليك كتنجهام واقفا على السلم فأبصر الرجلين يتصارعان فى هذا المكان الذى نحن فيه الان اما المستر كتنجهام المسن فكان واقفا الى جانب الشباك - الثانى الى اليسار - فأبصر القاتل يجرى الى يسار تلك الشجرة . وكذلك أبصره الابن . وهما ، متأكدان من ذلك فيما يختص بالشجرة . ثم خرج المستر اليك وررع بجانب الرجل المجروح . والارض صلبة ، كما ترى ، ولا آثار أقدام هناك وبينما هو يتكلم ، جاء رجلان يسيران فى ممر الحديقة ، حول زاوية البيت ، أحدهما مسن ذو وجه قوي عميق التجاعيد به عينان قويتان . اما الآخر فصغير السن ذو ملامح باسمة متألقة ، يرتدى ملابس جميلة ، على تقيض الموضوع الذى جاء بنا الى ذلك المكان . نظر هذا الشاب الى هولمز وقال : اما زلت فى هذا التحقيق ؟ ظننتكم ، أيها اللنديون ، لا تخطئون أبدا . وعلى أية حال ، يبدو انك لست سريعا . »

فقال هولمز بروح طيبة : « يجب ان تعطينا قليلا من الوقت . » قال اليك كتنجهام الصغير : « ستحتاج الى ذلك الوقت . لا أرى أى دليل لدينا على الاطلاق . »

فقال المفتش : « لدينا دليل واحد . اعتقد أننا لو وجدناه ... يالرحمة السماء ! ماذا جرى يامستر هولمز ؟ »

ففجأة صارت ملامح صديقى مخيفة : دارت عيناه الى فوق ، والتوت ملامحه من شدة الألم وأصدر آنة مكبوتة سقط فى أثرها على وجهه فوق الارض . واذا فزعنا لهول تلك المفاجأة وشدة هذه النوبة ، حملناه الى المطبخ وارقدناه فوق مقعد طويل ضخم وهو يتنفس بصعوبة ، واستمر هكذا لبضع دقائق .

« سيخبركم واطسون أننى ماكدت أشفى من مرض شديد . »
« واننى مازلت معرضا الى مثل هذه النوبات العصبية المفاجئة . »
فقال كتنجهام المعجوز : « هل أرسلك الى البيت فى عربتى ؟ »
« بما أننى هنا ، فهناك نقطة واحدة يجب أن أتأكد منها . »

ويمكننا التحقق منها بسهولة . »

« وما هي ؟ »

« يبدو أنه من الممكن أن مجيء وليم المسكين ، لم يكن قبل دخول اللص الى البيت ، وانها بعده . يبدو أننا لابد أن نأخذ قضية مسيئة ، أنه على الرغم من كسر الباب ، فإن اللص لم يدخل اطلاقا . »

فقال المستر كنجهام برزانة : « أعتقد أن هذا واضح تماما . لم يكن ابني اليك قد ذهب الى الفراش بعد ، وبالطبع كان لابد أن يسمع أي شخص يسير في البيت . »

« أين كان يجلس ؟ »

« كنت جالسا ادخن في حجرة النوم . »

« عند أية نافذة كنت ؟ »

« آخر نافذة على اليسار ، المجاورة لحجرة أبي . »

« وكان مصباحك كلاهما مضاءين بالطبع ؟ »

« بدون شك . »

فقال هولمز مبتسما : « هنا بعض نقاط طريقة اليس من الخارق أن يأتي لص - ولص ذو خبرة سابقة - ويكسر باب بيت ويدخل في وقت يرى فيه ، من الاضواء ، أن اثنين من الاسرة مازالا متيقظين ؟ »

« لابد أن كان غشيما . »

فقال المستر اليك : « بالطبع ، اذا لم تكن هذه القضية غريبة ، فما كنا نستدعيك ونطلب منك تفسيراً وأما قولك ان الرجل سرق البيت قبل أن يمسكه وليم ، فقول سخيف . اما كنا نجد المكان في فوضى وتضيع منا الاشياء التي يأخذها ؟ »

قال هولمز : « هذا يتوقف على نوع تلك الاشياء يجب أن تتذكر أننا نتعامل مع لص غريب الاطوار ، يبدو أنه يعمل بطريقة الخاصة . فمثلا ، انظر الى المجموعة الغريبة التي سرقها من بيت أكتون - ماذا كانت ؟ - كرة من الدوبارة ، وثقل خطابات ، ولا أعلم ماذا كانت الاشياء الغريبة الاخرى ! »

فقال كنجهام الاب : « حسنا ، نحن في يدك ، يامستر هولمز . أي شيء تقترحه أنت أو المفتش ، فسننفذه بكل تأكيد . »

قال هولمز : « أولا ، أريد أن تعرض مكافأة منك شخصيا ، لأن الحكومة قد تستغرق زمنا طويلا قبل أن تتفق على مبلغ المكافأة ،

وقد جرت العادة ألا تتم هذه الامور بسرعة . هالك صيغة الاعلان عنها اذا لم يكن لديك مانع من التوقيع عليها . اعتقد ان خمسين جنيهها تكفى . »

فقال القاضى كنجهام : « اقدم ، بكل سرور ، خمسمائة جنيهه . » وأخذ الورقة والقلم اللذين قدمهما له هولز ، وقال وهو ينظر الى المستند : « ولكن هذا ليس صحيحا . »
« لاننى كتبتة بسرعة . »

« ترى أنك بدأت تقول : « بما أنه في حوالى الساعة الواحدة الا ربعا حدثت محاولة الخ » بينما كانت الساعة الثانية عشرة الا ربعا . »

تأملت لذلك الخطأ ، لاننى أعرف أن هولز دقيق في مثل هذه الامور ولا يمكن أن يخطأ هكذا . من ميزاته أنه دقيق فيما يختص بالحقائق ، ولكن مرضه الاخير لابد أنه اثر فيه . فكانت هذه الحادثة الصغيرة كافية لان ترينى أنه لم يعد الى نفسه بعد . ومن الجلى أنه أخرج لحظة عندما رفع حاجبيه ، وانفجر اليك كنجهام ضاحكا . فصحح الاب الخطأ وناول هولز الورقة ثانية .

قال الاب : « انشرها بسرعة قدر الامكان . اظن فكرتك رائعة ، يامستر هولز . »

وضع هولز قطعة الورق بعناية في دفتر مذكراته ، وقال : « والان ، من الخير حقيقة أن نمر جميعا في البيت كله ، سويا ، لنتأكد من أن ذلك اللص الغريب الاطوار ، لم يحمل معه شيئا . »
قبل أن يدخل هولز ، فحص بعناية الباب الذى كسره اللص . من الجلى أن أزميلا أو سكيئا قوية ، أدخلت ، ودفع القفل الى الداخل بتلك الاداة . كان بوسعنا أن نرى العلامات في أخشاب الباب حيث أدخلت هذه الاداة .

فسأل قائلا : « اذن ، فأنتم لا تستعملون مزالينج ؟ »

« لم نجد لها ضرورة على الإطلاق . »

« هل تحتفظون بكلب ؟ »

« نعم ، ولكنه مربوط بسلسلة في الجانب الاخر من البيت . »

« متى يذهب الخدم الى الفراش ؟ »

« في حوالى الساعة العاشرة . »

« أعلم أن وليم يذهب الى الفراش في تلك الساعة ايضا . »

« نعم . »

« من الطريف أنه كان ساهرا في تلك الليلة بالذات . والآن ،
يا مستر كنجهام ، يسرنى اذا تفضلت وأريتنا البيت . »
هناك ممر مبلط بالحجارة يتفرع منه المطبخ بسلم خشبي يصل
مباشرة الى الدور الاول من البيت . ويفتح على الجانب المقابل بسلم
ثان أكثر زخرفا ، يأتي من البهو الامامى . وتفتح حجرة الاستقبال
على هذا البهو ، وكذلك عدة حجرات نوم ، تتضمن حجرة نوم المستر
كنجهام ، وحجرة نوم ابنه . وكان هولمز يمشى وتيدا وهو يلاحظ
بدقة تلك المظاهر المعمارية للبيت . وكان يوسعى أن أعرف من ملامحه
أنه وقع على دليل قوى ، ومع ذلك فلم يمكننى أن أتصور الى اية
جهة ستقوده هذه الاستدلالات .

قال المستر كنجهام فى شيء من القلق : « يا سيدى الفاضل ،
ليس هذا ضروريا بالتاكيد . هذه هى حجرتى الواقعة عند آخر
السلم والتي بعدها حجرة ابنى . واترك لحكمك وتقديرك ما اذا كان
يوسع اللص أن يصعد الى هنا دون أن يزعجنا . »
قال الابن بابتسامة خبيثة : « يجب أن تبدأ من الاول ثانية ،
وتبحث عن دليل جديد . »

قال : « لا أزال أطلب منك أن تحترمنى أكثر من ذلك . فلا بد
أن أعرف ، مثلا ، المسافة التى تسيطر بها حجرات النوم على واجهة
البيت . أفهم أن هذه حجرة نوم ابنك - وفتح الباب - « وأظن
هذه هى الحجرة التى جلس يدخن فيها حينما أطلق الانذار بالخطر
.. على أى مكان يطل شباك هذه الحجرة ؟ » ودخل حجرة النوم
وفتح الباب وألقى نظرة حول الحجرة الاخرى .
قال المستر كنجهام مختبرا : « آمل فى أن تكون قد اقتنعت
الآن ؟ »

« أشكرك . أعتقد اننى رايت كل ما رغبت فى رؤيته . »
« ثم اذا كان من الضرورى حقيقة ، فيمكننا أن ندخل حجرتى . »
« اذا لم يكن فى هذا تعب كبير لك . »
هز القاضى كتفيه وتقدم الطريق الى حجراته التى كانت مؤثثة
بأثاث بسيط ، وكانت حجرة عادية . وعندما دخلناها فى اتجاه
النافذة ، تأخر هولمز حتى صرث انا وهو آخر أفراد المجموعة . وكان
عند مؤخر السرير نضد صغير مربع عليه طبق برتقال ودورق ماء .
وعندما مررنا بجانبه ، لشد ما كانت دهشتى بالغة عندما مال هولمز
امامى وأوقع النضد عمدا بكل ما كان فوقه . . تحطم الدورق الف

قطعة وتدحرجت الفاكهة الى كل ركن من الحجرة .
فقال ببرود : « عملت هذا الآن ، وحدثت كل هذه الفوضى على
الطنفسة ! »

انحنبت في شيء من الارتباك واخذت التقط البرتقال . وقد
فهمت من ذلك أنه لأمر ما رغب زميلي في الصباق التهمة بي . كذلك
انحنى الآخرون يجمعون البرتقال ويضعونه في طبق مرة أخرى ،
وأقاموا النضد على قوائمه ثانية .

فصاح المفتش يقول : « يا للعجب ! الى أين ذهب المستر
هولمز ؟ »

اختفى هولمز .
فقال إليك كمنجهام : « انتظر هنا لحظة . في رأيي أنه ليس
في رشده . تعال معي ، يا أبي ، لنرى أين ذهب ! »
اندفع الابن وأبوه خارج الحجرة ، تاركين المفتش والكولونيل
معى وكل منا يحملق في الآخر .

قال المفتش : « أقسم بشرفي على أنني أوافق المستر إليك .
قد يكون هذا تأثير مرضه ، ولكن يبدو لي أن ... »
لم يكمل المفتش كلامه إذ سمعنا صرخة تدوى فجأة :
« اغيثوني ! اغيثوني ! جريمة قتل ! » فتعرفت على صوت صديقي ،
واندفعت ييجنون من الحجرة الى البهو . وكان الصراخ قد تحول الى
صياح مبجوح آت من الحجرة التي زرناها أولاً . فاندفعت الى داخلها
والى الحجرة التي بعدها . فأبصرت الأب وابنه منحنين فوق جسم
هولمز الطريح على الأرض ، وقد أمسك الابن بعنق هولمز بكلتا يديه ،
بينما لوى الأب معصمه . وفي لحظة هجمنا عليهما نحن الثلاثة
وأزحناهما بعيدا عنه . فترنح واقفا على قدميه شاحب اللون جدا
وبادى الانهاك .

صاح هولمز يقول : « آقبض على هذين الرجلين ، أيها المفتش ! »
« عن أية تهمة ؟ »

« تهمة قتل سائق عربتهما وليم كيروان ! »
نظر المفتش حواليه مرتبكا ، وقال : « أنا على يقين من أنك لا
تقصد هذا حقيقة ، يا مستر هولمز »
فصاح هولمز بجذبة يقول : « ويحك ، يا رجل ، انظر الى
وجهيهما ! »

بالتأكيد ، لم أر في حياتي اعترافا بالذنب باديا على الوجه

البشرى أوضح مما ظهر في وجهى هذين الرجلين .
بدا الرجل الكبير متحجرا ومذهولا ، وقد أخرس لسانه وبان
الذعر قويا في ملامح وجهه . أما الابن ، فقد ترك كل أسلوب الصلف
والعجرفة الذى تميز به ، والتوت ملامحه الجميلة . . لم يقل
المفتش شيئا بل خرج الى الباب وأطلق صفارته . فلبى نداءه اثنان
من الكونستابلات .

قال المفتش : « ليس لى الخيار ، يا مستر كنجهام اتعشم ان
يسفر هذا كله عن خطأ ، ولكنك ترى اليس كذلك ؟ اترك هذا ! »
قال ذلك وضرب يده الابن فوق على الارض مسدس كان على وشك
اطلاقه .

فقال هولمز : « احتفظ بهذا . » ووضع قدمه بسرعة على
المسدس وقال : « سنجد ذة فائدة عند المحاكمة . هذه ، فى
الحقيقة ، هى ما كنا نريدها . » ورفع فى يده قطعة صغيرة من الورق ،
مفضنة .

فصاح المفتش يقول : « بقية الورقة ! »

« بالضبط . »

« وأين كانت ؟ »

« فى الموضع الذى كنت متاكدا من ضرورة وجودها فيه . .
سأوضح لك كل شىء الآن . أعتقد ان بوسعك ان ترجع الآن ،
يا كولونيل ، أنت وواطسون وسأعود اليكما بعد ساعة على الاكثر .
يجب ان نتحدث الى المسجونين ، أنا والمفتش ، وستريانى اكيدا فى
موعد الغداء . »

كان شرلوك هولمز عند وعده ، إذ انضم اليها فى حوالى الساعة
الواحدة مساء فى حجرة تدخين الكولونيل ، بصحبة رجل مسن
قصير القامة ، قدمه اليها على انه المستر اکتون ، الذى كان منزله
مسرح السرقة الاولى .

قال هولمز : « أردت ان يكون المستر اکتون حاضرا وأنا اشرح
لكما هذه القضية ، اذ من الطبيعى ان يهتم كثيرا بالتفاصيل . أخشى ،
يا عزيزى الكولونيل ان تأسف على استضافة شخص كثير المشاكل
مثلى . »

قال الكولونيل ، بتجدية : « على العكس ، فانى اعتبر زيارتك
اعظم ميزة جعلتنى أدرس طرق عملك . وأعترف بأنها تفوق كل
ما كنت اتوقعه . كما اننى عاجز تماما عن معرفة كيفية توصلك الى

هذه النتيجة . لم أر حتى الآن وجه أى دليل . «
« أخشى أن يضللك شرحى ، ولكنى تعودت دائما ألا أخفى شيئا
من طرقي ، سواء عن صديقى واطسون أو عن أى واحد يجد فيها
متعة . ولكن ، أولا ، بما أننى أعانى من وقوعى على الأرض ومن
الاجهاد الذى أصابنى فى حجرة النوم هناك ، فأظن أننى يجب أن
أشرب كأسا من البراندى الخاص بك ، يا كولونيل اذ أنهكت قوتى
أخيرا . »

« أتعشم ألا تعانى شيئا بعد ذلك من هذه النوبات العصبية . »
ضحك شرلوك هولمز ملء فمه ، ثم قال : « سنأتى الى هذه
النقطة حينما يأتى دورها . سأسرد لكم وقائع القضية بترتيبها
الصحيح ، مبينا لكم شتى النقاط التى أرشدتني . وأرجو أن
تقاطعوننى إذا ما رأيتم استدلالا غير واضح لكم . »

« من الأهمية القصوى فى اكتشاف الجرائم ، أن يستطيع
المحقق معرفة عدد الوقائع العرضية والوقائع الحيوية ، والا صار
انتباهه مشتتا بدلا من أن يكون مركزا . وفى هذه القضية ، لم يكن
فى ذهنى أدنى شك منذ البداية فى أن مفتاح هذه القضية كلها يقع
فى قصاصة الورق التى وجدت فى يد القتيل . »

« وقبل الدخول فى هذا الموضوع ، أحب أن أوجه انتباهكم
الى انه اذا كانت رواية أليك كنجهام صحيحة ، وأن القاتل ، بعد
أن أطلق الرصاص على وليم كيروان ، هرب على الفور ، فمن المجلى
انه ليس هو الذى انتزع الورقة من يد القتيل واذا لم يكن هو الذى
انتزعها ، فلا بد أن الذى فعل ذلك هو أليك كنجهام نفسه . اذ عندما
نزل الوالد كان كثير من الخدم فى مكان الجريمة . فالواقعة هنا سهلة
جدا ، ولكن المفتش سها عنها لأنه وضع فى ذهنه أنه لا يد لأحد من
هؤلاء الوجهاء الريفيين فى الجريمة . أما أنا فلا أتعصب لأحد قطعيا ،
وأتتبع بسهولة كل واقعة قد تقودنى الى حقيقة ما . لذلك ، فمنذ
المرحلة الاولى وجدت نفسى أتساءل عن الدور الذى لعبه أليك
كنجهام . »

فحصت ركن الورقة التى أعطانيها المفتش فحصا دقيقا ،
فاتضح لى على الفور انها جزء من مستند عظيم الأهمية . ها هى ،
هل تلاحظون الآن شيئا فيها يعتر دليلا فى القضية ؟ «

فقال الكولونيل : « منظرها غير منتظم . »
فصاح هولمز يقول : « يا سيدى العزيز . ما من أقل شك فى

الدنيا ، أن الذى كتبها شخصان . كتب كل منهما كلمة وترك أخرى للآخر . »

فصاح الكولونيل يقول : « وحق جوف ! انها لواضحة وضوح النهار . لماذا يكتب رجلان مذكرة بهذه الطريقة ؟ »
« من الجلى أن الموضوع لم يكن شريفا . وكان أحدهما لا يثق بالآخر ، فأصر على أنه اذا اكتشفت الجريمة ، فلا بد أن ينال الآخر نصيبه من العقاب . والآن ، فيما يختص بالرجلين ، يتضح أن الذى كتب هو رئيس العصابة . »
« وكيف عرفت ذلك ؟ »

« يمكننا أن نستنتج هذا من مقارنة صفة أحد الخطين بصفة الخط الآخر . ولكن لدينا أسبابا أكثر تأكيدا من الافتراض . فاذا فحصت قصاصة الورق هذه بامعان ، استنتجت أن الرجل ذا الخط الأقوى كتب جميع كلماته أولا ، تاركا مسافات ليملاها الآخر . ولم تكن هذه المسافات كافية دائما . ويمكنك ملاحظة أن الرجل الثانى اضطر الى ضغط احدى الكلمات . فالرجل الذى كتب كل كلماته من قبل ، لا شك فى أنه الرأس المدبر لهذه الجريمة . »

فصاح المستر اکتون يقول : « رائع ! »

قال هولمز : « ولكن هذه مسألة سطحية ، والآن ، نأتى الى نقطة هامة . . . قد لا يكون وصل الى علمكم أن خبراء الخطوط توصلوا الى معرفة سن الرجل ، بغاية الدقة ، من خطه . ففى الأحوال العادية ، يمكن وضع الشخص فى عقده الصحيح بثقة تامة . أقول فى الأحوال العادية ، لأن اعتلال الصحة والضعف البدنى يعطيان مظهر تقدم السن ، وحتى ولو كان المريض شابا . وفى حالتنا هذه ، ينظر الى الخط الجريء القوى لأحد الرجلين ، وإلى منظر خط الآخر المتكسر الظهر ، الذى ما زال محتفظا بقوته على أن يقرأ رغم أن حرف «ت» بدأ يفقد الشرطة الأفقية . فيمكننا إذن أن نقول إن الأول رجل صغير السن والثانى متقدم فى سنوات عمره دون أن يكون عاجزا . »
فصاح المستر اکتون للمرة الثانية ، يقول : « رائع ! »

« ومع ذلك ، فهناك نقطة أخرى أكثر دهاء ، وبالفة الأهمية . هناك صفة مشتركة بين الخطين . انهما لرجلين من دم واحد . ويتجلى هذا لكم بوضوح فى الحروف الاغريقية ، أما لى ، فهناك نقط صغيرة تدل على نفس الشيء . لا شك اطلاقا فى أن هناك صفة عائلية يمكن اقتفاؤها فى عينتى الخط هاتين . أعطيك هنا النتائج المرشدة

فحسب ، لفحص تلك الورقة . هناك ثلاثة وعشرون استنتاجا تهم الخبراء أكثر مما تهمكم . وتميل كلها الى تأكيد النتائج التي توصلت اليها بأن كنجهام الأب ، وابنه هما كاتبا هذا الخطاب .

« وبعد أن وصلت الى هذه النتيجة ، كانت خطوتى التالية ، بلا شك ، هى فحص تفاصيل الجريمة والى أى مدى يمكن أن تساعدنا . ذهبت مع المفتش الى البيت حيث عاينت كل ما تجب معانيته . فقد حدث الجرح القاتل ، كما أمكننى أن أستدل فى ثقة تامة ، برصاصة مسدس أطلقت على مسافة تزيد على أربع ياردات . لم تكن هناك بقع احتراق البارود على ملابسه ، وهكذا يتضح أن اليك كنجهام كاذب حينما قال ان الرجلين كانا يتصارعان عندما أطلقت الرصاصة . ثم اتفق كل من الأب والابن على الموضع الذى هرب منه الرجل الى الشارع . والواقع ان هناك حفرة عريضة فى تلك النقطة ، مبتلة القاع . ولكن ليس بها ما يدل على آثار حذاء عند هذه الحفرة . فتأكدت ثانية من كذب هذين الرجلين ولم يكن هناك رجل غير معروف فى مكان الجريمة ، اطلاقا .

« سأناقش الآن ، الدافع على ارتكاب الجريمة الفريدة هذه . ولكى أصل الى هذا الدافع ، كان على أن أصل أولا الى سبب تلك السرقة الطريفة التى حدثت فى بيت المستر اکتون . فهمت من شيء ذكره لى الكولونيل ، أن هناك قضية قائمة بينك يا مستر اکتون ، وبين أسرة كنجهام . وبالطبع ، فكرت فى الحال فى أنهما اقتحما مكتبك بهدف الحصول على مستند ذى أهمية بالغة فى القضية . » فقال المستر اکتون : « هكذا ، بالضبط . ولا يمكن أن يكون هناك شك فى نواياهما . لى الحق فى امتلاك نصف مزرعتهما . ولو أمكنهما العثور على مستند واحد بعينه - كان لحسن الحظ فى خزانة محامى - لأحبطا القضية دون ما ريب . »

فقال هولمز مبتسما : « هكذا كان ! كانت محاولة جريئة محفوفة بالخطر . يمكننى أن أستنتج منها نفوذ ذلك الابن اليك . فلما لم يجد شيئا مما أراداه ، حاولا دفع الشبهة عنهما بجعلها تبدو سرقة عادية ، وبذا حملا كل ما وقعت عليه أيديهما . وما كنت بحاجة اليه هو حصولى على ذلك الجزء الباقى من المذكرة . كنت على يقين من أن اليك أنتزعه من يد القاتل ، ومن المؤكد تقريبا ، أنه دسه فى جيب روبه ، والا فأين يمكن أن يكون قد خبأه ؟ والسؤال الوحيد بعد ذلك هو ، هل الورقة ما زالت فى جيب الروب أم أخرجت منه ؟

كان هذا يستحق القيام بمجهود للعثور عليها . ولهذا الغرض ذهبنا جميعا الى البيت .

« انضم الينا الأب وابنه كما تعلمون خارج باب المطبخ . كان من الأهمية الأولى عدم تذكيرهما بوجود هذه الورقة ، والا اتلفاها دون ما تأخير . وكان المفتش على وشك اخبارهما بالأهمية التي نعلقها على هذه الورقة ، ولكن الحظ أتاح لى أعظم فرصة فتصنعت تغير ملامحى ، وجحوظ عيني ، كما لو كانت أصابتنى نوبة عصبية . وهكذا غيرت مجرى الحديث . »

فصاح الكولونيل ، يقول : « يا لرحمة السماء ! اتعنى ان اشفاقنا عليك ضاع سدى ، وأنها كانت مجرد تظاهر ؟ »
قلت وأنا انظر مدهوشا الى هذا الرجل الذى كان يحيرنى دائما بطور جديد من دهائه : « اذا حق لنا ان نتكلم بمصطلحات مهنية ، قلت انها تمت بروعة . »

قال : « هذا فن ينفع فى كثير من المواقف . وعندما افقت ، افلحت بطريقة تحتاج الى بعض النبوغ الى جعل كتنجهام المسن يكتب كلمة الثانية عشرة كى أقارنها بمثيلتها فى الورقة ، فتعمدت الخطأ فى ذكر الساعة الواحدة بدلا من الثانية عشرة . »

فصحت مدهوشا أقول : « كم كنت حمارا ! »

قال هولمز ضاحكا : « كان بوسعى أن الاحظ عليك أنك تنسب هذا الخطأ الى مرضى . وانى لأسف تماما على اننى سببت لك الم اشفاق على ، الذى كنت أعلم أنك شعرت به . ثم صعدنا معا الى الطابق العلوى . وبعد أن دخلت الحجرة ، ابصرت الروب معلقا خلف الباب ، فقلبت النضد بما عليه من برتقال ودورق ماء لاشغل انتباههما لحظة ، ورجعت لأفتش الجيوب . غير أنه ما كادت يدي تمسك بالورقة التى وجدتها فى أحد الجيوب ، كما كنت أتويع ، حتى انقض على الأب وابنه ، وأوشكا أن يقتلانى ، كما اعتقد ، لولا اسراعكم الى تجدى ، أيها الاصدقاء . فقبض الابن الفتى على رقبتى بكلتا يديه ، ولوى الأب معصمى بهدف الحصول على الورقة من يدي . أدركا اننى عرفت كل شيء عنهما ، فتحولا من الاطمئنان التام ، الى اليأس المطلق ، وبذا ثارت ثائرتهما وصمما على انتزاع الورقة من يدي بأى ثمن . »

« بعد القبض عليهما ، وجهت بعض الاسئلة اليهما فكان الأب طيعا سهل التناول ، أما ابنه فكان شيطانا رجيمًا ، على استعداد

لنسف رأسه أو رأس أى فرد آخر ، لو استطاع الوصول الى مسدسه . . فلما رأى الاب أن الاتهام ضده قويا ، خارت عزيمته واعترف بكل شيء . يبدو أن وليم اقتفى سرا أثر سيديه فى الليلة التى أغارا فيها على بيت المستر أكتون ، وبذا وضعهما تحت رحمته وفى قبضة يده ، وشرع يهددهما بفضح أمرهما ليبتز منهما بعض المال . ولكن المستر اليك كان رجلا خطرا . فلا يقبل أن يعامله ذلك الرجل على هذا النحو . فرائى الفرصة سانحة أمامه ، اذ ساد المنطقة كلها زعر شديد من وجود لصوص بها ، وماذا يمنعه ، والحال هذه ، من التخلص من الرجل الذى يخشاه فأخرج وليم من كوخه بحيلة بارعة ، ثم أطلق عليه الرصاص . ولو حصل على الخطاب كله ، أو فكرا فى اتلافه قبل أن يقع فى يد الفير ، لما اتجهت الشبهات نحوهما إطلاقا . «

فقلت : « والخطاب ؟ »

وضع شرلوك هولمز الورقة الموصولة أمامنا فقرأنا فيها :
« اذا أتيت الى البوابة الشرقية فى الساعة الثانية عشرة الا ربعا ، علمت ما سيكون مفاجأة كبيرة لك . وقد يكون خدمة عظيمة لك ، وكذلك للعمه موريسون . ولكن لا تقل شيئا لأحد عن هذا الموضوع . »
قال هولمز : « هذا هو نفس الشيء الذى كنت أتوقعه . وبالطبع ، لسنا نعرف حتى الآن العلاقة بين اليك كمنجهام ووليم كيروان-والعمه آنى موريسون . وتوضح النتيجة أن الطعم قد أجيد وضعه فى المصيدة بمهارة فائقة . وأعتقد ، يا واطسون ، أن فترة راحتنا الهادئة فى الريف هذه ، كانت نجاحا واضحا . . وبالتأكيد ، سأعود غدا الى شارع بيكر ، وأنا ممتلىء نشاطا وقوة . »

الرجل المشعوذ

جلست في احدى ليالى الصيف ، بعد زواجى ببضعة أشهر ، الى جانب وطيسى ادخن آخر غليون ، واقرأ رواية ، اذ كان عملى بالعيادة في ذلك اليوم مرهقا تماما . وكانت زوجتى قد صعدت من قبل الى الطابق العلوى . ودلنى صوت اقفال باب البهو على أن الخدم قد انصرفوا ليناموا . . نهضت من مجلسى انفض الرماد من غليونى ، فاذا بى اسمع فجأة رنين الجرس .

نظرت الى الساعة فكانت الثانية عشرة الا ربعا . . ليس هذا زائرا الذى يأتى في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . لا بد أنه مريض جاء ليكمل عناء اليوم ، ومن الممكن أن عينه لم تذق طعم النوم . . فذهبت بوجه متجهم وفتحت الباب ، فاذا بى أدهش لأرى شرلوك هولمز هو الواقف على عتبة الباب .

قال : « حمدا لله ، يا واطسون ! كنت آمل في الا اגיע متأخرا جدا كى أجذك . »

« أرجوك أن تدخل ، يا زميلى العزيز . »

« تبدو مدهوشا ، ولا عجب في هذا ! وقد اطمأنت نفسك أيضا على ما يبدو لى ! ويحك الا تزال تدخن خليط الاركاديا ، الذى كنت تدخنه وأنت أعزب ! هذا اكيد ، يفضحه الرماد العالق بسترتك والمنتفخ بصورة ملحوظة . ومن السهل معرفة أنك تعودت ان تلبس حلة كاملة في بيتك ، يا واطسون . كما أنك لن تصير مدنيا أصيلا طالما تتمسك بعادة الاحتفاظ بمنديك داخل كحك . . هل بوسعك أن تستضيفنى في هذه الليلة ؟ »

« بكل سرور ، وعلى الرحب والسعة ! »

« أخبرتنى بأن لديك حجرة لشخص أعزب ، وأرى عدم وجود زائر رجل هنا في الوقت الحاضر ، فان حامل قبعاتك يدل على ذلك . »

« سيبهجنى جدا ، ان بقيت . »

« شكرا . سأملأ مشجبا شاغرا في حامل قبعاتك . آسفا لأرى
أن عاملا بريطانيا كان يعمل عندك اليوم . أنه دليل الشر . واتعشم
الا يكون عامل المجارى . »
« أنه عامل الغاز . »

« لقد ترك أثري مسمار من خدائه على مشمع أرض بيتك حيث
يقع الضوء على المشمع . . لا ، وشكرا . تناولت العشاء في ووترلو ،
ولكنى سأدخل معك غليوننا بكل سرور . »

ناولته كيس التبغ ، فجلس قبالتى ، ودخل لبعض الوقت وهو
صامت . . وكنت أعلم تماما أنه ما من شيء يأتى به الى بيتى فى مثل
ذلك الوقت سوى عمل هام ، لذا انتظرت فى صبر حتى يفتح لى
الموضوع بنفسه .

قال وهو ينظر الى بامعان : « كنت مجهدا فى عمل العيادة
اليوم ؟ »

« نعم . كنت مشغولا طول اليوم ، ولكنى لست أدري كيف
استنتجت هذا ؟ »

فهقه هولمز فى نفسه .

قال : « لى ميزة معرفة عاداتك ، يا واطسون : اذا كان عملك
خفيفا فانك تمشى ، أما اذا كان كثيرا مرهقا فانك تركب عربة . وانى
لأرى خدائك غير قدر رغم استعماله ، فلم أشك فى أنك كنت مشغولا
ولذلك استخدمت عربة . »

صحت أقول : « أنت رائع ، يا هولمز ! »

قال : « هذه أمور مبدئية . هذا أحد الأمثلة التى يستطيع فيها
المدلل احداث تأثير يبدو رائعا فى نفس جاره ، الآن هذا الجار لا يعرف
النقطة التى هى أساس الاستنتاج . ويمكن أن يقال نفس الشيء ،
يازميلى العزيز ، عن بعض الامور القيمة التى تتوقف قيمتها على
بعض عوامل القضية التى فى يدك ، والتى لم تنقل الى القارىء . .
والآن ، أنا فى مركز هؤلاء القراء ، لاننى أمسك فى يدي هذه عدة
خيوط لقضية من أغرب القضايا التى حيرت عقل الانسان ، ولكن
ينقصنى خيط أو اثنان لاكمال نظريتي ، ولكنى سأحصل عليهما ،
يا واطسون . سأحصل عليهما ! » قال هذا وتألقت عيناه ، واحمرت
وجنتاه الرفيعتان . ولمدة لحظة ، انقشع القناع من فوق طبيعته
الحادة ، ولكن لمدة لحظة واحدة فحسب . فلما نظرت اليه ثانية ،

وجدت وجهه قد استعاد لونه الهندي الاحمر ، الذى جعل الكثيرين يعتبرونه آله أكثر منه رجلا .

قال : « تنطوى هذه المسألة على مظاهر ممتعة ، ويمكننى القول بأنها مظاهر استثنائية بالغة المتعة . فكرت فى هذا الموضوع من قبل ووصلت ، على ما أعتقد ، الى ما يكاد يكون هو الحل . فاذا أمكنك أن ترافقنى فى هذه الخطوة الأخيرة ، كنت ذا فائدة كبيرة لى . »
« يسرنى هذا . »

« أبوسعك أن تذهب معى غدا الى الدرشوط ؟ »

« لا شك فى أن جاكسون يستطيع فحص مرضاى . »
« حسنا جدا . أريد الذهاب بقطار الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق من ووترلو . »

« فى هذا متسع من الوقت لى . »

« ثم اذا لم يكن النوم يداعب عينيك ، فسأعطيك مجملا لما حدث وما بقى لنعمله . »

« غالبنى النعاس قبل مجيئك ، اما الآن فأنا يقظان تماما . »
« سأختصر القصة قدر الامكان دون أن أترك أى شيء هام فى القضية . ومن الممكن أن تكون قرأت شيئا عنها . انها قضية الاعتداء على الكولونيل باركلى وقتله . وهو من فرقة مالوز الملكية فى الدرشوط . وهى القضية التى أقوم بالتحقيق فيها . »
« لم أسمع عنها شيئا . »

« لم تثر هذه القضية انتباه الكثيرين حتى الآن ، باستثناء جمهور منطقة وقوعها . حدثت وقائعها منذ يومين فقط ، وهى باختصار :

« تعلم أن فرقة مالوز الملكية ، هى أشهر فرقة ايرلندية فى الجيش البريطانى ، اذ فعلت العجائب فى حرب شبه جزيرة القرم ، وقمع المتمردين . وشهرت نفسها فى كل فرصة ممكنة منذ ذلك الوقت . كان يقودها جيمس باركلى حتى ليلة الاثنين . وهو من قدامى المحاربين الشجعان . . بدأ حياته العسكرية كجندى بسيط ، ورقى لبطولته أيام حرب المتمردين . وهكذا عاش ليقود الفرقة التى كان فيها نفرا يحمل بندقية ، فى وقت ما .

« تزوج الكولونيل باركلى أيام أن كان رقيباً (جاويز) ، من فتاة اسمها قبل الزواج نانسى ديفوى . وهى ابنة الرقيب حامل العلم بنفس الفرقة . لذا كان بينهما بعض الاتصال الاجتماعى

البسيط ، كما يمكن أن يتصور المرء . . وعندما كان هذان الزوجان صغيرين (اذ مازالا صغيرين) وجدا نفسيهما في بيئة جديدة . ويبدو أنهما تأقلا بسرعة . وكما أعلم ، اشتهرت مسز باركلي بين سيدات الفرقة مثلما كان زوجها بين زملائه الضباط . كما يمكنني أن أضيف على قولي هذا ، أنها كانت على قدر عظيم من الجمال . . ورغم أنها تزوجت منذ أكثر من ثلاثين عاما ، فإنها مازالت فاتنة جاذبة المنظر .

« يبدو أن حياة الكولونيل باركلي العائلية كانت سعيدة تسير في نظام رتيب . وقد أكد لي الماجور مورفي ، الذي أدين له بمعظم هذه الحقائق ، أنه لم يسمع قط عن حدوث سوء تفاهم بين هذين الزوجين . وعلى العموم ، يعتقد أن اخلاص باركلي لزوجته أكثر من اخلاصها له . فاذا تصادف أن غاب باركلي بعيدا عن زوجته لمدة يوم واحد ، قلق أشد القلق . أما هي ، من ناحية أخرى ، فرغم وفاتها وأمانتها ، كانت أقل حبا لزوجها من حب زوجها لها . ولكنهما يعتبران ، في الفرقة ، نموذجا للزوجين المتوسطي العمر . ولم يكن في علاقتهما المتبادلة شيء على الاطلاق يمكن أن يؤدي الي وقوع تلك الجريمة التي سأروى لك قصتها .

« يبدو أن للكولونيل باركلي بعض نزعات شاذة في أخلاقه . ففي حالته العادية ، تراه جنديا مرحا جريئا . الا أنه كانت هناك حالات يبدى نفسه فيها قادرا على كثير من العنف والحقد وحب الانتقام . ومع ذلك ، يبدو أن هذا الجانب من حياته لم يتجه نحو زوجته اطلاقا . حقيقة أخرى استرعت انتباه الماجور مورفي وثلاثة أخماس الضباط الآخرين الذين تحدثت معهم ، وهي أنه كانت تعتريه أحيانا حالة من الاكتئاب . وعندما عبر الماجور عن ذلك ، كثيرا ما كانت ترتسم على فمه ابتسامة كما لو كانت تحركها يد غير مرئية ، حينما ينضم الي مائدة حفل مرح في مطعم الثكنات . وأحيانا كانت تلازمه نوبة من الاكتئاب لعدة أيام متصلة ، فيبدو في أعماق حالات الحزن . وهذه ، وبعض الخرافات الأخرى ، هي كل مافي أخلاقه من نزعات غير عادية لاحظها أخوانه الضباط . والخرافة التي سادت لديه ، هي أنه كان يخاف البقاء وحده في أي مكان ، ولا سيما بعد هبوط الظلام . وهذه ظاهرة نتج عنها كثير من التقول والتخمينات ، اذ كانت في رجل يتصف بالجرأة والشجاعة .

« بقي الفيلق الاول من فرقة المالوز الملكية (الذي هو الفيلق

المائة والسابع عشر) في الدرشوط لعدة سنين . وقيم الضباط المتزوجون خارج الثكنات . فأقام الكولونيل باركلي طوال هذه المدة في فيللا اسمها « لاشين » ، تبعد عن المعسكر الشمالى بحوالى ميل ونصف الميل . . يقوم ذلك البيت في قطعة ارض خاصة به ، ولكن الجانب الغربى منه لايبعد عن الطريق العام بأكثر من ثلاثين ياردة . وتتألف هيئة الخدم من : سائق عربية وخادمتين . وهؤلاء ، مع سيدهم وسيدتهم ، هم كل سكان لاشين اذ لم ينبج الباركليان أطفالا ، كما لم يكن من عادتهما أن يزورهما من يقيم معهما . « وقعت الاحداث الاخيرة في لاشين ، فيما بين الساعة التاسعة والعاشرة من مساء يوم الاثنين الماضى .

« يبدو أن مسز باركلي كانت عضوا في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وكانت مولعة بالخدمة في جمعية القديس جورج التابعة لكنيسة شارع واط ، بهدف امداد الفقراء بالملابس المستعملة . وعقد اجتماع لهذه الجمعية في ذلك المساء في الساعة الثامنة . ولكى تحضر مسز باركلي ذلك الاجتماع ، أسرعتنا تناول عشاها مبكرا . وحينما غادرت البيت ، سمعها سائق العربية وهى تتحدث الى زوجها في بعض الامور العادية وتؤكد له انها ستعود بعد فترة قصيرة . ثم نادى مس موريسون الشابة التى تقيم في الفيلا التالية لبيتها ، فذهبت الاثنتان معا لحضور ذلك الاجتماع الذى استغرق أربعين دقيقة عادت بعده مسز باركلي الى بيتها في الساعة التاسعة والرابع بعد أن تركت مس موريسون عند باب بيتها وهى تمر أمامه .

« هناك في فيللا لاشين حجرة تستعمل كحجرة صباحية ، تقع في مواجهة الطريق ، ولها باب زجاجى ضخم ذو أربعة مصاريع ، يفتح على الارض العشوشية البالغ عرضها ثلاثين ياردة ، ولا يفصلها عن الطريق العام سوى حائط منخفض بأعلاه جلق من الحديد . فلما رجعت مسز باركلي الى بيتها ، ذهبت الى هذه الحجرة . ولم يكن الشيش مقفلا اذ قلما تستعمل هذه الحجرة في المساء ، ولكن مسز باركلي نفسها أوقدت المصباح ثم دقت الجرس وطلبت من خادمتها جين ستيوارت أن تأتيها بقدر من الشاي ، على غير عادتها . وكان الكولونيل جالسا في حجرة المائدة . ولكنه لما سمع بعودة زوجته ، ذهب اليها في الحجرة الصباحية . وقد أبصره سائق العربية وهو يعبر البهو ويدخل تلك الحجرة . غير أنه لم ير بعد ذلك حيا مرة أخرى . جاءت الخادمة بالشاي المطلوب بعد عشر دقائق ، ولكنها عندما

تقدمت من الباب أدهشها أن تسمع سيدها وسيدتها في نزاع حاد . فطرقت الباب دون أن تسمع ردا ، فأدارت مقبض الباب ولا مجيب . كان الباب مقفلا من الداخل . وبطبيعة الحال جرت الى داخل البيت لتخبر الطاهية . فجاء سائق العربية والمرأتان الى البهو ، ووقفوا يصفون الى العراك الذي كان لايزال دائرا . واتفقوا جميعا على أن هناك صوتين ليس غير : صوت باركلي وصوت زوجته . كانت أقوال باركلي منخفضة ومتقطعة لذا لم يسمع المتصنتون منها شيئا . أما صوت السيدة فكان مريرا ، وعندما رفعتهم أمكنهم أن يسمعوا بوضوح ، قولها : « أنت يا جبان ! » وكررت هذه العبارة مرات ومرات . « ماذا يمكن عمله الآن ؟ أعد الى حياتي . لن أستشيق نفس الهواء الذي تستنشقه أنت مرة أخرى ! أيها الجبان ! أيها الجبان ! » كانت هذه بعض عبارات حديثها ، وانتهت بصرخة فجائية مدوية من صوت الرجل ، وصوت ارتطام جسم بالارض ، تعقبه مباشرة صرخة حادة من المرأة . واذ اقتنع المتصنتون بحدوث فاجعة ، هجموا على الباب بكل ثقلهم يحاولون كسره ، بينما انطلقت صرخة اثر صرخة من الداخل . ورغم كل هذا ، عجز سائق العربية على الدخول من ذلك الباب ، وذعرت الخادمتان فلم يمكنهما مساعدته . وأخيرا ، طرأت على باله فكرة جاءت فجأة . فجرى خلال باب البهو وحول الارض المعشوشبة التي تطل عليها النوافذ الواسعة . وكان أحد جوانب الشباك مفتوحا ، الامر الذي كما افهم ، كان عاريا في وقت الصيف ، فمر منه السائق بدون عناء الى داخل الحجرة . . . وجد سيدته قد كفت عن الصراخ وهي ممددة فاقدة الوعي فوق أريكة ، بينما كان الجندي العاثر الحظ راقدًا على فوتيل ، وقدماه مائلتان على جانب الفوتيل ، ورأسه على الارض قرب المتكأ ، ميتا كالحجر ، في بركة من دمائه .

« وبطبيعة الحال ، كان أول ما فكر فيه السائق بعد أن رأى أنه لا يستطيع عمل شيء لسيده ، هو أن يفتح الباب . ولكن حالت دون هذا صعوبة واحدة ، وهي أن المفتاح لم يكن في الباب من الداخل ، ولم يمكنه العثور عليه في أية ناحية من نواحي الحجرة ، لذا خرج من النافذة ثانية ، وحصل على مساعدة أحد رجال الشرطة وطبيب ، ثم رجع الى الحجرة . فنقلت المرأة التي تحوم حولها أقوى الشبهات الى ججرتها فاقدة الوعي . ثم وضع جثمان الكولونيل على الاريقة ، وفحص مسرح المأساة فحصا دقيقا .

« والاصابة التى عانى منها الضابط ، كانت قطعاً غير منتظم . طوله حوالى بوصتين فى ظهر رأسه ، ويبدو أنه تسبب عن ضربة عنيفة من آلة غير حادة . ولم يكن من الصعب التخمين بنوع تلك الآلة . فعلى الارض بجانب الجثة هراوة من الخشب الثقيل المنقوش ذات مقبض من العظم . وكان الكولونيل يمتلك مجموعة من الاسلحة جاء بها من دول مختلفة حارب فيها ، ورجح البوليس أن تكون هذه الهراوة من بين تلك المجموعة . وانكر الخدم رؤيتها قبل ذلك . ولكن بما أن بالمنزل عددا كبيرا من أمثال هذه التحفة ، فمن الممكن أن ينساها الخدم ، أو أنه فاتهم رؤيتها وسط ذلك العدد الكبير . . لم يكتشف أى شئ مهم بعد ذلك ، سوى حقيقة واحدة وهى أن المفتاح ليس مع مسز باركلى ولا مع القليل ولا فى أية ناحية أخرى بالحجرة . وعلى ذلك جئ بحداد من الدرشوط ، فتح الباب .

« هكذا كانت الامور ، ياواطسون . فذهبت فى صباح يوم الثلاثاء الى الدرشوط بناء على طلب الماجور مورفى لاكمال جهود البوليس . واعتقد أنك ستعترف بأن هذه القضية ممتعة . ولكن سرعان ما جعلتنى ملاحظاتي أدرك أنها كانت ، فى الحقيقة ، أكثر غرابة مما تبدو لأول وهلة .

« قبل أن أفحص الحجرة ، استجوبت الخدم ، ولكنى لم أحصل منهم على أكثر من الحقائق التى ذكرتها لك . وتذكرت الخادمة جين ستيوارت موضوعاً آخر . تذكرت أنه حينما سمعت هذه الخادمة صوت العراك ، عادت وأحضرت معها الطاهية والسائق . ولكنها عندما جاءت وحدها أولاً كان صوت سيدها وسيدتها منخفضاً لدرجة أنها كادت ألا تسمع شيئاً وحكمت من واقع نغمة الصوت أكثر من الكلمات التى لم تكن واضحة ، أنهما وقعا . . ولما شددت عليها الخناق تذكرت أنها سمعت كلمة واحدة هى دافيد ، قالتها سيدتها مرتين . وهذه النقطة بالغة الأهمية لتقودنا الى سبب ذلك النزاع الجنونى . وانك لتتذكر أن اسم الكولونيل هو جيمس وليس دافيد .

« هناك نقطة واحدة فى هذه القضية انطبعت فى نفوس كل من الخدم والبوليس ، وهى التواء وجه الكولونيل . فقد تحول الى ذلك الشكل الملتوى الذى ثبت حسب روايتهم أنه أشد الملامح افزاعاً ، يمكن أن يتخذه الجسم البشرى . فأغنى على أكثر من شخص عند رؤية ذلك المنظر المفزع . ومن المؤكد أنه لقي حتفه مقمداً ، إذ سبب

له افزع أنواع الدعر . وهذه اتفقت تماما مع نظرية البوليس ، اذ كان الكولونيل قد رأى زوجته تنقض عليه بهجوم قاتل . كذلك الجرح الذى فى ظهر رأسه اذ يجوز أنه اُدار رأسه بعيدا ليتفادى الضربة . ولم يمكن الحصول على أية معلومات من السيدة نفسها التى أصيبت بجنون مؤقت من هجوم الحمى المخية الحاد .

« علمت من البوليس أن مس موريسون ، التى كما تتذكر ، خرجت مع مسز باركلي فى تلك الليلة ، أنكرت معرفتها لىء شىء سبب غضب رفيقتها وهى عائدة .

« واذ جمعت هذه المعلومات ، ياواطسون ، دخت عدة غلايين وأنا أفكر فيها محاولا فصل الأدلة البالغة الأهمية ، عن المعلومات العرضية . ولا جدال فى أن النقطة الأكثر وضوحا وإيحاء هى اختفاء المفتاح ، ولم يمكن العثور عليه رغم التفتيش الدقيق للحجرة . اذن ، فلا بد أنه أخذ من الحجرة . ولكن لم يأخذه الكولونيل ولا زوجته ، وهذا واضح تمام الوضوح وعلى ذلك فلا بد أن شخصا ثالثا قد دخل الحجرة . وهذا الشخص الثالث لم يدخل الا من النافذة . فبدا لى أن فحص الحجرة والارض العشوشية قد يظهر بعض آثار لذلك الشخص الغريب ، وانك لتعرف قوة ملاحظتى وطرق استنتاجى ، ياواطسون . لم اترك أية نظرية فى علم الفراسة الخاص بى ، الا استخدمتها فى تحقيقى . فانهى الامر باكتشاف بعض الآثار ، ولكنها تختلف عما كنت أتوقعه . كان بالحجرة رجل سار فوق الحشيش آتيا من الطريق . أمكننى العثور على خمسة آثار أقدام واضحة له اثر واحد فى الطريق نفسه عند نقطة تسلقه الحائط المنخفض ، واثنين على الحشيش ، واثنين ضعيفين جدا على الألواح المبقعة قرب النافذة حيث دخل . ومن الجلى أنه أسرع فوق الارض العشوشية اذ كانت آثار أصابع قدميه أعمق من آثار عقبه . ولم يكن ذلك الرجل هو الذى أدهشنى ، وانما الذى أدهشنى هو رفيقه . »

« رفيقه ؟ »

أخرج هولمز من جيبه فرخا كبيرا من الورق الماص ، ونشره بعناية فوق ركبتيه ، وسألنى :

« ماذا تستنتج من هذا ؟ »

كان الورق مغطى بآثار أقدام حيوان صغير — خمسة آثار واضحة لبطن قدم الحيوان ، ودليل على أظافر طويلة . والاثار كله فى حجم ملعقة الحلوى .

قلت : « انه كلب . »

« هل سبق أن سمعت عن كلب يتسلق سستارة حتى قرب نهايتها ؟ وجدت آثار أقدام واضحة لهذا الحيوان على الستارة . »
« اذن ، فهل هو قرد ؟ »

« هذه ليست آثار أقدام قرد . »

« اذا ، فماذا يمكن أن يكون ؟ »

« ليس كلبا ولا قردا ، ولا أى مخلوق مألوف لنا . حاولت معرفته بالمقاسات . هاهى أربعة آثار له حيث وقف لا يتحرك . ترى أن المسافة بين القدم الامامية والخلفية لا تقل عن ١٥ بوصة ، أضف الى ذلك طول الرأس والرقبة ، فترى أن طوله لا يقل عن قدمين - وربما كان أكثر من ذلك لو أن له ذيلا . أما الان ، فلاحظ هذه المقاسات الأخرى . تحرك ذلك الحيوان ، ولدينا طول خطوته . ففي كل حالة كان طول تلك الخطوة ثلاث بوصات ، وهذا يدل على جسم طويل مع أرجل قصيرة جدا . ولم يترك وراءه أى شعر ، ولكن شكله هو ما ذكرته لك . ويستطيع أن يجرى الى أعلى الستارة في سهولة ، وهو آكل لحوم . »

« وكيف استنتجت هذا ؟ »

« لأنه تسلق الى قمة الستارة حيث يوجد قفص مصصفور كناريا معلق بوسط الشباك ، ويبدو أن غرضه كان الوصول الى ذلك العصفور . »

« اذا ، فماذا كان ذلك الحيوان ؟ »

« لو أمكننى أن أعطيه اسما لقطعت شوطا بعيدا نحو حل القضية . وعلى العموم ، ربما كان مخلوقا من فصيلة العرسة - رغم أنه أطول من أية عرسة شاهدتها . »
« وما شأنه بالجريمة ؟ »

« لا يزال هذا مبهما أيضا . ولكننا علمنا الكثير ، كما ترى : عرفنا أن رجلا كان واقفا في الطريق يشاهد العراك بين الكولونيل باركلي وزوجته - وكان الشيش مرفوعا والحجرة مضاعة ، كما نعرف أنه قفز فوق الحائط المنخفض وجرى فوق الحشيش ودخل الحجرة بصحبة ذلك الحيوان الغريب ، وأنه ضرب الكولونيل ، أو أن الكولونيل سقط على الأرض لمجرد رؤيته ، فجرح رأسه على ركن المتكا . وأخيرا عرفنا الحقيقة الغريبة ، وهى أن ذلك الدخيل أخذ المفتاح معه عندما غادر الحجرة . »

« يبدو أن اكتشافاتك أضفت غموضا على الموضوع أكثر مما كان عليه من قبل . »

« بالضبط . لاشك في أنها أوضحت أن المسألة أعمق مما خمن في أول الامر . فكرت فيها بامعان ، فاستنتجت أنني يجب أن اتناولها من ناحية أخرى . ولكنني ، في الحقيقة ، جعلتك تسهر أكثر مما يجب ، يا واطسون ، وبوسعي أن أخبرك بكل شيء ونحن في طريقنا غدا إلى الدرشوط . »

« شكرا ، ولكنك قطعت شوطا بعيدا ، فلا يمكنك أن تتوقف عنده . »

« من المؤكد جدا أن مسز باركلي غادرت البيت في الساعة السابعة والنصف مساء ، وكانت على وفاق مع زوجها . وعلى ما اعتقد ، كانت لا تتظاهر كثيرا بحبها لزوجها . وقد سمعها سائق العرببة ، تتحدث مع الكولونيل بطريقة ودية . كما أنه من المؤكد أنها بمجرد عودتها مباشرة ، ذهبت إلى تلك الحجرة التي لا ينتظر أن تقابل زوجها فيها ، وطلبت قدحا من الشاي كما تفعل المرأة الثائرة . وأخيرا عندما جاء إليها ، أخذت تكيل له الشتائم بعنف . إذن ، فلا بد أن شيئا ما حدث بين الساعة السابعة والنصف ، والساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم ، غير مشاعرها نحوه . ولكن مس موريسون كانت معها طيلة هذه الساعة والنصف . هذا أكيد تماما . وعلى ذلك ، فرغم انكارها ، فإنها لابد أن تعلم شيئا عن هذا الامر . »

« كان أول تخمين لي هو أنه من الممكن أن تكون قد حدثت علاقات بين تلك المرأة الشابة والجندي المسن ، اعترف بها الضابط لزوجته . وهذا هو سبب العودة في غضب ، وانكار الفتاة أن شيئا حدث . ولكن هذا لا يتفق إطلاقا مع معظم الالفاظ التي سمعت ، فضلا عن وجود إشارة إلى دافيد . ثم إن هناك حب الكولونيل لزوجته في مقابل تدخل الرجل الآخر ، الذي قد تكون له علاقة بما حدث . وليس من السهل تتبع كل خطوات أي إنسان . ولكنني ، على العموم ، أميل إلى عدم التفكير في حصول أي شيء بين الكولونيل ومس موريسون ، بيد أنني مقتنع أكثر من كل مرة بأن الفتاة تملك مفتاح ما جعل مسز باركلي تكره زوجها . وعلى ذلك عولت على أن أسلك الطريق الواضح فأقابل مس موريسون وأفهمها بأنني متأكد تماما من معرفتها للحقائق ، وأؤكد لها بأن صديقتها مسسز

باركلى قد تجد نفسها فى موقف الحكم عليها بالاعدام ، اذ لم تتضح الامور .

« مس موريسون فتاة هوائية ذات عينين حيتين وشعر اشقر . غير اننى وجدتها على شىء كثير من الدهاء والدكاء . فجلست تفكر لبعض الوقت بعد ان كلمتها ، ثم استدارت نحوى بعزيمة ثابتة ، واعترفت بما سألخصه لك . »

قالت : « وعدت صديقتى بالا ابوح بشىء عن ذلك الموضوع ، والوعد وعد . ولكن ، طالما كان بوسعى مساعدتها فى الخروج من تهمة عظمى وقد أقفل المرض فمها ، فاننى أجده نفسى فى حل من ذلك الوعد ، وسأخبرك بما حدث بالضبط فى مساء يوم الاثنين . »

« ونحن عائدتان من اجتماع شارع وات فى حوالى الساعة التاسعة الا ربعا ، كان علينا أن نمر فى طريقنا بشارع هدرسون الهادىء ، ولم يكن به سوى مصباح واحد على الجانب الايسر . وعندما اقتربنا من ذلك المصباح ، رايت رجلا مقبلا نحونا وظهره محنى جدا ، وقد علق على احدى كتفيه شيئا كالصندوق ، ويبدو هو نفسه مشوها اذ يحنى رأسه ويسير وركبته مثنيتان . ولما مرونا بجانبه رفع وجهه لينظر الينا فى دائرة ضوء المصباح ، ثم وقف وصاح بصوت مفرع : « رياه ! انها نانسى ! » فامتقع لون مسز باركلى حتى صارت بلون الموتى واوشكت تقع على الارض ، لولا أن ذلك المخلوق المفرع المنظر أمسك بها . فأردت أن أستدعى البوليس ، ولكن لشد ما كانت دهشتى عندما تحدثت اليه فى ادب ورفق . »

قالت بصوت متهدج : « ظننتك مت ، طوال هذه الثلاثين سنة ، يا هنرى . »

قال : « كذلك كنت . » وكان من المخيف حقا أن تسمع النغمة التى قال بها ذلك . فوجهه قاتم جدا ومرعب وفى عينيه بريق يراودنى فى أحلامى . وشعره شعر عوارضه قصير أشيب ، ووجهه ملىء بالتجاعيد ومغضن كأنه تفاحة ذابلة .

فقالت مسز باركلى : « سرى قليلا يا عزيزتى فانا أريد أن أقول كلمة لهذا الرجل . لا خوف من شىء . » وحاولت أن تتكلم بجرأة ، ولكنها ما زالت شاحبة الوجه جدا ، وقلمما تستطيع النطق بالفاظها من خلال شفثيها المرتجفتين .

« فعلت كما طلبت منى ، وتحدثا معا لبضع دقائق ثم جاءت

تسير في الطريق والشرر يتطاير من عينيها . وأبصرت ذلك الوغد الكسيح واقفا الى جانب عمود المصباح ويهز قبضتيه المقلتين في الهواء ، كما لو كان مجنونا نائرا . . لم تنطق مسز باركلي بكلمة واحدة حتى صرنا عند الباب هنا ، فأمسكتني من يدي وتوسلت الى الا أخبر أحدا بما حدث ، ثم قالت : « انه أحد أصدقائي القدامى أناخت عليه الدنيا بكلاكلها . » فلما وعدتها ألا أقول شيئا ، ولم أرها منذ ذلك الوقت . . هأنذا أخبرتك الآن بالموضوع كله لأنني لم أدرك ، من قبل ، مبلغ الخطر المحدق بصديقتي العزيزة . وقد عرفت الآن أن من صالحها أن يظهر كل شيء . »

« ها هي أقوالها ، يا واطسون ، وكانت بالنسبة لي ، كما يمكن أن تتخيل ، نورا ساطعا في ليلة ظلماء . فكل ما كان مفككا من قبل ، يبدأ يتخذ مكانه الحقيقي الآن ، وكان عندي هاجس مبهم عن تسلسل تلك الاحداث . . أما خطوتي التالية ، فهي بالطبع البحث عن الرجل الذي أضفى ذلك الطابع على مسز باركلي . فاذا كان لا يزال في الدرشوط ، فلن نجد صعوبة في العثور عليه . ليس في ذلك المطرح كثير من المدنيين ، ولا بد أن يستلفت أي رجل مشوه انظار الاهلين جميعا . قضيت يوما أبحث عنه ، وفي المساء - هذا المساء نفسه ، يا واطسون - عثرت عليه . اسمه هنري وود ، ويقيم بالمساكن الشعبية في نفس ذلك الشارع الذي قابل فيه المرأتين . له خمسة أيام فحسب في ذلك المكان . واذا اتخذت شخصية وكيل تسجيلات ، تحدثت حديثا ممتعا مع صاحبة بيته . مهنته مشعوذ وممثل ، يدور على المقاصف بعد أن يخيم الظلام على الكون ، فيعرض على الناس ما يسليهم ويرفه عنهم . ويحمل ، في صندوق ، حيوانا لا تعرف نوعه صاحبة البيت ، لأنها لم تر ، من قبل ، حيوانا مثله . أنه يستخدم ذلك الحيوان في بعض ألعابه ، تبعا لروايتها . هذا هو ما استطاعت أن تخبرني به تلك السيدة ، كما أخبرتني بأنه من العجب أن يعيش ذلك الرجل ، رغم كل تشوه جسمه ، وأنه يتكلم أحيانا بلغة غريبة . وفي الليلتين الماضيتين ، سمعته يشن ويبكي في حجرة نومه . كان ميسور الحال فيما يختص بالمادة ، ولكنه أعطاها ضمن نقود التأمين قطعة نقود تبدو مثل فلورين مزيف ، وأطلعني عليها ، يا واطسون ، فكانت روية هندية .

« والآن ، يا صديقي العزيز ، ترى مركزنا ، ولماذا أريدك

معى . من الواضح جدا ، انه بعد أن افترقت المرأتان ، تبعهما ذلك الرجل من مسافة ما ، فلما رأى العراك بين الزوج والزوجة ، من خلال النافذة ، اندفع الى داخل الحجرة واطلق الحيوان الذى فى الصندوق . هذا أكيد جدا . ولكنه الشخص الوحيد فى هذه الدنيا ، الذى يستطيع اخبارنا بكل ما حدث فى تلك الحجرة ، بالضبط . »

« وهل تنوى سؤاله ؟ »

« بكل تأكيد - ولكن فى حضور شاهد . »

« وأنا الشاهد ؟ »

« اذا تفضلت بأن تكون لطيفا الى هذا الحد . فاذا استطاع اصفاء نور على الأمور ، كان بها ونعمت ، والا فلا مندوحة لنا من استصدار أمر بالقبض عليه . »

« ولكن كيف تعرف أنه سيكون هناك عندما نرجع ؟ »
« كن على يقين من اننى اتخذت بعض الاحتياطات هناك غلام من شارع بيكر ، تابع لى ، يقف حارسا عليه ، يلزمه كظله . يذهب وراءه أينما يذهب . سنجده فى شارع هدرسون غدا ، يا واطسون . وفى تلك الأثناء ، سأكون أنا المجرم أن أخرجك عن الفراش أكثر من هذا . »

« فى ظهر اليوم التالى وجدنا أنفسنا فى مسرح المأساة . وبارشاد رفيقى اتجهنا فورا الى شارع هدرسون . ورغم مقدرة هولمز على اخفاء عواطفه ، أمكننى بسهولة أن أراه يكبت غيظه بينما أظهر أنا نصف الروح الرياضية ونصف البهجة الذهنية كما تعودت أن أفعل عندما أكون معه فى تحقيقاته . »

قال وهو يعرج على شارع قصير تحده بيوت من طابقين مبنية بالطوب الأحمر : « هذا هو الشارع . ها هو سيمبسون . آت ليخبرنى بكل شيء عن ذلك الرجل . »

جرى إلينا غلام عربى صغير ، وقال : « انه ما زال هناك ، يا مستر هولمز . »

فقال هولمز وهو يربت على راسه : « حسنا ، يا سيمبسون ! »

« هيا ، يا واطسون ، هذا هو البيت . »

أرسل صديقى بطاقته مع رسالة يقول فيها انه جاء لأمر هام . وبعد لحظة ، كنا وجها لوجه أمام الرجل الذى جئنا لنقابله . ورغم دفء الطقس ، كان يجلس أمام الوطيس ، وكانت حجرته

الصفيرة أشبه بالآتون . وجدناه جالسا مقوسا وملتويا في مقعده بصورة تبين مدى تشوه جسمه ، الذى لا يوصف . ورغم تفضن الوجه الذى اداره نحونا وخشونته فيبدو أنه كان فيما مضى جميلا . . نظر الينا مرتابا بعينين صفراوين حادتين ، وبغير أن يتكلم أو يقف ، أشار الى مقعدين .

فقال هولمز في نفمة رقيقة : « المستر هنرى وود العائد أخيرا من الهند ، على ما اعتقد ؟ جئت بخصوص تلك المسألة البسيطة الخاصة بموت الكولونيل باركلي . »

« وماذا عساه أن أعلم عنها ؟ »

« هذا ما أردت أن اتحقق منه . وانك لتعرف ، كما يخيل الى ، أنه ان لم تظهر الحقيقة في هذه المأساة ، فان مسز باركلي ، صديقتك القديمة ، ستحاكم قطعا عن جريمة القتل . »

فزاع ذلك الرجل في عنف .

وصاح يقول : « لست أعلم من انت ، ولا كيف عرفت ما عرفته . ولكن هل تقسم على أن ما تقوله لى هو الصدق ؟ »

« انهم ينتظرون أن تثوب الى رشدك كي يقبضوا عليها بتهمة القتل . »

« رباه ! هل انت من البوليس ، انت نفسك ؟ »

« كلا . »

« اذن ، فما شأنك بهذا ؟ »

« من شأن كل انسان أن يرى العدل يسود . »

« ثق بكلامى ، انها بريئة . »

« اذن ، فأنت مذنب ؟ »

« كلا ، لست مذنبا . »

« اذا ، فمن قتل الكولونيل جيمس باركلي ؟ »

« قتلته العناية الالهية . ولكن ، ضع في ذهنك اننى لو هشمت رأسه لما نال منى أكثر مما يستحق على يدى . واذا لم يقتله ضميره الآثم ، لوقع دمه على روحى . أتريدنى أن أروى لك القصة كلها ؟ حسنا ، فلست أرى ما يمنعنى روايتها . ما من سبب يدعونى الى أن أخجل منها . »

« حدثت هكذا ، يا سيدى : ترى مظهرى الآن كمظهر الجمل وضلوعى كلها ملتوية ، وقد كنت فى سالف العصر ، العريف (أومباشى) هنرى وود ، أعظم الرجال أناقة فى فيلق المشاة المائة

والسابع عشر . كنا في ذلك الوقت بالهند في معسكر سكان يطلق عليه اسم بهورتى . أما باركلى الذى مات في ذلك اليوم ، فكان رقيباً (جاويش) في نفس الفيلق ، وأجمل من في الفرقة . وكانت نانسى أجمل فتاة يمر نفس الحياة من بين شفتيها . . نانسى ريفوى ابنة الرقيب حامل العلم . وقد أحبها رجلان ، ولكن الرجل الذى أحبه هى ، وستبتسم أنت عندما تنظر اليه مكوماً أمام النار . . . استمع الى وأنا أقول لك انها أحببتنى لملاحة تقاطيع وجهى . « ورغم أن قلبها كان معى ، إلا أن أباهما أصر على أن تتزوج باركلى . فقد كنت أنا شاباً متهوراً قليل التعلم . أما باركلى فكان على قدر لا بأس به من العلم ، وكان قد وقع عليه الاختيار لحزام السيف (أى ليصير ضابطاً) ولكن الفتاة ظلت وفية لى ، وبدأ انسى سأنالها . غير أنه شبت حركة تمرد ، وأطلقت الجحيم من عقالها في البلاد .

« حوصرنا في بهورتى ، فرقنا ، مع نصف بطارية من المدفعية ، وجماعة من السيخ ، وكثير من المدنيين والنساء . . التف حولنا عشرة آلاف متمرّد ، وكانوا شديدي اليقظة كأنهم جماعة من كلاب الصيد حول قفص ملئ بالجرذان . وبعد حوالى أسبوع نفذت كمية الماء التى كانت عندنا ، وكان لابد لنا من الاتصال بطابور الجنرال نيل ، الذى كان متجها الى شمال البلاد . كانت هذه هى فرصتنا الوحيدة ، فلا يمكن أن نشق طريقنا وسط المتمردين ومعنا كل أولئك النساء والأطفال . لذا تطوعت بالخروج لتحذير الجنرال نيل وإخباره بالخطر المحدق بنا . فقبل عرضى . وتحديث في هذا الأمر مع الرقيب باركلى الذى كان يعرف المنطقة أحسن من أى فرد آخر ، فرسم لى طريقاً يمكننى به . اخترق صفوف المتمردين تحت جنح الظلام . أسير في رحلتى التى انقذ بها أرواح ألف شخص ، ولكنى لم أفكر إلا في شخص واحد ، وأنا أقفز فوق سور المعسكر ، في تلك اللحظة .

« كان طريقى يمتد بطول مجرى مائى جف مأؤه ، كى يحجبني عن انظار ديدبانات العدو . . ولكن بينما أنا أدور حول أحد أركانه ، وجدت نفسى بين أيدي ستة منهم مختبئين في الظلام في كمين نصبوه لى . وفي لحظة فقدت وعيى بضربة ، وقيدت يداى ورجلاى . غير أن الضربة الحقيقية صوبت الى قلبى وليس الى رأسى . ولما أفقت وأخذت أشرق السمع الى حديثهم ، قدر امكانى ، سمعت

ما يكفي لأعلم منه أن زميلي الذي رسم لي الطريق الأسلكه آمنا ،
قد خانني بواسطة أحد الوطنيين ، وبذا سلمني إلى أيدي الاعداء
كي يخلو له الجو .

« لا حاجة بي إلى الاطالة في هذا الجزء ، فأنت تعرف الآن
ما يستحقه جيمس باركلي . وفي اليوم التالي عمل الجنرال نيل على
انقاذ بهورتي . ولكن المتمردين أخذوني معهم في تهقيرهم وقضيت
سنوات طويلا قبل أن أرى وجهها أبيض مرة أخرى . عذبوني ،
وحاولت الفرار ، فقبضوا على وعذبوني مرة أخرى . وبوسعكما
أن تعرفا الحالة التي تركت عليها . . وقد فر بعض هؤلاء إلى
نيبول وأخذوني معهم . . وبعد ذلك وصلت إلى دار جيلنج . وهناك
قتل سكان الجبل ، المتمردين الذين كنت معهم وتركوني لأصير
عبدا لهم . وهكذا غدوت عبدا إلى طلبات سكان الجبل هؤلاء ،
لبعض الوقت حتى استطعت أن أهرب ، فهربت . وبدلا من
السير جنوبا ، اتجهت شمالا ، فاذا بي أجد نفسي بين الأفغانيين
حيث أخذت أجول لمدة سنوات ، وأخيرا رجعت إلى البنجاب
حيث عشت معظم الوقت مع الوطنيين اكسب عيشي من الشعوذة
التي تعلمتها . ماذا يجديني ، أنا الكسيح الحقير أن أعود ثانية
إلى انجلترا أو أعرف أصدقائي القدامى وأقابلهم ؟ وحتى رغبتني
في الانتقام لا تجعلني أفعل ذلك . كنت أفضل أن تعرف نانسي
ويعرف زملائي القدماء أن هنري وود مات بظهر مستقيم ، على أن
يروني حيا محدب الظهر أزحف على عصا كالشمانزي . لم يشكوا
قط في موتي ، وكنت أقصد ألا يشكوا . . سمعت أن باركلي تزوج
نانسي وأنه ارتقى بسرعة في الفرقة . ولكن حتى هذا لم يحثنى على
أن أتكلم .

« غير أن المرء إذا ما بلغ الشيخوخة حن إلى وطنه . ظللت
سنوات أحلم بالحقول الخضراء وأسوار النباتات المتسلقة لانجلترا .
وأخيرا ، عولت على أن أراها قبل أن أموت . فوفرت ما يكفي
لمجيئي ، وأتيت إلى هنا حيث يوجد الجنود ، وأنا أعرف طرقهم
وكيف أسليهم ، وبذا اكسب عيشي . »

فقال شرلوك هولمز : « روايتك ممتعة جدا . وقد سمعت عن
لقائك مع مسز باركلي ومفاوضتكما المتبادلة . أفهم من هذا أنك
تبعثها بعد ذلك إلى بيتها ، وأبصرت ، من خلال النافذة ، ما دار
بينها وبين زوجها من عراك اتهمته فيه بموضوعك . فتغلبت عليك

مشاعرك ، فجريت عبر الارض المكسوة بالحشيش ودخلت عليها
الحجرة . »

« فعلت هذا ، يا سيدى . ولما رآنى ، تغير منظره بصورة
غريبة وصار مختلفا عن منظر أى شخص رأيته من قبل طوال
حياتى ، فسقط ، وارتطم رأسه بالمتكأ ، ومات قبل أن يسقط .
قرأت الموت واضحا فى وجهه كما أقرأ نصا أمام النار . كان مجرد
رؤيتى كالرصاصة خلال قلبه الأثم . »
« وماذا حدث بعد ذلك ؟ »

« بعد ذلك أغمى على نانسى ، فأخذت مفتاح الباب من يدها
قاصدا أن أفتحه وأطلب نجدة ، ولكن ، بينما أنا أهم بفعل ذلك ،
بدا لى من الخير أن أترك كل شئ على ما هو عليه وأخرج ، اذ تبدو
المسألة سوداء ضدى . وعلى أية حال ، كان سرى سينفضح اذا
ما قبض على . وفى عجلتى ، وضعت المفتاح فى جيبى ، وتركت
عصاى وأنا أطارد تيدى ، الذى جرى الى أعلى الستارة . فلما
أمسكته ووضعته فى الصندوق الذى خرج منه ، هربت بأسرع ما فى
مكنتى أن أجرى . »

فسأله هولمز : « ومن هو تيدى ؟ »
انحنى الرجل الى الأمام وضرب غطاء نوع من الصندوق كان
فى ركن الحجرة ، فخرج منه فى الحال مخلوق جميل بنى اللون يميل
الى الحمرة ، وجسمه رفيع طرى ، وأرجله قصيرة كأرجل العرسة ،
وخطمه طويل رفيع ، وله زوج من أجمل العيون الحمراء التى رأيتهما
فى حياتى فى رأس حيوان .
صحت أقول : « انه ابن عرس ! »

« حسنا ، بعض الناس يسميه هكذا ، أما أنا فأسميه
« قانص الثعابين » . وتيدى هذا مدهش فى سرعته وهو ينتفض
على الكوبرا . عندى كوبرا هنا ، نزع ناباها ، وتيدى يقبض عليها
كل ليلة ، فيبهج المتفرجين فى المقصف . أريد أية نقطة أخرى ،
يا سيدى ؟ »

« قد نضطر الى المجيء اليك مرة أخرى ، اذا تأزمت الامور
مع مسز باركلى ووجدناها فى موقف حرج . »
« فى هذه الحال ، سأحكى كل شئ . »

« واذا لم تصل الامور الى هذا الحد ، فلا داعى الى اذاعة هذه
الفضيحة ضد رجل مات ، رغم خسة فعلته . قد يرضيك انه

عاش ، على الأقل ، ثلاثين سنة من حياته وضميره يوخزه على عمله الشرير . وهذا هو الماجور مورفي يسير على الجانب الآخر من الطريق . الى اللقاء ، يا وود . أريد أن أعرف منه ما اذا كان قد استجد شيء منذ أمس . »

وصلنا في الوقت المناسب لنلحق بالماجور قبل أن يصل الى منعطف الطريق .

قال : « آه ، هولمز ! أظنك سمعت أن كل تلك الضجة كانت زوبعة في فنجان ، أسفرت عن لاشيء . »
« وماذا ، إذن ؟ »

« انتهى التحقيق . . جاء تقرير الطبيب الشرعى ، يقول انه مات بالسكتة القلبية ، وهانتذا ترى انها غدت قضية في غاية البساطة . »

فقال هولمز مبتسما : « يا لها من قضية سقيمة جدا ! هيا ، يا واطسون ، لا أظنهم يريدوننا في الدرشوط بعد ذلك . »
قلت ونحن سائران الى المحطة : « هناك سؤال واحد : اذا كان الزوج اسمه جيمس ، والحبيب اسمه هنرى ، فلم ورد ذكر دافيد في الحديث ؟ »

« تحكى لى هذه الكلمة ، يا عزيزى واطسون ، قصة كاملة ، لو كنت أنا الشخص المثالى الذى أنت مولع بتصويره . من الجلى أن هذا الاسم مصطلح يراد به التحقير أو التوبيخ . »
« التحقير أو التوبيخ ؟ »

« نعم ، تاه دافيد ذات مرة ، كما تعلم ، وفى مرة ما ، فى نفس الاتجاه ، مثل الرقيب جيمس ، هل تذكر تلك القضية البسيطة ، قضية أوريا وباتشيبا ؟ أن معلوماتى عن التوراة صدئة قليلا ، وأظنك تستطيع العثور على هذه القصة فى سفر صموئيل الأول ، أو صموئيل الثانى من التوراة . »

المريض المقيم

بمراجعة مجموعة المذكرات غير المتجانسة التي حاولت بهما توضيح العجائب الذهنية لصديقي المستر شرلوك هولمز ، أدهشتني الصعوبة التي قابلتني في اختيار أمثلة تبين هدى من جميع نواحيه . ففي تلك الأحوال التي أنجز هولمز فيها أعمالا تحتاج إلى مهارة غير عادية ، في تلك الحالات استدلال تحليلي يوضح قيمة طرقه العجيبة في التحقيق . كانت الحقائق نفسها ضئيلة أو عادية ، فلم أشعر بالرضا في وضعها أمام الجمهور . ومن ناحية أخرى ، كثيرا ما حدث أن قام ببعض أبحاث كانت الحقائق فيها أهم الأدلة . ولكن من حيث النصيب الذي قام به في معرفة أسبابها ، كان أقل وضوحا مما كنت آمل ، كما قال كاتب تاريخ حياته ، والمادة البسيطة التي رويتها تحت عنوان « دراسة بالدم » ، والقصة الأخرى الخاصة بضياح السفينة « جلوريا سكوت » . قد تعتبر هذه أمثلة لتلك السكولا وخاروبدس ، التي تهدد مؤرخه باستمرار . وقد يكون الدور الذي قام به صديقي في القضية التي سأكتب وقائعها الآن ، غير واضح وضوحا كافيا ، ومع ذلك ، فسلسلة ظروف القضية شهيرة جدا بحيث لا يمكنني ، بحال ما ، أن أحذفها من هذه المجموعة .

في أحد أيام شهر أكتوبر ، والمطر يهطل غزيرا والشمس نصف مرفوع ، رقد هولمز على الأريكة يقرأ خطابا جاءه في بريد الصباح ، ويعيد قراءته بامعان . أما أنا ، فإن مدة خدمتي في الهند علمتني أن أقاوم الحر أكثر من البرد ، وإن درجة حرارة ٩٠ درجة فهرنهايت ليست صعبة الاحتمال . غير أن الصحيفة لم تكن ممتعة ، وقد انقضت الدورة البرلمانية ، وغادر كل فرد المدينة ، فاشتقت إلى خلاء القاعة الجديدة أو شاطئ البحر الجنوبي . وأذ نصب رصيد حسابي في البنك ، اضطرت إلى تأجيل عطفتي . أما رفيقي فلم يهتم بالريف ولا بالبحر في قليل أو كثير . كان يلذ له أن يرقد وسط خمسة ملايين شخص ، ويمد خيوطه بينهم استجابة لكل شائعة بسيطة ، أو اشتباه في وجود جريمة لم يتوصل أحد إلى حلها وعندئذ لا يجد جمال الطبيعة له مكانا بين مواهبه الكثيرة . والتفكير الوحيد الذي

يحظى به هو عندما يحول ذهنه من مجرم المدينة ، ويوجهه نحو مجرم
الريف .

لما وجدت هولمز منهما جدا في ذلك الخطاب ومشغولا به عن
التحدث معي ، القيت بصحيفتي الخاوية جانبا ، وأسندت ظهري
الى مقعدى واستفرقت في شرود ذهن عميق . وفجأة ، دوى صوت
رفيقي ليخرجني من تفكيري .

قال هولمز : « أنت على حق ، ياواطسون . تبدو طريقة غير معقولة
لتسوية النزاعات . »

قلت : « نعم ، هي غير معقولة على الاطلاق » ثم أدركت فجأة
كيف عرف لب فكرتي بالضبط ، فاعتدلت في جلستي وحملت فيه
مدهوشا .

صحت أقول : « ما هذا ، يا هولمز ؟ هذا أكثر مما يمكنني أن
أتصوره . »

ضحك ملء فمه لحيرتي .

قال : « أتذكر ، ياواطسون اننى حينما قرأت لك منذ وقت
قصير فقرة من إحدى روايات بو ، تتبع فيها محقق افكار رفيقه
التي لم يتحدث عنها ، كنت تميل الى اعتبار الموضوع مجرد عمل
يحتاج الى مهارة عادية . واذ لاحظت أن من عادتي أن أفعل باستمرار
نفس الشيء ، عبرت عن عدم تصديقك . »
« كلا ، البتة ! »

« ربما أنك لم تعبر بلسانك ، ياعزيزى واطسون ، ولكن من
المؤكد أنك عبرت بحواجبك لذا ، عندما أبصرتك تلقى صحيفتك على
الارض ، وتدخل في سلسلة من الافكار ، فرحت جدا لأجد فرصة
لقراءة افكارك ، والتصريح بذلك كبرهان على اننى كنت على اتصال
بك . »

ولكننى لم أقتنع بما قاله ، فقلت له : « في المثال الذى قرأته
لى عن علم الفراسة ، استدل المحقق على استنتاجه من أفعال الرجل
الذى لاحظته فاذا كانت ذاكرتى سليمة ، فانه تعثر فوق كومة من
الحجارة ، ونظر نحو النجوم . . وما الى ذلك . ولكننى كنت جالسا
على مقعدى في هدوء ، ولم أقدم لك أية دلائل ، فماذا لاحظت ؟ »

« أنت تظلم نفسك ، ياواطسون . وهب الانسان ملامحه ليحبر
بها من عواطفه وما يجيش بخاطره ، ولامحك خادم أمين . »
« هل تعنى أنك قرأت افكارى عن طريق ملامحى ؟ »

« نعم ، قراتها عن طريق ملامحك ، ولا سيما عيناك . ربما
لا تتذكر ، أنت نفسك ، كيف بدأت مناجاتك نفسك ؟ »
« فعلا ، لا أتذكر . »

« اذن ، فسأخبرك بما حدث منك : بعد أن رميت صحيفتك ،
ذلك العمل الذى لفت انتباهى اليك . فجلست لمدة نصف دقيقة
وملامحك لا تنم عن شيء ، ثم ثبتت عينيك على صورة الجنرال جوردون
فرايت من التفسيرات التى حدثت بوجهك أن سلسلة من الافكار قد
بدأت . ولكنها لم تقدك الى مسافة بعيدة . ثم استدارت عيناك نحو
صورة بدون اطار لهنرى وارد بيتشر موضوعة فوق قمة كتبك .
وبعدها نظرت الى الحائط ، وبالطبع كان معنى هذا واضحا . كنت
تفكر فيما اذا وضع اطار لهذه الصورة فانها يمكن أن تغطى ذلك الجزء
العارى من الحائط ، علاوة على أنها تحدث تماثلا مع صورة جوردون
الموضوعة هناك . »

قلت : « لقد تتبعتنى جيدا . »

« الى هذا الحد لم تشرد بعيدا . اما الان ، فقد رجعت افكارك
الى بيتشر ، فنظرت اليه مليا كما لو كنت تدرس اخلاقه من تلك الملامح
.. وبعد هذا توقفت عيناك عن التحرك ولكنك مازلت تنظر الى
هناك ، وكان وجهك كثير التفكير . كنت تتذكر احداث حياة بيتشر .
كما لاحظت أنك لم تستطع أن تفعل هذا دون أن تفكر فى المهمة التى
قام بها نيابة عن أهل الشمال اثناء الحرب الاهلية ، لاننى أتذكرك
تعبير عن اشمزازك من الطريقة التى استقبله بها جمهور شعبنا
الاكثر اضطرابا . شعرت بقوة ازاء ذلك حتى عرفت أنك لاتستطيع
التفكير فى بيتشر دون أن تفكر فى ذلك ايضا . وبعدها بلحظة ابصرت
عينيك تذهبان بعيدا عن الصورة ، فاشتبهت فى أن يكون عقلك قد
اتجه الى الحرب الاهلية . وحينما لاحظت ان شفتيك مضمومتان
وعينيك تتألقان ويديك مقفلتان ، تأكدت من أنك تفكر فى الشهامة
التي أبدتها كل من الطرفين فى ذلك النضال المرير . ولكن الحزن بان
على وجهك مرة أخرى فهزرت رأسك . كنت تفكر بحزن فى فظاعة
ضياع الحياة هكذا بدون فائدة . وتحركت يدك نحو جرحك القديم
وارتسمت على شفتيك ابتسامة اوضحت لى أنه قد جال بخاطرك ذلك
الجانب السخيف لطريقة تسوية المسائل الدولية .. عند تلك النقطة
وافقتك على أن هذه الطريقة غير معقولة .. فسرني أنك عرفت أن
جميع استنتاجاتى صحيحة . »

قلت : « كلها صحيحة تماما . والان ، بما أنك شرحتها لى ،
فأنا أعترف بأننى مازلت مدهوشا كما كنت من قبل . »
« أوكد لك ، يا عزيزى واطسون ، أنها مسألة سطحية ، وما
كنت لأخبرك بها لو أنك لم تصرح بعدم تصديقك فى ذلك اليوم لمظاهر
علم الفراسة . غير أن المساء جاء معه بنسمة . فما قولك فى أن نتجول
معا خلال لندن ؟ »

مللت البقاء فى حجرة جلوسنا الصغيرة ، فوافقته مسرورا .
ولمدة ثلاث ساعات أخذنا نسير معا ، نلاحظ استمرار تغير الحياة
وهى تزدهم وتنحسر فى شارعى فليت وستراند ، وقد عمل كلام
هولمز المألوف وملاحظاته الدقيقة للتفاصيل ، على بقائى مدهوشا
طول الوقت .

« كانت الساعة العاشرة قبل أن نصل الى شارع بيكر مرة
أخرى . فلما وصلنا وجدنا عربة تنتظر أمام بابنا .
قال هولمز : « عجبا ! عربة طبيب ! انه ممارس عام حسبما
أرى . لم يمض وقت طويل على بدئه فى مزاولة مهنته . ولكن لديه
الكثير من العمل ، يخيل الى أنه جاء ليستشيرنا ، ومن حسن الحظ
أننا رجعنا . »

كنت ملما تمام الامام بطرق هولمز ، فأمكننى أن أتبع استنتاجاته ،
وأعرف أن طبيعة الادوات الطبية الموجودة فى السلة الخيزران المعلقة
فى فانوس العربة هى التى زودته بالمعلومات اللازمة لاستنتاجاته هذه .
دل النور الظاهر فى نافذتنا على أن هذا الزائر المتأخر كان ، فى الحقيقة ،
يقصدنا . فتبعت هولمز الى منسكننا ، وأنا أفكر فيما عسى أن يكون
قد جاء بزميل لى فى المهنة ، فى مثل هذه الساعة المتأخرة .

حينما دخلنا حجرة الاستقبال ، نهض رجلٌ شاحب الوجه
طويله ، ذو عوارض صفراء اللون ، نهض من فوق مقعده أمام الوطيس .
لايزيد عمره على ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين سنة ، ولكن ملامحه
الهزيلة ولونه الشاحب دلّتنا على حياة امتصت قوته وسلبته شبابه .
كان بادهى العصبية والخجل ، مرهف الحس ، وكانت يده الرفيعة
البيضاء التى وضعها على رف الوطيس وهو ينهض ، أشبه بيد
فنان أكثر منها يد جراح . أما لباسه فهادىء وقاتم ، يرتدى سترة
فروك سوداء ، وينظفوننا أذن اللون ، ورباط رقبة به لمسمة من
اللون .

قال هولمز باشا : « مساء الخير يادكتور . يسرنى انك لم تنتظرنى اكثر من بضع دقائق . »

« اذن ، فقد تحدثت الى سائق عربتى ؟ »

« كلا ، بل ان الشمعة القائمة على النضد هى التى اخبرتنى بذلك . ارجو ان تجلس ثانية وتعلمنى كيف يمكننى خدمتك . »

قال : « اسمى الدكتور بيرسى تريفليان ، واقيم فى رقم ٤٠٣ شارع بروك . »

فسأله : « الست مؤلف رسالة فى خلل الاعصاب الفامض ؟ »
احمرت وجنتاه الصفراوان سرورا لسماعه اننى اعرف مؤلفه .

قال : « قلما سمعت عن هذا المؤلف . ظننته ميتا . فناشرو هذه الرسالة يشبطون من همتى ويبالفون فى قلة المبيعات . اعتقد انك ، انت نفسك ، طبيب . »

« جراح فى الجيش ، متقاعد . »

« كانت هوايتى باستمرار امراض الاعصاب ، وكنت اطمح الى جعلها تخصصى الوحيد . يجب على المرء ان يتناول مايمكنه الحصول عليه اولا . وعلى أية حال ، هذا خارج عن الموضوع . فانا أقدر قيمة وقتك الثمين ، يامستر هولمز . . المسألة ، وما فيها ، أنه حدثت سلسلة وقائع حديثا فى بيتى بشارع بروك وقد وصلت هذه الاحداث ذروتها فى هذه الليلة حتى شعرت بأنه من المستحيل ان انتظر ساعة اخرى قبل ان اطلب نصيحتك ومساعدتك . »

جلس شلوك هولمز ، واشعل غليونه ، وقال : « مرحبا بك من اجل كليهما . ارجوك ان تروى لى بالتفصيل ، تلك الظروف التى ازعجتك . »

قال الدكتور تريفليان : « ظرف او اثنان منها تافهان ، حتى اننى لاخلجل من ذكرهما . ولكن المسألة تستعصى على الشرح . وقد وصلت اخيرا الى دور دقيق يجعلنى اضع كل شىء امامك ، واترك لك الحكم على ماهو ضرورى منها ، وما هو تافه لا يستحق الذكر . »

« ولكى ابدأ قصتى ، أجد نفسى مضطرا الى ان اذكر شيئا عن حياتى فى الكلية : انا خريج جامعة لندن ، كما تعرف ، وانا على يقين من انك لن تظننى اطرى محاسن نفسى عندما اقول ان جميع اساتذتى وانا طالبه ، كانوا يعتبرون سنى دراستى مبشرة جدا بالخير . وبعد تخرجى ، دأومت على تكريس نفسى للابحاث . فشغلت متصبا بسيطا فى مستشفى كلية الملك . وقد ساعدنى الحظ كثيرا

بأن اثير اهتمام الكثيرين بأبحاثى فى امراض التخشب العصبى .
وأخيرا ، لكى أحظى بجائزة بروس بنكرتون وميداليتهما ، وضعت
رسالة فى خلل الاعصاب الغامض التى لمح اليها زميلك الان فقط .
لن أطيل الكلام اذا قلت ان مستقبلا باهرا كان ينتظرنى .
« ولكن العقبة الوحيدة الكأداء هى افتقارى الى رأس المال كما
ستفهم بعد لحظة . فان الإخصائى الطموح الى الشهرة مضطر الى
أن يبدأ عمله فى شارع بميدان كافنديش . وكلها تتطلب ايجارا عاليا
ونفقات تأثيث باهظة . وعلاوة على هذه الامور المبدئية ، فهو مضطر
الى الانفاق على نفسه لعدة سنوات ، ويستأجر عربة فخمة وحصانا .
وهذا فوق مقدورى . فكان كل ما طمعت فيه هو أن اقتصد مايكفى
لأن أضع لافتة باسمى ، ولكن لم ألث سوى عشية وضحاها حتى
حدث ما لم يكن فى الحسبان ، ففتح أمامى آفاقا جديدة .

« زارنى رجل اسمه بلسنجتون وكان غريبا على تماما . دخل
الى حجرتي ذات صباح ، وبدون مقدمات ولا لف أو دوران ، دخل
من فوره فى موضوع العمل . »
قال : « هل أنت الدكتور بيرسى تريفيليان الشهير بجدك وذكائك ،
وفزت أخيرا بجائزة عظمى ؟ » فانحنيت له .
استطرد يقول : « أنت تملك المهارة التى تكون الرجل الناجح .
فهل لديك اللباقة ؟ »
« لم يسعنى الا أن ابتسم لمفاجأة هذا السؤال .
فقلت : « أثق بأن لى نصيبى . »
« ألدك أية عادات سيئة ؟ كشرب الخمر مثلا ؟ »
قلت : « حقيقة ، ياسيدى ! »
« صحيح تماما ! هذا ملائم ! ولكنى مضطر الى أن أسألك :
« اذا كانت لك كل هذه الصفات فلماذا لا تباشر اختصاصك ؟
« هزرت كتفى . »
قال بطريقته المتعجرفة : « هيا ، هيا ! انها الحكاية القديمة .
ما فى نمك أكثر مما فى جيبك . ماذا تقول اذا هيات لك مكانا للعمل
فى شارع بروك ؟ »
« حملقت فيه مدهوشا . »
فصاح يقول : « هذا من أجل خاطرى أنا ، وليس من أجل

خاطرك أنت . سأكون معك في منتهى الصراحة . فإذا وافقك ما سأعرضه عليك ، فانه سيوافقني أنا أيضا .. معى بضعة آلاف أريد أن أستثمرها . أترى أن أستثمرها معك ؟ «
قلت : « ولماذا ؟ »

« انها مثل أى استثمار آخر ، وأكثر أمانا من معظم وجوه الاستثمارات الأخرى . »
« اذن ، وماذا تريدنى أن أفعل ؟ »

« سأخبرك . سأخذ البيت ، وأوثقه ، وأدفع أجر الخادmates ، وأدير المكان كله . كل ما عليك أن تفعله هو أن تبلى مقعدك فى حجرة الاستشارة الطبية . وسأعطيك مبلغا للمصروفات الشهرية ، وكل شئ آخر يلزم للعيادة . وفى نهاية كل يوم ، تسلمنى ثلاثة أرباع الأيراد ، وتحتفظ لنفسك بالربع . »

« هذا هو الاقتراح الغريب ، يامستر هولمز الذى عرضة على ذلك الرجل بلسنجتون . لن أتعبك بإخبارك كيف تساومنا وكيف تفاوضنا .. وانتهى الأمر بانتقالى الى ذلك المنزل ، فى عيد السيدة العذراء التالى . وبدأت أمارس العمل بنفس الشروط التى اقترحها . وجاء هو نفسه ليعيش معى كمريض مقيم . كان قلبه ضعيفا ، كما يبدو ، ويحتاج الى ملاحظة طبية مستمرة . فحول أفضل حجرتين بالدور الاول الى حجرة نوم وحجرة جلوس لنفسه . وكان رجلا غريب الطباع ، يتحاشى مقابلة أى فرد ، ولا يخرج من البيت الا نادرا . لم تكن حياته منتظمة ولا يعرف النظام الا فى حالة واحدة كان فيها النظام بعينه . ففى كل مساء وفى نفس الموعد ، يدخل حجرة الفحص الطبى فيفحص الدقاتر ويضع خمسة شلنات وثلاثة بنسات من كل جينى (الجينى = ٢١ شلنا) ، ويأخذ الباقي معه ليضعه فى خزانة حديدية فى حجرته .

« يمكننى أن أقول واثقا من كلامى ، انه لم يجد أية فرصة تجعله يندم على استثماره أمواله بهذه الطريقة . فمنذ البداية كان الاستثمار ناجحا . كانت هناك بضع حالات طبية ، وكوئت شهرة للمستشفى انتقل بها بسرعة الى المقدمة . وأبان السنة الماضية أو السنتين الماضيتين ، جعلت منه رجلا ثريا .

« هذا هو تاريخى ، يامستر هولمز ، وعلاقتي بالمستر بلسنجتون ولا يتبقى أمامى الا أن أخبرك بما حدث وجعلنى أجيء اليك فى هذه الليلة .

« منذ بضعة أسابيع ، جاءنى المستر بلسنجتون فى حالة هياج شديد وهو يرغب ويزبد ، وأخبرنى بحدوث سرقة فى وست اند ، وأذكر أنه بدأ ثائرا بغير مبرر ، من أجل تلك السرقة ، وقال انه يجب ألا يمر يوم قبل أن نضع لأبوابنا ونوافذنا ، مزاليج أقوى من التى بها . وظل مدة أسبوع فى حالة من القلق الشديد الغريب فتراه يطل باستمرار من النوافذ . وكف عن الخروج ليتمشى قبل تناول طعام العشاء كما اعتاد دائما . وقد هالنى أن أستشف من حالته أنه فى هلع شديد من شىء ما ، أو من شخص ما . ولكن عندما سألته عن ذلك ، أخذ يسب ويلعن حتى اضطرت الى ترك ذلك الموضوع تماما . . وبالتدريج ، ومع مرور الوقت ، بدأت مخاوفه تتلاشى ، ورجع الى عاداته السابقة ، الى أن وقع حادث جديد هز كيانه وجعله يرقد الآن ، ينتفض خوفا وهلعا .

هاك ما حدث منذ يومين : تسلمت الخطاب الذى سأقرؤه لك الان ، وليس به عنوان ولا تاريخ .

يقول الخطاب : « يقيم أحد النبلاء الروس الان فى انجلترا ، ويسره أن يعهد بنفسه الى مساعدة الدكتور بيرسى تريفلين وعنايته الطبية . ظل هذا النبيل عدة سنوات فريسة ثوبات تخشب عصبى ، ذلك المرض الذى اشتهر به الدكتور تريفلين وبأنه حجة فيه . يود هذا النبيل أن يأتى لعيادتك فى حوالى الساعة السادسة والرابع من مساء غد ، اذا تكرم الدكتور تريفلين وبقي فى البيت فى ذلك الموعد . » « أمتعنى هذا الخطاب كثيرا لان الصعوبة الرئيسية التى الاقيها لدراسة هذا المرض ، هى ندرة هذا المرض . . صدقنى ، يامستر هولمز كنت فى عيادتى فى ذلك الموعد بالضبط ، فاذا بالخادم يدخل ذلك المريض .

كان رجلا عجوزا نحيل الجسم جم الادب ، وبسيطا عاديا ، على عكس الفكرة التى تتكون فى الذهن عن نبيل روسى . وقد أثار انتباهى كثيرا منظر رفيقه . كان شابا فارغ الطول أنيقا بدرجسة مدهشة ، ذو وجه قاتم شرس ، وله صدر هرقل وذراعا . كان يضع يده فى ذراع العجوز وهما داخلان . ثم ساعده فى الجلوس على كرسى ، برفق قلما يتوقعه الانسان من منظر ذلك الشاب المفتول العضلات . قال لى الشاب بانجليزية ذات لثغة خفيفة : « معذرة لدخولى ، يادكتور . هذا والدى ، وتهمنى صحته كثيرا . »

« تأثرت كثيرا للقلق البنوى هذا ، وقلت له : « ربما أمكنك أن تبقى هنا اثناء الفحص والاستشارة . »
صاح يقول فى فزع وانتفاض : « كلا ، أرجوك . هذا يؤلمنى لما لا أستطيع التعبير عنه . فلو رأيت والدى فى إحدى تلك النوبات المريعة ، لما بقيت بعدها على قيد الحياة ، دون ما شك . . ان جهازى العصبى حساس للغاية . . أرجو أن تأذن لى بالبقاء فى حجرة الانتظار ، ريثما تنتهى من فحص حالة أبى وتقرر له مايجب عليه عمله . »

« وبالطبع ، وافقت على هذا ، وانسحب الابن واستفرقت أنا والمريض فى مناقشات عن حالته ، دونت عنها كثيرا من الملاحظات . لم يكن جم الذكاء ومعظم اجاباته غامضة ، نسبتها الى المامه المحدود بالانجليزية . وحينما جلست اكتب ملاحظاتي ، وكف تماما عن الرد على أسئلتى . وعندما استدرت نحوه ، هالنى انه جلس متخسبا تماما فوق الكرسي يحملق فى بوجه متصلب عديم الملامح . لقد صار مرة أخرى فى قبضة مرضه الغريب .

« كان أول شعورى ، كما قلت ، هو الاشفاق والفرع ، ونانيا ، اخشى أن يكون هو الرضا المهنى . فأخذت مذكرات بنبض ذلك المريض ودرجة حرارته وقست تصلب عضلاته وفحصت انقباضاتها العكسية . لم يكن هناك شئ غير عادى فى أية حالة من هذه ، وتتجانس مع خبرتى السابقة . وسبق أن حصلت على نتائج طيبة فى مثل هذه الحالة بأن أجعل المريض يستنشق نترت الاميل . وهذه الحالة فرصة رائعة لاختبار مدى فعالية هذا العقار . . غير أن زجاجة نترت الاميل كانت فى معملى بالدور الارضى ، لذا تركت المريض جالسا فوق الكرسي ، وجريت لأحضر هذه الزجاجة . وتأخرت قليلا فى العثور عليها - خمس دقائق مثلا - ثم رجعت الى العيادة . . وتصور دهشتى ، يا مستر هولمز حينما وجدت الحجرة خاوية والمريض غير موجود !

« وبالطبع ، كان أول ما فكرت فيه هو أن اذهب الى حجرة الانتظار ، فوجدت أن الابن قد غادرها هو أيضا . كان باب البهو مقفلا قليلا ولكنه لم يكن مفلقا تماما . ولم يكن خادمى ، الذى يتولى ادخال المرضى عندى ، سريعا بحال ما ، اذ كان غلاما جديدا ينتظر بالدور الارضى ، ويسرع الى فوق ليخرج المرضى عندما أدق له الجرس

الموجود بحجرة الفحص . لم يسمع هذا الفلام شيئاً ، وبقيت هذه المسألة لغزاً كاملاً وبعد ذلك بوقت قصير ، رجع المستر بلسنجتون من سيره المعتاد ، ولكنى لم أقل له شيئاً عن ذلك الموضوع ، لأننى ، إذا أردت الحقيقة ، كنت اتحاشى الاتصال به قدر المستطاع ، فى الفترة الأخيرة .

« لم أفكر قط فى أن أرى النبيل الروسى ولا ابنه ، بعد ذلك . ولذا يمكنك أن تتصور دهشتى حينما جاءا ، هذا المساء فى نفس الميعاد ، ودخلا حجرة الفحص مثلما فعلا فى المرة السابقة تماماً . قال المريض : « أشعر ، يا دكتور ، بأننى مدين لك بالكثير من الاعتذارات لانصرافى فجأة بالأمس . »

« قلت : أعترف بأننى دهشت جداً لانصرافكما . »
« قال : الحقيقة هى أننى عندما أفيق من هذه النوبات ، يفدو عقلى غير واع لكل ما حدث من قبل ، فأفقت من غشيتى فوجدت نفسى فى حجرة غريبة ، كما بدت لى ، فخرجت الى الطريق مذهولاً ، حينما كنت غائباً . »

« وقال الابن : وأنا ، حينما أبصرت أبى يمر من أمام باب حجرة الانتظار ، ظننت ، بطبيعة الحال ، أن الاستشارة انتهت . ولم أدرك حقيقة الموقف الا بعد أن وصلنا الى البيت . »

« قلت ضاحكاً : على أية حال ، لم يحدث ضرر سوى حيرتى البالغة لاختفائكما . والآن ، هل تتفضل يا سيدى بالذهاب الى حجرة الانتظار ! وسيبنى أن أستمع فى فحصى الذى توقف فجأة بالأمس . »

« ناقشت أعراض مرض الرجل العجوز معه لمدة نصف ساعة أو نحو ذلك . ثم كتبت له تذكرة الدواء ، وودعته وهو يخرج مستنداً الى ذراع ابنه . »

« أخبرتك بأن المستر بلسنجتون اختار هذه الساعة من اليوم كى يخرج ليتمشى كتمرين رياضى بسيط ، ثم جاء بعد انصراف هذين الرجلين بوقت قصير ، فصعد الى الدور العلوى . . وبعد ذلك بلحظة سمعته يجرى الى أسفل واندفع الى داخل حجرة الفحص كرجل به مس من الجنون . »

« صاح يقول من دخل حجرتى ؟ »

قلت : « لا أحد . »

صاح بصوت مرتفع يقول : « هذا كذب محض . تعال الى فوق ، وانظر بنفسك . »

« تغاضيت عن لفته الخشنة اذ بدا نصف مجنون ، خوفا ووجلا . فذهبت معه الى الدور العلوى فأشار الى عدة آثار اقدام على البساط الزاهى اللون .

« صحت أقول : أتقصد أن تقول ان هذه آثار اقدامي ؟
« كانت آثار الاقدام ، بكل تأكيد ، اكبر بكثير من أية اقدام تحدثها . وكان من الواضح انها جديدة وقد أمطرت السماء بعد ظهر اليوم ، كما تعلم ، وكان مرضاى هم الوحيدين الذين جاءوا . اذن ، فلا بد أن الرجل الذى كان بحجرة الانتظار ، خرج وأنا مشغول مع أبيه ، الى حجرة مريضى المقيم . ولكنه لم يلمس شيئا ، ولم يأخذ شيئا ، غير أن هناك آثار الاقدام تلك برهانا على دخول تلك الحجرة .

« بدا المستر بلسنجتون ثائرا جدا أكثر من ذى قبل بخصوص هذا الموضوع . وله الحق ، فان ما حدث يكفى لازعاج خاطر أى فرد . فجلس على أحد المقاعد يبكى ، وقلما استطعت أن أجعله يتكلم كلاما متماسكا وهو الذى اقترح على أن آتى اليك . وبالطبع ، رايت ، فى الحال ، صواب رأيه ، لان هذا الحادث فريد وبالف الأهمية . فلو تفضلت بالمجيء معى فى عربتى لأمكنك ، على الاقل ، أن تهديء من روعه ، رغم أننى قلما آمل فى أن يكون بوسعك تفسير ما حدث . »
أصفى شرلوك هولمز الى هذه الرواية الطويلة باهتمام عظيم ، وأبان لى أنه وجد متعة أى متعة ، فى هذا الأمر ، أثارت حماسه كان وجهه عديم التأثير ، كالمعتاد ، ولكن أجفانه تدلت بشدة فوق عينيه ، وتصاعد الدخان من غليونته كثيفا ليؤكد كل حلقة فى رواية ذلك الطبيب وما أن أتم زائرنا حكايته حتى قفز هولمز واقفا دون أن ينطق بكلمة ، وأعطانى قبعتى وأخذ قبعته من فوق النضد ، وتبعنا الدكتور تريفلين الى الباب . وبعد ربع ساعة ، نزلنا أمام باب مسكن الطبيب فى شارع بروك . وهو أحد تلك المنازل الدكناء الواجبة التى يتميز بها وست اند . فأدخلنا خادم صغير السن ، فبدأنا ، فى الحال ، نصعد السلم العريض المفروش بالبساط .

ولكن صوتا حادا أوقفنا فى مكاننا . فأطفئء النور العلوى فجأة ، وصاح صوت مرتجف من وسط الظلام ، يقول :

« معى مسدس ! واقول لكم كلمتى : اننى سأطلق الرصاص إذا اقتربتم أكثر . »

فصاح الدكتور تريفلين يقول : « هذا ، فى الحقيقة أكثر مما يجب يا مستر بلسنجتون . »

فقال الصوت وقد اطمأن كثيرا : « اذن ، فهذا انت يا دكتور تريفلين . ولكن هذين السيدين ، أهما من يدعيان لنفسيهما ؟ »

فقال الصوت أخيرا : « نعم ، نعم ، هذا صحيح يمكنكم أن تصعدوا ، وأنا آسف إذا كانت احتياطاتى قد أساءت إليكم . »

أعاد اضاءة مصباح الغاز بأعلى السلم وهو يتكلم ، فأبصرنا أمامنا رجلا فريد المنظر ، يدل شكله وصوته على توتر أعصابه . كان بدينا جدا ، ولكنه ربما كان ، فى وقت ما ، أكثر بدانة ، اذ ترهل جلد وجهه فى جيوب مثل خدود كلب الصيد . وكان شاحب اللون وشعره الأصفر منتصبا كالأشواك بسبب شدة ثورة عواطفه . وقد أمسك فى يده مسدسا ، ولكنه وضعه فى جيبه عندما شاهدنا نصعد السلم .

قال : « مساء الخير ، يا مستر هولمز . انا متأكد من اننى مدين لك بالشكر العظيم على تفضلك بالمجئ ما من أحد محتاج الى نصحك أكثر منى . أظن الدكتور تريفلين أخبرك بذلك الدخول الجريء الى حجرتى ؟ »

قال وهو يشير الى صندوق كبير أسود عند طرف سريره : « أترى ذلك ، يا مستر هولمز ؟ لم أكن قط رجلا غنيا - لم أقم ، طوالى حياتى كلها ، الا باستثمار واحد ، كما يمكن للدكتور تريفلين أن يقول لك . وأنا ، بطبيعتى ، لا أثق فى أصحاب المصارف . لن أثق بأى صاحب مصرف ، يا مستر هولمز . وفيما بيننا ، اننى أحتفظ بالقليل الذى أملكه فى هذا الصندوق ، كما يمكنك أن تفهم دخول أحد الأغراب الى حجرتى ، بالنسبة لى . »

نظر هولمز الى بلسنجتون بطريقته الدالة على الريبة ، وهز رأسه .

قال : لا يمكننى نصحك طالما أنك تحاول أن تخدعنى . «

« ولكنى أخبرتك بكل شيء . »

استدار هولمز على عقبيه ، مبدئا حركة امتعاض ، وقال : « مساء الخير ، يا مستر تريفلين . »

فصاح بلسنجتون فى صوت متهدج ، يقول : « ولا نصيحة لى ؟ »

« نصيحتى لك ان تقول الحقيقة . »
بعد دقيقة كنا فى الشارع نسير الى البيت فعبرنا شارع أكسفورد وبلغنا نصف المسافة فى شارع هارلى ، قبل ان احصل على كلمة من رقيقى .

قال هولز أخيرا : « آسف على اننى اخرجتك بناء على رسالة رجل مجنون . وهى ، فى أعماقها ، قصة ممتعة . »

قلت معترفا : « لا يمكننى ان افهم منها سوى القليل . »
« حسنا ، من الجلى تماما ان هناك رجلين - وربما أكثر - يقصدان ، لسبب ما ، قتل ذلك الرجل بلسنجتون . لا شك عندي اطلاقا فى ان ذلك الرجل الشاب قد نفذ الى حجرة بلسنجتون فى كل من المرتين الاولى والثانية ، بينما شغل زميله الدكتور تريفلين بطريقة بارعة . »

« والتخشب العصبى ؟ »

« انه محاكاة زائفة ، يا وطسون ، ولو اننى قلما أجرو على القول بأننى اعرف مثل اخصائيينا انه مرض من السهل جدا تمثيله . وقد فعلت ذلك أنا نفسى ، عدة مرات . »
« وماذا بعد ذلك ؟ »

« بمحض الصدفة ، كان بلسنجتون فى الخارج فى المرتين كليهما . ومن الجلى ان غرضهم من المجيء فى مثل ذلك الميعاد ، هو التأكد من عدم وجود أى مريض آخر هناك . وحدث ان ذلك الموعد وافق موعد خروج بلسنجتون للترويض على قدميه ، مما يدل على انهم لم يعرفوا روتينه اليومى وبالطبع ، لو كان غرضهم السرقة ، لقاموا ، على الاقل ، بمحاولة البحث فى حجرة بلسنجتون عما يمكن سرقة . وفضلا عن هذا ، فان بوسعى ان أقرأ فى عينى المرء ما اذا كان كل ما يخاف عليه هو جلده . وليس من المعقول ان يعادى هذا الرجل عدوين حقودين كهذين دون ان يعرف شخصيتهما . واننى لعلى يقين من انه يعرف تماما هذين الرجلين وينكر معرفتهما لأمر فى نفسه . ومن الممكن ان يراه القدر فى حالة أكثر اتصالا بهما . »

قلت : « أما من بديل آخر محتمل ؟ قد تكون القصة كلها فيما يختص بذلك الرجل الروسى بالمريض بالتخشب العصبى وبأنه ،

من نسج خيال الدكتور تريفلين لأغراضه هو ، وكان هو الذى دخل
شقة بلسنجتون ؟

أبصرت ، فى نور الغاز ابتسامة فى فم هولمز كأن اقتراحى هذا
لم يعجبه ، فقال :

يا زميلى العزيز . كان هذا أحد الحلول التى طرات على بالى ،
ولكنى استطعت تأكيد رواية الدكتور تريفلين . ترك ذلك الرجل
آثارا على بساط السلم ، جعل من العبث أن يطلب المرء رؤية الآثار
التي تركها الرجل بالحجرة . فحينما أخبرك الدكتور بأن آثار الأقدام
هى لحداء مربع الطرف الأمامى ، بدلا من المديب الطرف كحداء
بلسنجتون وأنها أطول من حداء الدكتور بمقدار واحد وثلاث من
البوصات فانك تعترف بأنه ما من شك فى أن تلك الآثار غريبة . وعلى
اية حال ، دعنا نفكر فيها هذه الليلة وستكون مفاجأة لى أن لم أسمع
شيئا أكثر من ذلك ، من شارع بروك فى الصباح .

سرعان ما تحقق تنبؤ شرلوك هولمز ، ولكن بصورة درامية .
ففى الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم التالى ، عندما لمع
أول شعاع من ضوء النهار ، وجدت هولمز واقفا بالروب الى جانب
سريرى .

قال : « بالباب عربة تنتظرنا ، يا واطسون . »

« ماذا جرى ؟ »

« مسألة شارع بروك . »

« هل من جديد ؟ »

قال وهو يفتح شيش الشباك : « مأساة ، ولكنها غامضة .
انظر الى هذه - ورقة من دفتر مذكرات كتب عليها بالقلم الرصاص :
من أجل خاطر الله ، تعال على الفور - بيرسى تريفلين . كان صديقنا
الدكتور مرتبكا حينما كتب هذه . هيا ، يا صديقى العزيز ، فهذا
نداء عاجل . »

كنا فى بيت الطبيب بعد حوالى ربع ساعة . فهرول يجرى
للاقائنا وقد ارتسم الهلع على وجهه .

صاح ، ويداه على صدغيه ، يقول : « يالها من فعلة ! »

« ماذا ، إذن ؟ »

« انتحى بلسنجتون ! »

فصفر هولمز ...

« نعم ، شنق أثناء الليل . »
دخلنا حجرة الانتظار بالعيادة ، يتقدمنا الدكتور تريفلين .
صاح يقول : « الحقيقة أننى لا أدري ماذا افعل .. البوليس
فى الدور العلوى .. لقد هز هذا الموضوع كيأتى وسلبنى عقلى . »
« من اكتشف ذلك ؟ »

« جرت العادة أن يحملوا اليه قدحا من الشاى فى كل صباح ،
فلما دخلت الخادمة بالشاى فى حوالى الساعة السابعة ، وجدت ذلك
الشخص التعيس متدليا من السقف وسط الحجرة . ربط الحبل
فى الخطاف الذى اعتاد تعليق المصباح الثقيل فيه ، ثم قفز من قمة
الصندوق الذى أطلعكما عليه بالامس . »

وقف هولمز مدة دقيقة يفكر تفكيرا عميقا .
قال أخيرا : « أتأذن لى ، يا دكتور تريفلين ، بأن أصعد الى
الدور العلوى وألقى نظرة على الحالة بنفسى ؟ » فصعدنا ، كلانا ،
يتبعنا الدكتور .

كان منظرا مفرعا ، ذلك الذى قابلنا حينما دخلنا من باب حجرة
النوم . وقد سبق أن تكلمت عن الترهل الظاهر فى وجه بلسنجتون
.. بدا هذا الترهل بصورة أوضح ، أثناء تأرجحه من الخطاف ،
وزادت شدته حتى صار منظره بشعا لا يوحى بمنظر بشرى . برز
عنقه الى الامام كأنه عنق دجاجة مذبوحة ، وبدا بقية جسمه يدينا
جدا وغير طبيعى بالقياس الى ذلك العنق . كان يرتدى ملابس النوم
الطويلة يبرز منها قدماه ورسفا قدميه . وقد وقف الى جانبه مفتش
بوليس وسيم الوجه يكتب مذكرات فى دفتر صغير .
قال ، مرحبا جدا بزميلى عند دخوله : « أهلا يا مستر هولمز ،
سرنى أن أراك . »

فقال هولمز : « صباح الخير ، يا لائر لا تظننى متطفلا ، هذا
اكيد . هل سمعت الوقائع التى أدت الى هذا العمل ؟ »
« نعم ، سمعت بعضا منها . »
« هل كونت أى رأى ؟ »

« حسبما أرى ، ساق الخوف هذا الرجل الى الجنون . فقد
نام جيدا فى السرير ، كما ترى . فان انطباع جسمه عميق فى الفراش .
وتعلم أن الانتحارات تتم عادة فى الساعة الخامسة صباحا . وهذا

هو ، تقريبا ، الوقت الذى شئق فيه نفسه . تبدو مسألة دقيقة جدا . »

قلت : « يجب أن أقول انه مات منذ ثلاث ساعات ، كما يتضح من تصلب العضلات . »

فسأل هولمز يقول : « هل لاحظت شيئا غريبا فى الحجرة ؟ »
« وجدت مفكا وبعض المسامير البرمة فوق حامل غسل الأيدي . يبدو انه دخن كثيرا أثناء الليل . فها هى أربعة أعقاب سجائر ، أخذتها من جانب الوطيس . »

قال هولمز « يا للفرابة ! هل حصلت على مبسم سجائره ؟ »
« كلا ، لم أر شيئا كهذا . »

« اذن ، فهل وجدت علبة سيجاره ؟ »

نعم ، كانت فى جيب معطفه . »

« انها جريمة قتل خطت بدقة متناهية »

فقال المفتش : « مستحيل ! »

« ولماذا ؟ »

« لماذا يقتل أى شخص رجلا بأن يشنقه ؟ »

« هذا ، ما سنكتشفه . »

« كيف دخلا ؟ »

« من الباب الامامى . »

« وجد الباب مقفلا بالمزلاج ، فى الصباح . »

« اذن ، فقد وضع المزلاج بعد خروجهما . »

« وكيف عرفت ذلك ؟ »

« وجدت آثارهما . اسمح لى بلحظة ، وسيكون بوسعى أن

أعطيك مزيدا من المعلومات عن هذا . »

ذهب هولمز الى الباب وأدار القفل وفحصه بطريقته الفنية ، ثم أخرج المفتاح الذى كان فى الداخل وفحصه أيضا ، كما فحص السرير والبساط والكراسى ورف الوطيس والنجثة والحبيل . كلا بدوره حتى أبدى اقتناعه . وبمساعدتى ومساعدة المفتش قطع الحبيل ووضع النجثة تحت ملءة .

قال متسائلا : « ماذا عن هذا الحبيل ؟ »

قال الدكتور تريفلين : « قطع من هذه اللفة . »

قال هذا وسحب لفة كبيرة من تحت السرير ، واستطرد يقول :
« كان لديه خوف مرضى من النار ، ويحفظ بهذه اللفة دائما . »

الى جانبه كى يستطيع النجاة عن طريق النافذة اذا ما شب حريق
وقطع اللهب طريق السلم . »

قال هولمز مفكرا : « لا بد انه وفر عليهم جهدا . نعم ، الوقائع
الحقيقية واضحة جدا . ولن يأتى بعد الظهر حتى ازودك بأسبابها
ايضا . سأخذ صورة بلسنجتون التى اراها على رف الوطيس ،
لأنها قد تساعدنى فى استعلاماتى . »

فقال الطبيب : « ولكنك لم تخبرنا بشيء . »

قال هولمز : « ما من شك فى تعاقب الاحداث . كانوا ثلاثة
فى هذه الجريمة : الرجل الشاب ، والرجل العجوز ، وأما الثالث
فلا أعرف ، حتى الآن ، دليلا يوصلنى الى شخصيته . فالاثنتان
الأولان ، هما بلا شك الرجلان اللذان تنكرا فى صورة نبيل روسى
وابنه . وبذا يكون لدينا وصف دقيق لهما . أدخلهما الى البيت
زميل ثالث لهما . وإذا كان بوسعى أن أقدم لك نصيحة ، أيها
المفتش ، فهى ان تقبض على خادم العيادة الذى ، كما اتذكر ،
جاء حديثا فى خدمتك يا دكتور تريفلين . »

قال الدكتور تريفلين : « لا يمكن العثور على هذا العفريت
الصغير . كانت الخادمة والطاهية تبحثان عنه منذ فترة وجيزة
فحسب ، فلم تعثرا له على أثر . »
هز هولمز كتفيه :

قال : « لعب ذلك العفريت دورا هاما فى هذه الدراما . صعد
الرجال الثلاثة السلم على أطراف أصابع أقدامهم : الرجل العجوز
أولا ، والشاب بعده ثم الخادم غير المعروف فى المؤخرة . . . »
فقاطعته بقولى : « يا عزيزى هولمز ! »

« لا جدال فى تراكب آثار الاقدام . كانت لى ميزة معرفة
آثار اقدام من ، فى الليلة الماضية اذا ، فقد صعدوا الى حجرة المستر
بلسنجتون ، فوجدوا بابها موصدا . وبواسطة سلك ، أداروا
المفتاح بالقوة . فحتى بغير عدسة يمكنك أن ترى خدش السلك
فى وجه القفل حيث حدث الضغط . »

« وعندما دخلوا الحجرة ، لا بد ان كان أول عمل قاموا به هو
وضع سداة داخل فم المستر بلسنجتون . ربما كان نائما ، والا
أصابه الشلل من شدة الذعر . . . ولعدم امكانه الصراخ لم يسمع
أحد صوتا . وحتى لو كان لديه الوقت ليصرخ ، فان هذه الحوائط
سميكة تمنع سماع صراخه خارجها . »

« وانتهى الأمر بأنهم أخذوا بلسنجتون وشنقوه . وكان الأمر مدبرا من قبل بدليل أنهم أحضروا معهم بكرة رافعة ليستعملوها كمشنقة .. وهذه المسامير البرمة ، وهذا المفك ، اعتقد أنها كانت لتثبيت البكرة في السقف . فلما انصروا الخطاف ، وفروا على أنفسهم ، بطبيعة الحال ، عناء البكرة الرافعة وبعد أن أتموا عملهم ، هربوا ، فأقفل زميلهم الباب خلفهم . »

أصغينا ، جميعا ، بانتباه إلى تصوير العمليات الليلية التي استنتجها هولمز من علامات بسيطة دقيقة ، حتى أنه لما ذكرها لنا كدنا لا نستطيع متابعة استدلالاته . فأسرع المفتش في الحال ليستعلم عن خادم العيادة ، بينما رجعت أنا وهولمز إلى شارع بيكر لتناول طعام الإفطار .

بعد أن انتهينا من طعامنا ، قال هولمز : « سأعود في الساعة الثالثة مساء ، وسيقابلني كل من المفتش والدكتور تريفلين هنا في هذا الموعد . وآمل ، في هذه الفترة ، أن أكون أوضحت كل غموض بسيط في هذه القضية .

جاء زائرانا في الموعد المحدد ، ولكن صديقي لم يأت إلا في الساعة الرابعة إلا ربعا ، فعرفت من ملامحه أن كل شيء سار معه على ما يرام .

« هل من جديد ، أيها المفتش ؟ »

« قبضنا على الغلام ، يا سيدي . »

« رائع ، وأنا جئت بالرجلين . »

فصحنا نحن الثلاثة قائلين : « هل جئت بهما ؟ »

« على الأقل ، عرفت شخصيتهما . فهذا المسمى بلسنجتون ،

هو ، كما كنت أتوقع ، معروف جيدا لقسم البوليس ، وكذلك

قاتلاه ، وأسمائهم هي : بيدل ، وهايوارد ، وموفات . »

فصاح المفتش يقول : « عصابة ورزنجدون المتخصصة في

سرقة البنوك ؟ »

فقال هولمز : « بالضبط . »

« إذن ، فلا بد أن يكون بلسنجتون هو صاطون ؟ »

قال هولمز : « تماما ! »

قال المفتش : « إذن ، فهذا الاكتشاف قد أوضح المسألة

وضوح البلور . »

أخذت أنا وتريفلين ، ينظر كل منا الى الآخر في حيرة .
فقال هولمز : « لابد أنكم تتذكرون السرقة الكبرى لبنسك
ورزنجدون . قام بها خمسة رجال ، هؤلاء الاربعة ، والخامس اسمه
كارترأيت ، قتلوا الملاحظ توبين ، وذهبوا بسبعة آلاف جنيه . كان
هذا في عام ١٨٧٥ . كانوا خمسة ، قبض عليهم جميعا غير أن الأدلة
ضدهم لم تكن قاطعة . وكان صاطون هذا ، أو بلسنجتون ، هو
أسوأ الجميع . فانتقلب عليهم وقام بدور شاهد ملك . وبناء على
شهادته شنق كارترأيت ، وحكم على الثلاثة الباقين بخمسة عشر
عاما لكل منهم . فلما خرجوا من السجن منذ فترة وجيزة ، قبل
انتهاء المدة المحكوم بها عليهم ببضعة أعوام ، عولوا ، كما ترون ،
على البحث عن الخائن والأخذ بثأر زميلهم . حاولوا القبض عليه
مرتين فأخفقوا . ولكنهم وفقوا في المرة الثالثة ، كما ترون . أهناك
ما تريد أن أوضحه لك ، غير هذا ، يا دكتور تريفلين ؟ »
قال الطبيب : « أعتقد أنك أوضحت كل شيء تمام الايضاح .
« لا شك في أن اليوم الذي بدأ فيه بلسنجتون مذعورا ، هو
الذي قرأ فيه ، في الصحف ، نبأ اطلاق سراح زملائه . »
« لما كان يعرف طبيعة زملائه الاجرامية ، فقد حاول ،
يا سيدي العزيز ، اخفاء شخصيته عن كل انسان ، ما وسعه ذلك
.. كان سره عارا أي عار . ولم يرغب في الظهور بمظهر المجرم ،
ومع ذلك ، فرغم حقارته ، كان لا يزال يعيش في حماية القانون
البريطاني . ولا شك عندي ، أيها المفتش ، في أنه رغم وجود تلك
الحماية ، فإن سيف العدالة ما زال ينزل القصاص . »
هكذا كانت ظروف المريض المقيم ، وطبيب شارع بروك .
ومنذ تلك الليلة ، لم يعثر لهؤلاء القتلة الثلاثة على أثر . ويقول
سكوتلانديارد انهم كانوا ضمن ركاب الباخرة المشثومة ثوره كرينا
التي فقدت منذ بضع سنين ، بكل من عليها أمام شاطئ البرتغال ،
على بعد عدة فراسخ شمالي أوبورتو ، أما الغلام خادم العبادة فقد
أخفقت الاجراءات في ادانته لعدم كفاية الأدلة . ولم تكتب الصحف
اطلاقا عن لغز شارع بروك ، كما أطلق عليه .

رقم الايداع : ٨٨ / ٤٤٢١

الترقيم الدولي : ٤ - ٣٦٦ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

روايات الهلال تقدم

المسلاك

تأليف

د . نعيم عطية

تصدر : ١٥ أغسطس ١٩٨٨ م

الكويت: السيد 'عبدالعال بسيوني زغلول
الصفاء - ص ب رقم ٢١٨٢٣
13079 - تليفون - ٤٧٤١١٦٤

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية)

اشترى
في
روايات
الهلال

هذه الرواية

شرلوك هولمز هو أشهر شخصية أدبية عالمية . وقد احتفلت الأوساط الادبية العالمية بعيد ميلادها المئوى فى العام الماضى .. وهى ظاهرة فريدة لم تحدث من قبل ..

الممتع فى مغامرات شرلوك هولمز أنها كتبت لتروق جميع الناس من جميع الاعمار ، صغارا كانوا أم كبارا .. شبابا أم شيوخا . كما أنها كتبت لتقرأ فى جميع العصور لما تحتويه من خيال جامح وحاذق يصور بروعة كل ماهو شاذ وغريب فى دنيا قصص اللصوص والمجرمين ورجال الشرطة معا ..

وقد تصور الكثيرون أن شخصية شرلوك هولمز حقيقية . ومن هنا يمكن اعتبار أن مؤلفها السيد آرثر كونان دويل قد سبق عصره فى حل الجريمة بالوسائل العلمية .

وقد اختارت روايات الهلال من .. مذكرات "شرلوك" حكاياته الحقيقية التى كتبها دويل بنفسه ... وليس التى حاول الآخرون تزييفها .

إذا أردت أن تقرأ شرلوك هولمز الحقيقى .. فاقتن هذا

Bibliotheca Alexandrina



0665900

٧٥ قرشاً